أساليب التبليغ عند الأنبياء

(دراسة قرآنية)

السيد منذر الموسوي (الجابري)

بسم الله الرحمن الرحيم

اساليب التبليغ عندالانبياء عليهم السلام دراسة قرآنية

كاتب:

السيدمنتظر الموسوى (الجابرى)

نشرت فى الطباعة:

جامعة المصطفى (صلى الله عليه وآله) العالمية

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

اساليب التبليغ عندالانبياء عليهم السلام دراسه قرآنيه

اشاره

سرشناسه:موسوی، سیدمنتظر، ۱۳۵۸ -

عنوان و نام پدیدآور:اساليب التبليغ عندالانبياء عليهم السلام دراسه قرآنيه/ السيدمنتظر الموسوی (الجابری).

مشخصات نشر:قم: مركزالمصطفی(ص) العالمی للترجمه والنشر، ۱۴۳۳ ق.= ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری:۲۸۸ ص.

فروست:معاونيهالتحقيق؛ ۳۲۹.

شابک:۴۶۰۰۰ ریال :۹۷۸-۹۶۴-۱۹۵-۵۶۳-۴

وضعیت فهرست نویسی:فاپا

یادداشت:عربی.

یادداشت:کتابنامه: ص. [۲۷۹]- ۲۸۸؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع:قرآن -- تبلیغات

موضوع:پیامبران -- دعوت

موضوع:اسلام -- تبلیغات

شناسه افزوده:جامعه المصطفی(ص) العالمیه. مرکز بین المللی ترجمه و نشر المصطفی(ص)

رده بندی کنگره:BP۲۲۰/۲/م۸الف۵ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی:۲۹۷/۴۳

شماره کتابشناسی ملی:۲۵۸۱۰۶۹

ص:۱

اشاره

معاونیه التحقیق

إن کان هـذا الجهـد مؤهلاً للإهـداء،فأنی أهدیه إلی الذین أوحی الله تعالی إلیهم: (أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) ،إلی الذین یبلغون رسالات الله ویرشدون عباده،وإلی کلّ السائرین و الصابرین علی هذا الخط و المقتدین بهداهم.

أهـدی هـذا الجهـد المتواضع الـذی هو من فیض هـدیهم المبـارک،داعیـاً الله عز وجـلّ الرضـا لی ولوالـدی،وأن یمنحنی القبول ویحشرنی فی زمرتهم بحق کلّ نبی ورسول.

ص:۲

أساليب التبليغ عند الأنبياء علیهم السلام دراسه قرآنيه

المؤلف:السيد منتظر الموسوی(الجابری)

الطّبعه الأول:۱۴۳۳ق/۱۳۹۰ش

النّاشر:مرکز المصطفی صلّی الله علیه و آله العالمی لترجمه و النشر

المطبعه:زلال کوثر السّعر:۴۶۰۰۰ ریال عدد النّسخ:۲۰۰۰ نسخه

التوزيع:

قم،استداره الشهداء،شارع الحجتيه،معرض مرکز المصطفی صلّی الله علیه و آله العالمی للترجمه و النشر.هاتف-الفكس:۰۲۵۳۷۷۳۰۵۱۷

قم،شارع محمّد الأمين،تقاطع سالاريه،معرض مرکز المصطفی صلّی الله علیه و آله العالمی للترجمه و النشر.هاتف:۰۲۵۳۲۱۳۳۱۰۶ فكس:۰۲۵۳۲۱۳۳۱۴۶

www.pub.miu.ac.ir

ص:۴

كلمه الناشر

(الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً) والصلوه و السلام على النبى الأمين محمّد صلّى الله عليه و آله وآله الهداه المهديين وعترته المنتجبين و اللعن الدائم على أعدائهم أعداء الدين.

لقد شهدت علوم الدين مدى أربعه عشر قرناً على طيله تاريخها العلمى المشرف مستوىً من التغير المستمرّ فى الحركه إلى الأمام على صعيد الثقافه و الحضاره الإسلاميه فأوجد تطوّراً منهجياً فى العلوم الرئيسه المختصّه بالشريعه ك-:الفقه الاسلامى وعلم الكلام و الفلسفه و الأخلاق...وتبعاً لهذا الجانب ترك التطوّر انطباعا موازياً بينا فى العلوم الأدواتيه ك-:المنطق وعلم الرجال و الحقوق....

وفى ضوء انتصار الثوره الإسلاميه الإيرانيه المعظمّه وحدثها الداعى إلى رؤيه دينيه حديثه فى نطاق الحكم بغضون القرن الداعى إلى الانفلات من ظلّ الدين و الأيديولوجيه الدينيه وما يعرض فى مسرح أحداثه من تطوّر فى مسار نظريات العلاقات الدوليه أو تصاعد الأسئله المعرفيه المتعلّقه بمفهوم الوجود ومستلزماته الشاغله لذهن الإنسان الحاضر وكذلك ما حصل من توسّع لدى علم الوجود الإنسانى فى ظلّ الأحداث و المتغيرات المعنيه بهذا الجانب؛جعلت المفكّر الإسلامى فى أعلى مستوى من المسؤوليه أكثر ممّا سلف خاصّه فى الدول الإسلاميه التى باتت فى محاوله ضروريه لمواجهه الشعارات الخوّاء فى عصر العولمه فى ضوء التدقيق و الملاحظه و النقد البنّاء

ص:۵

لاجتياح أی فقره يخشى أن تسبّب مشكلات فی مقتبل الأيام.

ومن هذا المنطلق يتطلّب الصعيد الحوزوی النير لضروره الوقوف على آخر المستجدّات الفكريه فی حقولها المتعدّده والاستعانه بضروب من التحقيق العلمی الرصين بمعايير عالميه حيه لتوظّف فی نطاق الدين و الشريعه للإجابه على المتطلّبات العصريه و المنطلق الداعی إلى التكامل و التعالی فی ظلّ الدين و التزام نظامه فی العلم و الحياه من جهه أخرى حيث يتطلّب الأمر من الحوزه العلميه مسؤوليه وضع حدّ لردع الجانب العولمی وتبعاته المنحطّه على الإنسان بلحاظه العام.

و قد كانت رؤيه التصدّی لهذا الأمر فی عنايه من مؤسسی الحوزه العلميه هذه الشجره الطيبه الذی (أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِی السَّماءِ) ،سيما الإمام الخمينی رحمه الله الراحل وقائده المبجّل الإمام السيد علی الخامنئی دام ظله الوارف فی الوقت الراهن.

و قد سعت جامعه المصطفى صلّى الله عليه و آله العالميه فی ضوء ما تقدم لنيل النجاح فقامت بإرساء مركز المصطفى صلّى الله عليه و آله العالمی للترجمه و النشر حيث تكفّل بنشر نتاج هذا الجانب العلمی الهامّ.

و إنّ هذا الدراسه أساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السلام دراسه قرآنيه جاءت بجهود فضيله الأستاذ السيد منتظر الموسوی(الجابری)متوافقه مع نسق الرؤيه السائده المتّبعه و هذه الأهداف الساميه.

كما ندعو أصحاب الفضيله والاختصاص بما لديهم من آراء بنّاءه وخبرات علميه ومنهجيه عصريه بالمساهمه معنا و المشاركه فی نشر علوم أهل البيت عليهم السلام.

وختاما ليس لنا إلّا تقديم الشكر الجزيل لكافّه المساهمين الكرام بجهودهم الخاصّه بإعداد الكتاب للطباعه و النشر.

مركز المصطفى صلّى الله عليه و آله العالمی للترجمه و النشر

ص:۶

الفهرس

ص:۱۱

المقدمه

الحمد لله رب العالمین, وأفضل الصلاه وأتم التسلیم علی سید الأنبیاء و المرسلین, سیدنا ونبینا وحبیب قلوبنا أبی القاسم محمد صلّی الله علیه و آله و آله الهداه المهدیین الطیبین الطاهرین علیهم السلام.

عُرِفَ التبلیغ منذ العصور الأولی للتاریخ،و قد تعددت وتنوعت أسالیبه وطرقه،وأخذت بالتطوّر و التجدد تبعاً لاختلاف الزمان و المکان،ونظم الحکم وظروف کلّ مجتمع؛فلم یخل أی عصر من العصور أو أی مجتمع إنسانی من اعتماد أسالیب خاصّهٍ.فی التبلیغ،حتّی وصلت إلی ما هی علیه الآن،حیث أصبحت الیوم عصب الحیاه ووجه من وجوه الحضاره،وجهً معبراً عن کلّ الأفکار والاتجاهات و الظروف و النظم،فالتبلیغ؛وتنوّع أسالیبه ظاهره اجتماعیه شقت طریقها إلی کلّ البیئات و العصور منذ کان الإنسان یحیا حیاهً بدائیه إلی الآن, حیث أصبح للتبلیغ و الإعلام-فی عصر الثوره المعلوماتیه،والسبق التکنولوجی،وسهوله الاتصالات والارتباطات-شأناً عظیماً،ووصل إلی درجه کبیره من التأثیر،بحیث أصبح قادراً علی أن یزیف الباطل فیجعله حقاً،والحق یجعله باطلاً, فهو الیوم یعد أکبر وأخطر سلاح بید أعداء الدّین،یستخدمونه لهدم الإسلام،ومن هنا تبرز المشکله الکبیره التی تقع مسؤولیه معالجتها علی أولی العلم،وبالذات المبلّغین و الدعاه،إذ علیهم أن یدرکوا أهمیه التبلیغ

والجانب الإعلامی؛خصوصاً الأسالیب الصحیحه و المؤثره،إذ أن الأسالیب المتبعه حالیاً لیست بمستوی المواجهه ولا بمستوی الدّعوه،و قد أدت إلی تشویه وتغییر صوره الدّین و الرساله فی کثیر من المواقع،مما یحتم علینا إعاده النظر فیها علی وجهٍ یعید للفکر الإسلامی حیویته وقوته دون أی تنازل عن أسسه ودعائمه ومبادئه.

إذاً:فأسالیب التبلیغ تعالج مشکله التعامل مع الإنسان التی تختلف عن التعامل مع الفکره المجرّده،لأن الإنسان کائن متغیر متنوّع فی عواطفه وتأثراته،مما یقتضی منا التحرک معه بأسالیب متنوّعه وفی کلّ الاتجاهات التی یمکن أن تأتی منها الریاح أو تتأثر بها الأجواء.

فأسالیب التبلیغ-باعتبارها فناً من فنون الخطاب القولی وأداه من أدوات التوصیل التی لا یستغنی عنها؛وطریقاً من طرق التأثیر وإعاده صیاغه الواقع بما یتلاءم مع الحاجات المتعدده و التطلعات المشروعه-أضحت من أشرف الوظائف و المهام فی حیاه الإنسان،فهی الوظیفه و المهمه الأولی التی کُلّف بها الأنبیاء علیهم السلام،وما عداها یأتی بعدها،قال تعالی: (الَّذِینَ یُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللّهِ وَ یَخْشَوْنَهُ وَ لا یَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللّهَ وَ کَفی بِاللّهِ حَسِیباً) ، (۱)وقال أیضاً: (وَ ما عَلَی الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِینُ) . (۲)

من هنا صار التبلیغ-فی حدّ ذاته-والأسالیب التی اعتمدها الأنبیاء علیهم السلام من أهم وظائف العلماء و المبلغین و المرشدین و الخطباء و المحاورین؛لأنها الأداه و الطریقه التی بها یمارسون أعمالهم التبلیغیه و التثقیفیه و التربویه, وواجباتهم الدینیه التی فُرضت علیهم بحکم وظیفتهم فی مجال بث الوعی،وتصحیح المفاهیم،وتثقیف الناس وتبصیرهم بأمور دینهم ودنیاهم.

وعلیه فإذا استطاع الإنسان أن یکون مبلغاً لدین الله تعالی فهذا یعنی أنه وضع أقدامه فی

۱- (۱) .الأحزاب:۳۹.

۲- (۲) .العنکبوت:۱۸.

موضعٍ سبقه فیه کلّ الأنبیاء علیهم السلام،ولذا فمن الضروری أنْ نستکشف ونبین أسالیبهم التبلیغیه ونقتدی بها،باعتبارهم معصومین عن الخطأ،و قد اعتمدوا فی تبلیغهم الأسالیب التی أمرهم الله بها،وبینها لنا القرآن الکریم،فیجب علینا الاستفاده منها واتباعهم فی ذلک،قال تعالی: (أُولئِکَ الَّذِینَ هَدَی اللّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاّ ذِکْری لِلْعالَمِینَ) ، (۱)وقال أیضاً: (قُلْ هذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اللّهِ عَلی بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی) . (۲)

من هنا تتجلی أهمیه الدراسه القرآنیه لأسالیب الأنبیاء علیهم السلام فی التبلیغ وأهمیه وأثر الأسلوب الإلهی فی نجاح التبلیغ،مع ضروره القیام بهذا الدّور و المهمه المتمثله بتثقیف المجتمع وتزوید المؤمنین و الرأی العام بالوعی لإدراک حقائق الدّین الإسلامی وأحکامه،ورد الشبهات وإظهار صورته الجمیله التی کدرتها غیوم الکفر و الضلال.

ولهذا أصبح المبلّغ الإسلامی یشعر بالحاجه الماسه و الملحه إلی اتضاح الخط الأصیل الذی یجب أن یسیر علیه فی حیاته العملیه؛مما یدعوه إلی استنفار کلّ طاقاته الفکریه و العلمیه و العملیه من أجل أن یعرف کیف یتعامل مع الواقع بأسالیب مناسبه تنسجم مع المستوی الثقافی و الفکری فیه, فیوفق لنشر رساله السماء بعد الوقوف علی التجارب الحیه التی عاشها الأنبیاء علیهم السلام؛من خلال استحضار ملامح شخصیاتهم الرسالیه التی تمثل النموذج الأکمل لحرکه الإنسان الرسالی فی التبلیغ،ودراسه أسالیبهم واستلهام روحیاتهم،والانتفاع بتجاربهم, ومن ثمّ ربطها بأسالیبنا المتبعه الیوم کما تترابط فی فکره العمل نفسه؛مستمدین ذلک من الکتاب التبلیغی الأول؛والمصدر التشریعی الأصفی الذی لم یعلق به التغییر و التحریف و هو القرآن الکریم.

ورغم أن بعض العلماء قد تطرق بشکل ضمنی إلی مسأله أسالیب التبلیغ, إلا انه تبقی الحاجه الملحه لدراسه واکتشاف ذخائر التراث الدینی عبر العصور من شروط

۱- (۱) .الأنعام:۹۰.

۲- (۲) .یوسف:۱۰۸.

وأساليب التبليغ و الإعلام الناجح،ومن هنا جاءت هذه المحاوله المتواضعه لاستنباط واستكشاف الأسس و القواعد و الأساليب و الشروط و الصفات التی تنظم العمليه التبليغيه و الإعلاميه؛وتأثر تأثيراً كبيراً فی نجاحها انطلاقاً من دراسه طبيعه تأثير الأسلوب فی النتيجه،بعيداً عن الجانب الذّاتی الخاص فی المخاطب،فإن أساليب الأنبياء عليهم السلام التی ينبغی اعتمادها للوصول إلی فكر الإنسان ووجدانه تتعامل مع الأشخاص من موقع الدراسه الواعيه لكل العوامل المؤثره فی أفكارهم ومشاعرهم،فلابد أن تؤدی إلی النتائج المرجوّه من تغيير شخصياتهم وحياتهم علی أساس الدّين و الإسلام.

إنّ للتبليغ الإسلامی الحقيقی حُسنَ مداخله إلی النّفوس البشريه بأساليبه المتعدده و المتنوعه و المشوقه و الجذّابه و المقنعه و المؤثره،والمتصفه بصيغه المعاصره و الصلاحيه لكل زمان ومكان،بل هی أحد خصائصه التی لم ولن يرقَ إليها أی تبليغ وإعلام آخر،ولهذا فبإمكاننا بعد دراستنا لأساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السلام أن نستفيد منها فی توعيه المبلّغين وتعريفهم بالصفات و الخصائص الضّروريه التی ينبغی أن تتوفر فيهم كی تضمن تأثيرهم ونجاحهم فی أداء مهمتهم،بالإضافه إلی ذلك تحديد خطواتنا العلميه و العمليه من خلال دراستنا للنتائج المصيريه لخطوات الأنبياء عليهم السلام،فنأخذ منها العبره فی طبيعتها ونتائجها،ونقوی دوافع التبليغ و الدعوه إلی الله فی جميع تفاصيلها،بكل جهد،وبالأساليب الحيه التی يريد الله تعالی للإنسان-المبلّغ-من خلالها أن يعيش تاريخ وحياه الأنبياء عليهم السلام فيدرك الصّوره الصحيحه للسلوك؛ويتعرف علی أبعاده بطريقه موضوعيه؛وينوّع أساليبه من أجل أن يلائم كلّ الأفكار؛ويلتقی بالحقيقه من أكثر من طريق كی يحرز النفوذ إلی عقول الناس لتكوين قناعاتهم, فإذا لم يقتنع البعض بالفكره من خلال أسلوبٍ ما أمكنهُ أنْ يقتنع بأسلوب آخر،و إذا لم ينسجم مع بعض المواضيع أو الأمثله،أمكنه أن يجد الانسجام فی مفهوم أو مثل آخر ليعيش الناس الوعی القرآنی فی كلّ آيه من آياته, وفی كلّ فكره من أفكاره؛فتحدث عندهم

بصيره تعيد لهم صوابهم إن كانوا ضالين واتزانهم إن كانوا مضطربين،وتهديهم فى حيرتهم إن كانوا حائرين.وتزيل عنهم الغشاوه إن كانوا لا يروا ما يجب أن يروه.

و قد نحتاج فى سبيل الوصول إلى هذا الهدف إلى إفساح المجال لجميع أساليب الأنبياء عليهم السلام التى تريد صنع الشخصيه الدينيه الإسلاميه لدى كافه طبقات المجتمع من خلال الكلمه فى إطار الوعى لمعانيها وأساليبها،ومن خلال إزاله الفجوه بين الناس وبين ما يحمله القرآن الكريم؛وذلك من خلال ربط الناس بالدين الإسلامى الحنيف.

ومن هنا يبدأ تطور مؤسساتنا الإعلاميه باعتماد أساليب الأنبياء عليهم السلام فى التبليغ باعتبارها اساليباً رائده فى هذا المجال،وباعتبار الطبيعه المتشابهه للظروف الموضوعيه هنا وهناك،فبالمقارنه مع الظروف المختلفه فى كلتا الحالتين نستطيع ترقيه مؤسساتنا الإعلاميه وإيصالها إلى المستوى المطلوب وإظهارها بأفضل مظهر وأكمل مستوى فى جميع المجالات،وخصوصاً تقويتها فى مجال طرح الأفكار و المعلومات لتواجه حالات التشكيك و التضليل و الإثاره بعد تسليحها بأساليب الأداء و الإيصال الناجح و المؤثر و المثمر.

منتظر الموسوى(الجابرى)

۳/رجب المرجب/۱۴۲۷ه

ص:۱۷

مدخل البحث

اشاره

ص:۱۹

المبحث الأوّل:تعريف الأسلوب وفرقه عن الوسيله

۱.الأسلوب لغهً

هو الطريق،والوجه،والمذهب،يقال:أنتم فی أسلوب سوءٍ،ويجمع أساليب. (۱)

والأسلوب:بالضم،الفن،يقال:أخذ فلان فی أساليب من القول،أی:أفانينَ منهُ.

و قد سلك أسلوبه:طريقته،وكلامه علی أساليبَ حسنه. (۲)

فتحصّل لدينا أن الأسلوب فی اللغه يطلق علی جمله من المعانی هی:الطريق،والوجه،والمذهب،والفن.

۲.الأسلوب اصطلاحاً

الأسلوب اصطلاحاً له عده تعريفات:

۱.الطريقه الكلاميه التی يسلكها المتكلم فی تأليف كلامه واختيار مفرداته. (۳)

۱- (۱) .لسان العرب:۴۷۳/۱؛تهذيب اللغه:۴۳۵/۱۲؛تاج العروس:۷۱/۳.

۲- (۲) .لسان العرب:۴۷۳/۱؛تاج العروس:۷۱/۳.

۳- (۳) .خصائص القرآن:۱۸.

۲.طریقه الإنشاء،أو طریقه اختیار الألفاظ و تألیفها للتعبیر بها عن المعانی بقصد الإیضاح و التأثیر. (۱)

إذاً:فالأسلوب هو العنصر الحیوی فی تحریک الفکر و الشعور نحو الارتباط بالقناعات؛لأنه هو الذی یهیئ الجو النفسی للانسجام مع الفکره فی خطواتها العملیه.

۳.الفرق بین الوسیله و الأسلوب فی التبلیغ

قال الراغب:

وسل:الوسیله التوصل إلی الشیء برغبه،وهی أخص من الوصیله لتضمنها لمعنی الرغبه،قال تعالی: (وَ ابْتَغُوا إِلَیْهِ الْوَسِیلَهَ) (۲). (۳)

وقال الطریحی:أی:القربه إلیه تعالی، (۴)ابن منظور یقول:

فالوسیله ما یتقرَّبُ به إلی الغیر،والجمع الوُسُل و الوسائل،وتوسل إلیه بوسیله إذا تقرّب إلیه بعمل. (۵)

یقول الشیخ الطوسی قدس سره:

إنّ الوسیله هی القربه...وهی علی وزن فعیله من قولهم توسلت إلیه،أی:تقربت إلیه،قال عنتره بن شدّاد:

إن الرجال لهم إلیک وسیله أن یأخذوک فلجلجی وتخضبی

وقوله تعالی: (جاهِدُوا فِی سَبِیلِهِ...) أمر منه بالجهاد فی دین الله؛لأنه وصله وطریق إلی ثوابه.

ویقال لکل شیء وسیله إلی غیره هو طریق إلیه،فمن ذلک طاعه الله،فهی طریق إلی ثوابه.

۱- (۱) .«الأسلوب»،دراسه بلاغیه تحلیلیه لأصول الأسالیب الأدبیه:۴۴.

۲- (۲) .المائده:۳۵.

۳- (۳) .مفردات غریب القرآن:۵۲۳.

۴- (۴) .مجمع البحرین:۴۹۱/۵.

۵- (۵) .لسان العرب:۷۲۴/۱۱.

والدليل على الشىء طريق إلى العلم به،والتعرض إلى الشىء طريق إلى الوقوع فيه،واللطف طريق إلى طاعه الله،والجهاد فى سبيل الله قد يكون باللسان و اليد و القلب،والسيف و القول،والكتاب. (۱)

فالوسيله التبليغيه:هى الأداه الموصله إلى غايه؛كاللغه مثلاً حيث إنها تُستخدَم لنقل الأفكار من المبلّغ إلى المبلّغ إليه،فكلما كانت اللغه واضحه و العبارات و الألفاظ دقيقه،والنبره الصوتيه ملائمه للمعنى ومؤديه للغرض المراد،أدى التبليغ وظيفته وأحدث التغيير المطلوب،و إن انتقاء العبارات واختيار الألفاظ من أساسيات التبليغ،و قد تصبح الألفاظ و العبارات اللغويه عائقاً من العوائق إذا لم يراع فى صياغتها ما يجعلها سلسه واضحه بعيده عن التحذلق و الغرابه.

أما أسلوب التبليغ،فهو الطريقه المقنعه و المؤثره فى الآخرين بما يتناسب مع الحال و المقام،وعليه فالوسيله هى الأداه التى يظهر من خلالها الأسلوب فالأسلوب هو هيئه وصوره ومظهر الوسيله التى تظهر وتُطرح به.

وممّا تقدم يظهر لنا ما قاله بعض الكتاب فى الفرق بينهما،حيث قال:

تنحصر الوسائل-عموماً-فى الأدوات المستخدمه لتوصيل الدعوه إلى الناس،كالوسائل المقروءه و المسموعه و المرئيه؛أما الأساليب،فتقتصر على أفانين الكلام وضروب البيان،كأسلوب الترغيب،والترهيب. (۲)

۱- (۱) .التبيان:۵۰۹/۳،حينما يمر بقوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَهَ وَ جاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) المائده:۳۵.

۲- (۲) .الدعوه إلى الله تعالى:۱۲۹.

المبحث الثاني:تعريف التبليغ

١.التبليغ لغةً

يقول ابن فارس:

الباء و اللام و الغين:أصل واحد و هو:الوصول إلى الشيء،تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه. (١)

ويقول الفراهيدى:

بلغ الشيء يبلغ بلوغاً،وأبلغت إبلاغاً،وبلّغت تبليغاً فى الرساله ونحوها. (٢)

ويقول الراغب الأصفهانى:

بلغَ،البلوغ و البلاغ؛الانتهاء إلى أقصى المقصد و المنتهى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدَّره،وربما يعبر به عن المشارفه عليه و إن لم ينته إليه. (٣)

وجاء فى حديث الاستسقاء:

واجعل ما أنزلت لنا قوةً وبلاغاً إلى حين،البلاغ ما يتبلّغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب. (۴)

١- (١) .معجم مقاييس اللغه:٣٠١/١.

٢- (٢) .كتاب العين:۴٢٢/۴.

٣- (٣) .مفردات غريب القرآن:۶٠.

۴- (۴) .لسان العرب:۴١٩/٨.

وأضاف الزمخشری:

إن البلاغ بمعنی التبلیغ کالسلام بمعنی التسلیم،قال تعالی: (...وَ ما عَلَی الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِینُ) ، (۱)والمعنی من أهل البلاغ؛أی:من المبلّغین. (۲)

وقوله تعالی: (یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ) ، (۳)أی أوصل إلیهم ما أنزل إلیك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته.

إذن؛تبین أنّ کلمه <<تبلیغ»تدل،بمادتها الأصلیه،أو قل:بجذرها اللغوی علی معنی واحد،هو:الوصول إلی الشیء.وجمیع المعانی الأخری التی تدل علیها متصرّفات هذا الجذر بشیء من التغییر عن طریق الزیاده أو التضعیف،لا یخرج هذه المتصرفات عن هذا المعنی الحقیقی لها،و هو:الوصول،أو الإیصال،أو التوصیل إلی غایه مقصوده،أو حدّ مراد.

۲.التبلیغ اصطلاحاً

وما قد ورد فی القرآن الکریم من لفظ:بلغ ومشتقاته یعود فی أصله إلی معنی الوصول إلی الشیء.ولذلک قال الشیخ الطوسی:

الإبلاغ:إیصال ما فیه بیان أمراً من أجل إفهامه إلی الآخرین،ومنه البلاغه التی هی إیصال المعنی إلی النفس بأحسن صوره من اللفظ. (۴)

وکذلک جاء فی تفسیر نفس الآیه الشریفه أن التبلیغ معناه:

التعریف بأنواع تکالیف الله وأقسام أوامره ونواهیه. (۵)

۱- (۱) .النور:۵۴.

۲- (۲) .الفایق فی غریب الحدیث:۴۹/۲.

۳- (۳) .المائده:۶۷.

۴- (۴) .التبیان فی تفسیر القرآن:۴۳۸/۴،فی تفسیر قوله تعالی: (أُبَلِّغُکُمْ رِسالاتِ رَبِّی) الأعراف:۶۲.محمد, السبزواری, الجدید فی تفسیر القرآن:۱۵۷/۳؛الطبرسی, مجمع البیان:۶۶۸/۴.

۵- (۵) .التفسیر الکبیر:۲۹۷/۵؛تفسیر المنیر:۲۵۷/۸.

وقال الرازی:

أی:أنزل لتبلیغهم،و هو کفایه فی العظه و التذکیر،ولیعلموا بما فیه من الحجج. (۱)

وفی قوله تعالی: (وَ ما عَلَی الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِینُ) ، (۲)قال الطبرسی:

أی:لیس علیه إلّا أداء الرساله, وبیان الشریعه،ولیس علیه الاهتداء. (۳)

وکذلک: (إِنْ عَلَیْکَ إِلاَّ الْبَلاغُ) ، (۴)أی:لیس علیک إلّا إیصال المعنی. (۵)

وقال أبو حیان:

لما تقدم الترغیب و الترهیب،أخبر تعالی أنه کلّف رسوله بالتبلیغ،و هو توصیل الأحکام إلی أمته و هذا فیه تشدید علی إیجاب القیام بما أمر به تعالی. (۶)

و قد جاءت هذه الماده(بَلَغَ)فی[ثمان وستون]آیه من القرآن الکریم،و قد اختصت[خمس وعشرون]آیه منها بتبلیغ الرساله،وباقی الآیات الشریفه تشمل بلوغ شیء أو إبلاغه إلی مکان أو زمان أو غیرهما. (۷)

إذاً:فما ورد فی القرآن الکریم من لفظ(بلغ)ومشتقاته یعود فی أصله إلی معنی الانتهاء و الوصول إلی غایه مقصوده،أو حدٍ مراد،سواء کان هذا الحد أو تلک الغایه مکاناً،أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدره معنویاً.

نحو قوله تعالی: (وَ لا تَحْلِقُوا رُؤُسَکُمْ حَتّی یَبْلُغَ الْهَدْیُ مَحِلَّهُ) ، (۸)أی:حتی یصل الهدی المکان المخصص له،والغایه أو الهدف هنا مکانی.

۱- (۱) .التفسیر الکبیر:۱۱۵/۷،فی قوله: (هذا بَلاغٌ لِلنّاسِ) ؛تفسیر المنیر:۲۷۳/۱۳.

۲- (۲) .العنکبوت:۱۸.

۳- (۳) .مجمع البیان:۲۳۹/۷.

۴- (۴) .الشوری:۴۸.

۵- (۵) .مجمع البیان:۵۵/۹.

۶- (۶) .البحر المحیط:۳۰/۴،فی قوله تعالی: (وَ ما عَلَی الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ) .

۷- (۷) .المعجم فی فقه لغه القرآن:۶۰۹/۶.

۸- (۸) .البقره:۱۶۹.

ونحو قوله تعالى: (حَتّی إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِینَ سَنَهً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْکُرَ نِعْمَتَکَ) ، (۱)بمعنی:حتی إذا وصل إلی الزمن الذی یکون فیه متکاملًا عقلًا وجسداً و هو الزمن الذی یکون قد مضی من عمره أربعون سنه،والغایه کما هو واضح زمانیه.

ونحو قوله تعالی: (قالَ إِنْ سَأَلْتُکَ عَنْ شَیْ ءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِی قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّی عُذْراً) . (۲)أی:أننی قد وصلت إلی الحد الذی لا یقبل عنده عذری.هو أمر معنوی.

وغالباً ما یستعمل معنی التبلیغ فی الأمور المعنویه،ویقل فی الأمور المحسوسه نحو قولنا:أبلغت أو بلّغت زیداً رساله،أو فلاناً إنذاراً.

قال تبارک وتعالی: (أُبَلِّغُکُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ أَنْصَحُ لَکُمْ) ، (۳)بمعنی:أنّنی مکلّف بأن أوصل لکم رسالات الله،وهی تعالیمه وإرشاداته.

۳.النتیجه

والنتیجه التی نخلّص إلیها ممّا ذکر هی:أن لفظ التبلیغ یدل فی الاستعمال اللغوی العام،وفی الاستعمال القرآنی،علی الوصول،أو الإیصال أو توصیل شیء إلی آخر،أو إلی غایه مقصوده أو حدّ معین.

و أما تبلیغ الأنبیاء علیهم السلام:

فیعنی بیانهم الرساله الإلهیه للناس وإیصال المعارف الدینیه (۴)السماویه إلیهم.و هذا من الوظائف الأساسیه لحرکه الأنبیاء و الرسل علیهم السلام وأوصیائهم فی المجتمع البشری عبر التاریخ.

و أما أسلوب التبلیغ:

فهو الأداه المعبّره التی ننفذ من خلالها إلی نفسیه السامع لنغیر ما یجب تغییره،أو

۱- (۱) .الأحقاف:۱۵.

۲- (۲) .الکهف:۷۶.

۳- (۳) .الأعراف:۶۲.

۴- (۴) .إیصال التعالیم و الإرشادات الإسلامیه إلی الناس.

ننمی ما یجب تنمیته،ونحدث تغییراً إیجابیاً فی شخصیه السامع بتحویله من حاله الغفله إلی الیقظه،ومن حاله اللاوعی إلی الوعی.

ولبیان ذلک نقول:إنّ الأسلوب هو الأداه التی لها وقع علی نفسیه السامع،و هو اصطناع واتخاذ طریقه للتبلیغ متعدده المداخل،بحیث تلاءم الجمهور من جهه و البیئه التی یعیش فیها من جههٍ أخری،والموضوع المعالج من جهه ثالثه.

وبعباره أخری:

فإنّ أسلوب التبلیغ هو إحتواء الأصول و الأسس المنطقیه و العاطفیه و النفسیه و التکتیکیه،وکل ما یؤدی للنفوذ إلی أعماق نفوس الآخرین للتأثیر الإیجابی فیها. (۱)

إذاً:فأسلوب التبلیغ هو الأداء الیقظ الحذر الذی یملک دقه الملاحظه،وعمق النظره،وصحه التشخیص،فیعالج المشاکل برفق ولین وحکمه،ولذلک حینما یتعرض أحد الکتاب لتعریف أسلوب الدعوه یقول:

إنّ أسلوب الدعوه هو فنّ الدعوه،وأسالیب الدعوه فنونها،وهی:الحکمه و الموعظه،والقوّه. (۲)

ویجب علینا باعتبارنا مسلمین أن نستلهم ونأخذ أسالیبنا فی التبلیغ و الدعوه إلی الله من القرآن الکریم،حیث إنه تعالی بینها فی کتابه الکریم لأنبیائه علیهم السلام،وأمرهم أن یتخذوها فی مواجهه الطغاه،فهذا القرآن الکریم یخاطب موسی وهارون یقول تعالی: (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَیِّناً لَعَلَّهُ یَتَذَکَّرُ أَوْ یَخْشی) . (۳)ویخاطب نبینا صلّی الله علیه و آله فیقول عز وجلّ: (وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ) . (۴)

فهذه الأسالیب فی التبلیغ و المواجهه مستمدّه من الله تعالی،حیث إنّ القرآن

۱- (۱) .تفسیر الأمثل:۳۶۹/۸.

۲- (۲) .مناهج الدعوه وأسالیبها:۱۶.

۳- (۳) .طه:۴۴.

۴- (۴) .الشعراء:۲۱۵.

الکریم یظهر الخط العریض لأسلوب التبلیغ،ویبین الکیفیه التی ینبغی مواجهه الآخرین بها،کما لو کانت تتم عن طریق العنف،أو اللین و الرفق،أو الحکمه و الموعظه الحسنه،و هذا ما أشار إلیه تعالی فی قوله: (ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) . (۱)وهناک أسالیب أخری ذکرها القرآن الکریم نقف علیها مفصلاً إن شاء الله فی فصل لاحق.

إذاً:فمن مجموع هذه التعاریف اللغویه والاصطلاحیه نستطیع أن نقول:إنّ أسلوب التبلیغ هو الطریقه المقنعه و المؤثره فی الطرف المقابل و المتناسبه مع الحال و المقام،لتحقیق أهداف التبلیغ.

ص:۳۰

۱- (۱) .النحل:۱۲۵.

المبحث الثالث:مفردات ذات صله

اشاره

بعـد أن انتهينـا من تعريف التبليغ لغهً واصـطلاحاً نتطرق إلى بعض المفردات التى ذُكرت فى القرآن الكريم و التى لهـا صـله فى معنى التبليغ.

فقـد ورد لفـظ التبليغ فى القرآن الكريم بتعبيرات ومفردات مختلفه تبعـاً لاختلاف بعض الخصوصـيات فيها،سنشـير إليها تباعاً إن شاء الله.

۱.الدعوه

أ)الدعوه لغه

هى النداء و الندبه والاستدعاء،فيقال:دعا الرجل دَعواً ودعاءً،ناداه،والاسم الدعوه. (۱)

ودعوت فلاناً،أى:صحت به واستدعيته.

قال الأخفش:

سمعت من العرب من يقول:لو دعونا لأندعينا،أى:لأجبنا،كما تقول:لو بعثونا لانبعثنا. (۲)

۱- (۱) .لسان العرب:۲۵۸/۱۴-۲۵۹.

۲- (۲) .الصحاح:۲۳۳۶/۶؛لسان العرب:۲۵۸/۱۴.

والداعیه:صریخ القوم فی الحروب لدعائه من یستصرخه. (۱)

والدعوه:الدعاء إلی الطعام و الشراب،والدعاه:قوم یدعون إلی بیعه هدی أو ضلاله وأحدهم داع. (۲)

ب)الدعوه اصطلاحاً

الدعوه فی الاصطلاح الإسلامی:

إن القرآن الکریم یجعل أساس الدعوه الإسلامیه هو التوحید،کما قال الله تعالی مخاطباً لرسوله صلّی الله علیه و آله: (قُلْ هٰذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اللّٰهِ عَلی بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی وَ سُبْحانَ اللّٰهِ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ) (۳). (۴)

وقال الشیخ الطبرسی:

أی:أدعو إلی توحید الله،وعدله،ودینه،علی یقین،ومعرفه،وحجه قاطعه،لا علی وجه التقلید، (أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی) ،أی:أدعوکم أنا،ویدعوکم أیضاً إلیه من آمن بی ویذکر بالقرآن و الموعظه،وینهی عن معاصی الله. (۵)

إذاً:فحینما تطلق کلمه الدعوه وتضاف إلی النبی صلّی الله علیه و آله،فیقال مثلاً:النبی صلّی الله علیه و آله داعیه،یراد منه:أنّه یدعو إلی التوحید ونبذ الشرک.والداعیه بصوره عامه هو:الذی یدعو إلی دین أو فکره معینه، (۶)ومن حیث اللغه قد ألحقت الهاء للمبالغه آخر المفرده.

وفی کتاب رسول الله صلّی الله علیه و آله إلی هرقل:

أدعوک بداعیه الإسلام،أی:بدعوته،وهی کلمه الشهاده التی یدعی إلیها أهل الملل الکافره. (۷)

۱- (۱) .کتاب العین:۲۲۱/۲؛لسان العرب:۲۵۹/۴؛القاموس المحیط:۳۲۷/۴.

۲- (۲) .تاج العروس:۱۲۷/۱۰؛القاموس الفقهی:۱۳۰؛لسان العرب:۲۵۹/۱۴؛مجمع البحرین:۱۴۳/۱.

۳- (۳) .یوسف:۱۰۸.

۴- (۴) .المیزان فی تفسیر القرآن:۲۹۲/۳.

۵- (۵) .مجمع البیان:۴۶۴/۵.

۶- (۶) .القاموس الفقهی:۱۳۰؛لسان العرب:۲۵۹/۱۴.

۷- (۷) .القاموس الفقهی:۱۳۰؛النهایه فی غریب الحدیث:۱۲۲/۲.

فدعوه الأنبياء و الرسل عليهم السلام لأقوامهم واحده الجوهر،متشابهه الردّ و القبول،متماثله فی الغايات و النتائج،مقرونه بالمعجزات الداله علی صدقهم بترتيب الله تعالی وإذنه.

فقوله تعالی: (وَ داعِياً إِلَی اللّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً) ، (۱)معناه:داعياً إلی توحيد الله وما يقرّب منه.

فالنبی صلّی الله عليه و آله داعی الأمه إلی توحيد الله وطاعته،قال الله مخبراً عن الجن الذين استمعوا القرآن: (وَلَّوْا إِلی قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللّهِ) (۲). (۳)

وقوله تعالی: (ادْعُ إِلی سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَهِ...) ، (۴)أی:ناداهم إلی الإسلام بالحكمه،بالمحجه التی تثبت الحق وتزيل الشبهه. (۵)ولهذا يبين النبی صلّی الله عليه و آله وجه تسميته بالداعی،فيقول:

«و أمّا الداعی،فأنی أدعو الناس إلی دين ربی عز وجلّ». (۶)

ج)موضوع الدعوه

الموضوع:هو الماده التی يبنی عليها المتكلّم أو الكاتب كلامه. (۷)

أما موضوع الدعوه الإسلاميه،فهو الإسلام الذی يعمل الداعيه علی تبليغه وتعليمه وتطبيقه. (۸)ونعنی بالإسلام بمعناه الشامل للعقيده و الشريعه و الأخلاق،الذی بلغه النبی صلّی الله عليه و آله لجميع فئات الناس بما يناسب حال البلاغ وحال المبلّغ،لتميزه صلّی الله عليه و آله

۱- (۱) .الأحزاب:۴۶.

۲- (۲) .الأحقاف:۲۹-۳۰.

۳- (۳) .لسان العرب:۲۵۹/۱۴.

۴- (۴) .النحل:۱۲۵.

۵- (۵) .الجديد فی تفسير القرآن:۲۶۶/۴.

۶- (۶) .الأختصاص:۳۵.

۷- (۷) .المعجم الوسيط:۱۰۴۰/۲.

۸- (۸) .حمود, الحارثی, دعوه النبی صلّی الله عليه و آله للأعراب:۶۹.

بـالحکمه، ﴿ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ﴾ . (۱)

وبعباره أشمل نستطیع أن نلخص دعوه الأنبیاء و الرسل فی أمرین:

أ.العقیده؛ب.العمل.

وتتمثـل مهمتهـم فی مجـال(العقیـده)فی الـدعوه إلی الإیمـان بـالله،وصـفاته الجمـالیه و الجلالـیه وأفعـاله تعـالی،بینمـا المقصـود من(العمل)هو التکالیف و الأحکام التی یجب أن تقوم الحیاه الفردیه والاجتماعیه علی أساسها.

والمطلوب فی مجال العقیده إنما هو العلم و الیقین،ومن المسلَّم أنه لا یکون شیء ما حجه،وبعباره أخری:لا یتسم بالحجیه،إلّا ما یؤدی إلی هذا الأمر المطلوب. (۲)

و هـو أن یکـون داعیـه بسـلوکه وأخلاقـه وبمـا یقـدر علیـه،فـإنّ احـترام الإسـلام حـق علی المسـلمین ألّـا یهینـوه أو یشـو هـوه بسلوکهم،فسلوک المسلم وجهه لدینه ومعتقده؛لذلک جاء عن النبی صلّی الله علیه و آله فیما یوصی به أبا ذر یقول صلّی الله علیه و آله:

<<یا أبا ذر،مثل الذی یدعو بغیر عملٍ کمثل الذی یرمی بغیر وتر». (۳)

ویقول الإمام الصادق علیه السلام:

<<کونوا دعاه للناس بغیر ألسنتکم،لیروا منکم الورع والاجتهاد،والصلاه و الخیر،فإنّ ذلک داعیه». (۴)

ویقول أیضاً علیه السلام فی وصیته لابن جندب:

<<یا بن جندب،رحم الله قوماً کانوا سراجاً ومناراً،کانوا دعاهً إلینا بأعمالهم،ومجهود طاقتهم». (۵)

ص:۳۴

۱- (۱) .البقره:۲۶۹.

۲- (۲) .العقیده الإسلامیه:۱۵۳.

۳- (۳) .مکارم الأخلاق:۴۶۵؛أعلام الدین فی صفات المؤمنین:۱۸۷.

۴- (۴) .وسائل الشیعه:۷۶/۱،الباب ۱۶،الحدیث ۲.

۵- (۵) .تحف العقول:۲۲۱.

د)الفرق بین الدعوه و التبلیغ

بعد أن بیّنا معنی الدعوه وأنها مفرده من مفردات التبلیغ،أو تعبیر آخر عن التبلیغ،نبین الآن بعض الفروق بینها-الدعوه-وبین التبلیغ علی ضوء ما توصلنا إلیه من تعریفیهما فی اللغه والاصطلاح.

أ.أنّ الدعوه:هی حس الطلب و التلطف فیه من الداعیه لدخول الناس إلی الإسلام أو التمسک به إنْ کانوا مسلمین قد ابتعدوا عن أصل الإسلام وروحه،أو بعباره أخری نقول:

إنّ الدعوه الإسلامیه مثلاً-تعنی دعوه غیر المسلم إلی الدخول فی الإسلام،ومنه سمی الجهاد الابتدائی(بجهاد الدعوه)، (۱)أی:دعوه غیر المسلم إلی الدخول فی الإسلام، (۲)أو ابتداء الکفار بجهادهم فی سبیل دعوتهم إلی الإیمان بالله عز وجلّ. (۳)

ولذلک لما جاء نفر من الیهود إلی رسول الله صلّی الله علیه و آله فسأله أعلمهم فیما سأله،فقال:لأی شیء سمّیت محمداً وأحمد،وأبا القاسم وبشیراً ونذیراً،وداعیاً؟فقال صلّی الله علیه و آله:<<أما الداعی فإنّی أدعو الناس إلی دین ربّی عز وجلّ...». (۴)

وکذلک یقول الإمام علی علیه السلام:

«لمّا أراد رسول الله صلّی الله علیه و آله أن یدعو بنی هاشم إلی الإسلام،قال لی:یا علی،اجمع لی بنی عبد المطلب حتّی أکلمهم وأبلغهم ما أمرت،ففعلت ما أمرنی به،ثمّ دعوتهم له وهم یومئذٍ أربعون رجلاً،یزیدون رجلاً أو ینقصونه،ثمّ تکلّم رسول الله صلّی الله علیه و آله فقال:یا بنی عبد المطلب،إنّی و الله ما أعلم شاباً فی العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتکم به،إنی قد جئتکم بخیر الدنیا و الآخره،و قد أمرنی الله تعالی أن أدعوکم إلیه،فأیکم یؤازرنی علی هذا الأمر علی أن یکون أخی ووصیی وخلیفتی فیکم؟قال:فأحجم القوم عنها جمیعاً،وقلت-وأنی لأحدثهم

ص:۳۵

۱- (۱) .جواهر الکلام:۶۱/۲۱.

۲- (۲) .کشف الغطاء:۳۹۵/۲.

۳- (۳) .أجوبه مسائل جار الله:۶۴.

۴- (۴) .التفسیر الصافی:۱۹۵/۴.

سناً-أنا يا نبی الله،أكون وزيرک عليه،فأخذ برقبتی،ثمّ قال:إنّ هذا أخی ووصيی وخليفتی فيكم،فأسمعوا له و أطيعوا،قال:فقام القوم يضحكون». (۱)

إذاً،فالمراد من الدعوه هو الدعوه إلی التوحيد،وعباده الله تعالی،وترک عباده الأوثان و الأصنام،وتدلّ علی هذا كثير من الآيات الشريفه،وأحوال جميع الأنبياء عليهم السلام فكلهم قد أمروا بدعوه الناس إلی التوحيد.

أما التبليغ،فهو حسن العرض لتعاليم الإسلام أو الدين،وإرشاد الناس إليها،وإيصال الأحكام إلی من يجهلها من المؤمنين الموحدين.

لذلک يقول الفخر الرازی:

إنّ تبليغ الرساله معناه:أن يعرفهم أنواع تكاليف الله وأقسام أوامره ونواهيه...وقوله: (رِسالاتِ رَبِّی) ،يدل علی أنه تعالی حمله أنواعاً كثيره من الرساله،وهی أقسام التكاليف من الأوامر و النواهی،وشرح مقادير الثواب و العقاب فی الآخره،ومقادير الحدود و الزواجر فی الدنيا. (۲)

ب.إنّ الدعوه تتقدّم علی التبليغ فی الرتبه،بمعنی:أنّ الدعوه إلی الإسلام-أو إلی الدين بصوره عامه-تسبق تبليغ تعاليمه.

وبعباره أخری:التبليغ مرحله ثانيه تلی مرحله الدعوه.

وللتوسّع فی هذا يمكن أن نمثّل لذلک برجل أعدّ وليمه وجهزها للناس،فأن أوّل ما يقوم به ويفعله هو أن يدعو الناس إليها،وبعد تلبيه الدعوه تأتی مرحله تقديم المائده.

و هذا هو عين ما أشار إليه النبی صلّی الله عليه و آله فيما ورد عنه:

>>ومثلی ومثلكم كرجل أعدّ وليمه ودعا الناس إليها فمن دخل أكل،ومن لم يدخل لم يأكل».

ص:۳۶

۱- (۱) .تاريخ الطبری:۶۳/۱؛عبد الحسين, الأمينی, الغدير:۲۸۸/۲؛الفرقان فی تفسير القرآن:۱۱۷/۲۲؛الدر المنثور وجامع البيان ونور الثقلين و البرهان و البحار.

۲- (۲) .التفسير الكبير:۲۹۷/۵،عندما يفسّر قوله تعالی: (أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ أَنْصَحُ لَكُمْ) الأعراف:۶۲.

ولذا يقول النبی صلّی الله علیه و آله:

>>بعثت داعياً ومبلغاً وليس إلى من الهدى شیء،وخلق إبليس مزيناً وليس إليه من الضلاله شیء». (۱)

فكما ترون أن النبی صلّی الله علیه و آله ذكر ورتب التبليغ بعد ذكر الدعوه،أو كما يصف ذلك أمير المؤمنين علیه السلام حينما يقول:

«سبحانك خالقاً ومعبوداً بحسن بلائك عند خلقك خلقت داراً،وجعلت فيها مأدبه،مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخدماً وقصوراً وأنهاراً وزروعاً وثماراً،ثمّ أرسلت داعياً يدعوا إليها،فلا الداعی أجابوا ولا فيما رغبت رغبوا،ولا إلى ما شوقت إليه اشتاقوا،أقبلوا على جيفه،قد افتضحوا بأكلها». (۲)

فواضح من كلامه علیه السلام أن الخطوه الأولى هی(داعياً يدعو إليها)،ثمّ بعد إجابه الداعی تأتی الخطوه الثانيه،وهی تقديم المأدبه و التعرف على تفاصيلها والاستفاده من خيراتها.

ج.إنّ الدعوه إلى الله تعالى تحتاج إلى إذن منه تعالى لقوله تعالى: (وَ داعِياً إِلَى اللّهِ بِإِذْنِهِ...) . (۳)بخلاف التبليغ،فلا يحتاج إلى إذن منه جلّ وعلا.

ولذا يقول الشيخ الطبرسی:

لم يقل وشاهداً بإذنه ومبشراً وعند الدعاء قال:وداعياً بإذنه؛وذلك لأنّ من يقول عن ملك أنه ملك الدنيا لا غيره لا يحتاج فيه إلى إذن منه فإنه وصفه بما فيه،وكذلك إذا قال:من أطاعه يسعد ومن يعصيه يشقى يكون مبشراً ونذيراً،ولا يحتاج إلى إذن فی ذلك.

و أما إذا قال تعالوا إلى سماطه،وأحضروا على خوانه،فإنّه يحتاج فيه إلى إذنه،فقال تعالى: (وَ داعِياً إِلَى اللّهِ بِإِذْنِهِ...) . (۴)

ص:۳۷

۱- (۱) .إيمان أبی طالب:۱۲۸.

۲- (۲) .نهج البلاغه:۲۱۱/۱.

۳- (۳) .الأحزاب:۴۶.

۴- (۴) .تفسير مجمع البيان:۵۶۹/۸،فی تفسير قوله تعالى: (وَ داعِياً إِلَى اللّهِ بِإِذْنِهِ...) .

و أما الداعيه غير النبی صلّی الله علیه و آله من ولی أو إمام أو عالم،فهو مأذون من جهه النبی صلّی الله علیه و آله كما قال تعالی: (قُلْ هذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اللّهِ عَلی بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی...) . (۱)

ویقول الشیخ المكارم:

إنّ كل أعمال النبی صلّی الله علیه و آله بإذن الله وأمره،إلّا أن الدعوه هی الوحیده التی قیدت بإذن الله هنا؛وذلك لأن أشق أعمال الأنبیاء علیهم السلام وأهمها هی الدعوه إلی الله سبحانه،حیث یجب علیهم أن یسوقوا الناس فی طریق یخالف میولهم وشهواتهم،فیجب أن تستبطن إذن الله وأمره ونصرته فی هذه المرحله لیتم تنفیذها. (۲)

فأتضح إذاً أنّ الدعوه مما یحتاج لها إلی إذن من الله بخلاف التبلیغ،فإنه لا یحتاج إلی إذن إذا توفرت فیه الشرائط.

ومع هذه الفوارق التی ذكرتها إلّا أن التوافق و المشتركات بین الدعوه و التبلیغ أكثر وأعم ممّا أدّی إلی استعمال كل لفظ منهما مقام الآخر،وأهم هذه المشتركات هو التداخل بین وظیفه المبلّغ ووظیفه الداعیه.

ه)الفرق بین الدعوه و الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر

اشاره

قد یخیل للكثیر أن مفهوم الدعوه یتسع،أو ینطبق،علی مفهوم:الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر،ویتوهموا أن المسألتین مسأله واحده،ونحن لا ننكر أن لفظ الدعوه-بمفهومه اللغوی-یتسع للأمر بالمعروف و النهی عن المنكر،فإن الأمر بالمعروف یمثل الدعوه إلی فعل الخیر و السیر علی طریقه،أما النهی عن المنكر فیمثل الدعوه إلی الابتعاد عن الشر والانحراف عنه،ففی كلّ منهما دعوه للعمل الصالح إیجابا وسلباً.

ولكن الاصطلاح العام لهذه الكلمه:(الدعوه إلی الله)ضاق عنها،فلم یعد یتسع لها،

۱- (۱) .یوسف:۱۰۸.

۲- (۲) .تفسیر الأمثل:۲۹۸/۱۳،فیما یخص الآیه الكریمه: (وَ داعِیاً إِلَی اللّهِ بِإِذْنِهِ...) .

ولا تصلح-الدعوه-لاستيعاب هذا المضمون؛لأنها تمثل الحركه التي يقوم بها الدعاه المسلمون خارج نطاق المجتمع الإسلامی من أجل إدخال الآخرين إلى الإسلام.

أما الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر،فهو العمل على تطبيق الإسلام من قبل المسلمين داخل المجتمع الإسلامی،وحمل المسلمين على السير فی طريق الإسلام من غير التواء وانحراف.

إذاً:فمما لا ريب فيه أنّ ثمه فارق كبير بين مسأله الدعوه،ومسأله الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر،وأهم هذه الفوارق:

أوّلاً:اختلافهما فی المعنی

إنَّ الدعوه إلى الخير الذی هو الإسلام،تعنی:طلب الدخول فی هذا الخير بكل جزئياته سواء كانت عقائديه أو تشريعيه.

أما الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر عنوانها يتعلق بالتعاليم و الأعمال و التكاليف،وهی جزء من الإسلام،كالفواحش،والكبائر،والصغائر التی أمر الله بتركها،وكالصلاه،والصوم،وصله الرحم،والبرّ،وعمل الخير،وغيرها مما أمر الله بإتيانها.

ثانياً:الاختلاف فی الترتيب الطبيعی

فالدعوه إلى الإسلام-بحسب الترتيب الطبيعی المنطقی-مقدّمه على الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر،بل إنّها مقدمه على التبليغ أيضاً،فبعد دعوه الناس للإسلام ودخولهم فيه وقبولهم له،تأتی مرحله التبليغ،مرحله إيصال شرائع الإسلام وأحكامه إلى من يجهلها من المسلمين،فيتعلم المسلم ما عليه فعله،وما عليه تركه،فإن فعل ما أمر بتركه،أو ترك ما أمر بفعله،حينئذٍ يأتی دور الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر.

فالمراد إذاً:من الأمر بالمعروف هو حثّ المسلم العارف بالحكم الشرعی على تطبيقه و العمل به،والمراد من النهی عن المنكر هو ردع المسلم عن عمل المنكر الذی يعلم أنه منكر.

وعليه فإنّ هناك تدرجاً عملياً،أو مرحلياً بين هذه الأساليب الثلاثه يتمثل فی أن الدعوه تسبق التبليغ،والتبليغ يسبق الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر.

ثالثاً:اختلافهما فی ميدان التطبيق

إن دائره الـدعوه وميـدان العمـل فيهـا أوسع من ميـدان الأـمر بالمعروف و النهی عن المنكر؛لأن الـدعوه ميـدانها المجتمعات غير الإسلاميه،و أما الأمر بالمعروف فيمدانه المجتمع الإسلامی فقط.

فلـو ذهـب المسلـم[فی عصـرنا الحاضـر]إلی مجتمـع يبيـح شـرب الخمر, فلاـ يمكنـه أن يـأمرهم أو ينهـاهم،بخلاـفه فی المجتمع الإسلامی.

رابعاً:الاختلاف فی كيفيه الأداء

الـدعوه تكون بـالحكمه, و الموعظه الحسـنه،والجـدال الأـحسن،والحوار الهـادف أما الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر فيكون باليد(القوّه)إذا كان للآمر سلطان،أو اللسان،أو الهجران عن الشخص المرتكب للمنكر.

هذه أهمّ الفوارق بين الدعوه و التبليغ وبين الدعوه و الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر.

٢.الإنذار

هناك مفرده أخری أعدّها القرآن الكريم معنی من معانی التبليغ،وهی:الإنذار.

والإنذار عباره عن:الإبلاغ،ولا يكون إلّا فی التخويف،والاسم:النُذُر.

والمنذر:المعلِّم الذی يعرّف القوم بما يكون قد دهمهم من عدوٍ أو غيره, و هو المخوّف أيضاً،وأصل الإنذار الإعلام. (١)

ففی قوله تعالی: (أَنْذَرْتَهُمْ) ،أی:أعلمتهم بما تحذرهم منه ولا يكون المعلِّم منذراً

١- (١) .لسان العرب:٢٠٢/٥-٢٠٣.

حتی یحذر بإعلامه،فکل منذر معلّم ولا عکس،ویقال:أنذره بالأمر أعلمه وحذّره وخوّفه فی إبلاغه.

وقوله تعالی: (وَ جاءَکُمُ النَّذِیرُ) ، (۱)النذیر فعیل بمعنی المنذر،أی المخوّف،ویقال:جاءکم النذیر یعنی:الشیب. (۲)

فمن معانی البلاغ قصد الإنذار،وکما قیل:

إن الإنذار:هو الإعلام و التحذیر و التخویف فی البلاغ. (۳)

فکلمه بلاغ الوارده فی قوله تعالی: (هـذا بَلاغٌ لِلنّاسِ وَ لِیُنْـذَرُوا بِهِ) ، (۴)أو قوله تعالی: (إِنَّ فِی هـذا لَبَلاغاً) ، (۵)یقول فیها بعض المفسرین:أن تعبیر بلاغ قد قصد به کون القرآن أو الإنذار الذی احتواه هو بلاغ للسامعین،أو ما أمر النبی صلّی الله علیه و آله بتبلیغه. (۶)

وسوف نذکر بعض آراء المفسّرین فی هذا المجال،فمثلاً یقول الشیخ الطبرسی رحمه الله:

الإنذار:معناه التخویف بوعده ووعیده،وأمثاله،وأمره ونهیه،ولیذکروا بما فیه، (۷)والإنذار فی قوله تعالی: (لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ) ، (۸)هو محاربه الوضع المنحرف بقوّه،والإنذار:هو التخویف مع التحذیر،فالقرآن جاء منذر قبل أن یکون مبشراً و قد جاءت بعض الآیات تحصر عمل النبی صلّی الله علیه و آله فی الإنذار. (۹)

وذکر بعض المفسّرین:

۱- (۱) .فاطر:۳۷.

۲- (۲) .مجمع البحرین:۴۹۱/۳.

۳- (۳) .دعوه النبی للأعراب،ینقلها عن القاموس المحیط/ماده نذر:۶۱۹.

۴- (۴) .إبراهیم:۵۲.

۵- (۵) .الأنبیاء:۱۰۶.

۶- (۶) .المعجم فی فقه لغه القرآن:۶۰۴/۶.

۷- (۷) .تفسیر مجمع البیان:۶۱۱/۴.

۸- (۸) .الشعراء:۱۹۴.

۹- (۹) .تفسیر مجمع البیان:۳۲۲/۷.

إنّ الإنـذار:هو بمعنی الإعلام و التحذير عن عواقب الأمور قبل حلولها و التخويف فی الإبلاغ،وربما يسـتشم من قوله تعالی: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً) ، (۱)ومن قوله تعالی: (إِنّا أَنْـذَرْناكُمْ عَذاباً قَرِيباً) . (۲)ومن غير ذلک ممّا يكثر ذكره فی الكتاب العزيز،إنّ الإنـذار هو الإعلام،إلّا أنّ أكثر اسـتعمالاته فی الإعلام المشـفوع بالتخويف،فالمنـذر منه فی هـذه الآيات هی الحصه الخاصه من العذاب و العقاب،وما هو مدلول اللغه هو مطلق التخويف و التهديد. (۳)

وفی قوله تعالی: (لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْـذِرِينَ) ،يدخل تحت الإنذار الدعاء إلی كلّ واجب من علم وعمل و المنع من كلّ قبيح؛لأن فی الوجهين جميعاً يدخل الخوف من العقاب. (۴)

وفی هذه الآيه الشريفه نفسها يقول السيد الطباطبائی:

(لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) أی:من الداعين إلی الله سبحانه بالتخويف من عذابه،و هو المراد بالإنذار فی عرف القرآن الكريم. (۵)

و قد ورد:

جاء نفر من اليهود إلی رسول الله صلّی الله عليه و آله فسأله أعلمهم فيما سأله،فقال:لأی شـیء سـميت محمد وأحمد وأبا القاسم وبشير ونذير وداعی؟

فقال النبی صلّی الله عليه و آله:

«أما الـداعی،فإنی أدعو الناس إلی دين ربی،و أما النذير فإنی أنذر بالنار من عصانی،و أما البشـير فإنی أبشـر بالجنه من أطاعنی». (۶)

إذاً:ثبت أنّ الإنذار مفرده أخری من مفردات التبليغ ومعنی من معانيه.

ص:۴۲

۱- (۱) .فصلت:۱۳.

۲- (۲) .النبأ:۴۰.

۳- (۳) .تفسير القرآن الكريم:۱۰۷/۳.

۴- (۴) .التفسير الكبير:۵۳۳/۸؛المنير:۲۲۲/۱۹.

۵- (۵) .الميزان فی تفسير القرآن:۳۱۹/۱۵.

۶- (۶) .كنز الدقائق وبحر الغرائب:۴۰۶/۱۰؛تفسير القمی:۳۶/۲؛علل الشرائع:۱۲۷/۱.

۳.التبشير

التبشير مفرده أخرى من مفردات التبليغ وأحد معانيه،فالتبشير:يكون بالخير و الشر،كقوله تعالى: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ) (۱). (۲)

والبشير:هو المبشر الذى يبشّر القوم بأمر خير أو شر. (۳)

ولهذا يذكر بعض المفسّرين:

البشير المخبر بالخير،وتستعمل الماده فى الشر أيضاً،قال تعالى: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ) . (۴)

وكلّ من يبشر فقد أنذر قبلها،وليس كلّ من ينذر يبشر بعدها،حيث البشاره تخص المؤمنين،ولا تأتى إلّا بعد النذاره،لمن يتأثر بالإنذار وبينهما عموم مطلق. (۵)

لذلك يقول الله سبحانه لنبيه صلّى الله عليه و آله: (وَ ما أَرْسَلْناكَ) [يا محمد] (إِلاّ مُبَشِّراً) (۶)بالجنه وثواب الله لمن أطاعه،ومخوفاً لمن عصاه بعقاب الله،وقال الحسن:

ما بعث الله نبياً قط إلّا و هو يبشر الناس إن أطاعوا الله بالمنعه فى الدنيا و الآخره،وينذر الناس أن عصوا عذاب الله فى الآخره.

والبشاره:الإخبار بما يظهر سروره فى بشره الوجه،تقول:بشره تبشيراً وبشاره،وبشاره الأنبياء عليهم السلام مضمنه بإخلاص العباده لله تعالى. (۷)

وفى جواب النبى صلّى الله عليه و آله لليهودى لما سأله عن معنى البشير،فقال:

«و أما البشير،فإنى أبشر بالجنه من أطاعنى». (۸)

۱- (۱) .الانشقاق:۲۴.

۲- (۲) .لسان العرب:۶۱/۴.

۳- (۳) .لسان العرب:۶۳/۴؛كتاب العين:۲۵۹/۶.

۴- (۴) .مواهب الرحمن فى تفسير القرآن:۴۱۴/۱.حينما يمر بقوله تعالى: (إِنّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً) البقره:۱۱۹.

۵- (۵) .الفرقان فى تفسير القرآن:۳۲۷/۲۴.

۶- (۶) .الفرقان:۵۶.

۷- (۷) .التبيان فى تفسير القرآن:۵۰۰/۷.

۸- (۸) .كنز الدقائق وبحر الغرائب:۴۰۶/۱۰؛تفسير القمى:۳۶۵/۲.

۴.التزکیه

وهی معنی آخر من معانی التبلیغ،و هدف من أهداف بعثه الأنبیاء علیهم السلام.والتزکیه فی اللغه:هی الإنماء،والتطهیر و البرکه و المدح وکله قد استعمل بالقرآن الکریم. (۱)

وبذلک یتلخص الهدف النهائی من بعثه الأنبیاء علیهم السلام فی دفع الإنسان علی مسیره التکاملی العلمی و العملی. (۲)

وفی معنی قوله تعالی: (هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ) . (۳)

قال الجبائی:

«معناه یستدعیهم إلی فعل ما یزکون به،من الإیمان و الصلاح». (۴)

ویقول الفخر الرازی:

وأعلم أنّ کمال الإنسان فی أمرین:

أحدهما:أن یعرف الحق لذاته.

الثانی:أن یعرف الخیر لأجل العمل به،فإن أخلّ بشیء من هذین الأمرین لم یکن طاهراً عن الرذائل و النقائص،ولم یکن زکیاً عنها،فلما ذکر صفات الفضل و الکمال أردفها بذکر التزکیه عن الرذائل و النقائض،فقال: (وَ یُزَکِّیهِمْ...) ،ومعناها:أن ما یفعله صلّی الله علیه و آله سوی التلاوه وتعلیم الکتاب و الحکمه،حتی یکون ذلک کالسبب لطهارتهم،وتلک الأمور ما کان یفعله علیه السلام من الوعد و الإیعاد،والوعظ و التذکیر،وتکریر ذلک علیهم،ومن التشبث بأمور الدنیا إلی أن یؤمنوا ویصلحوا.فقد کان صلّی الله علیه و آله یفعل من هذا الجنس أشیاء کثیره لیقوی بها دواعیهم إلی الإیمان،والعمل الصالح؛ولذلک مدحه تعالی بأنّه علی خلق عظیم،وأنه أوتی مکارم الأخلاق. (۵)

۱- (۱) .لسان العرب:۳۵۸/۱۴.

۲- (۲) .تفسیر الأمثل:۳۸۴/۱.

۳- (۳) .الجمعه:۲.

۴- (۴) .التبیان فی تفسیر القرآن:۴۶۷/۱.

۵- (۵) .التفسیر الکبیر:۵۹/۲،فی هذه الآیه الشریفه: (هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ) .

فالتزکیه هی:أن یتخلّی الإنسان عن الرذائل و الخبائث،ویتحلّی بالفضائل،فهی التربیه العملیه التی لها الأثر العظیم فی مطلق التربیه و التعلیم...وللتزکیه مراتب کثیره منها،الإرشاد المحض و إتمام الحجه. (۱)

ویقول محمد السبزواری:

أی:یطهرهم من دنس العقائد الجاهلیه وأعمالها القذره ویضرب لهم المثل بأقواله صلّی الله علیه و آله وبأفعاله وبأخلاقه الفاضله،وشیمه الطیبه،وسماته المبارکه. (۲)

وفی قوله: (یُزَکِّیهِمْ...) ،یقول الشیخ الطبرسی:

«یعرضکم لما تکونون به أزکیاء من الأمر بطاعه الله وإتباع مرضاته». (۳)

ویقول الشیخ الکاشانی:

أی لیطهرکم من أدناس الجاهلیه،ویصلح أمورکم،ویعرفکم ما تکونون به أزکیاء. (۴)

۵.الجدل

الطریق الآخر الذی وضعه الله تعالی أمام رسوله لدعوه الناس إلی الدین هو:المناظره و المجادله.ولکن أیه مجادله،المجادله بالتی هی أحسن،التی لا تنتهی بالمراء و العداء،قال الله تعالی: (وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) . (۵)یقول الراغب الأصفهانی:

الجدال:المفاوضه علی سبیل المنازعه و المغالبه. (۶)

و قد جاء فی القرآن الکریم و الروایات الإسلامیه نماذج للجدل المشروع المسموح

۱- (۱) .مواهب الرحمن فی تفسیر القرآن:۱۴۵/۲.

۲- (۲) .الجدید فی تفسیر القرآن:۱۸۳/۲،فی تفسیر قوله تعالی: (هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ) ؛نقلاً عن التبیان فی تفسیر القرآن:۳۰/۲.

۳- (۳) .تفسیر مجمع البیان:۴۳۰/۱.

۴- (۴) .فتح الله الکاشانی، زبده التفاسیر:۲۶۵/۱.

۵- (۵) .النحل:۱۲۵.

۶- (۶) .مفردات غریب القرآن:۸۹.

به الذی لم ینته إلی خصام،وفیما یلی نشیر إلی بعضـها،وهی تحدّد معاییر خاصه یسـتطیع المسلمون اتباعها لو أرادوا الخوض فی مناقشات ومناظرات خالیه من المراء و العداء.

قال الإمام العسـکری علیه السـلام عن آبائه عن الإمام الصادق علیه السلام و قد ذکر عنده الجدال فی الدین،وأن رسول الله صلّی الله علیه و آله و الأئمه علیهم السلام قد نهوا عنه،فقال الصادق علیه السلام:

>>لم ینه عنه مطلقاً لکنه نهی عن الجدال بغیر التی هی أحسن،أما تسمعون الله تعالی یقول: (وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْکِتابِ إِلاّ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) ، (۱)وقوله تعـالی: (ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) (۲)فالجدال بالتی هی أحسن قـد قرنه العلمـاء بالـدین،والجـدال بغیر التی هی أحسن محرّم وحرّمه الله تعـالی علی شـیعتنا،وکیف یحرم الله الجـدال جمله،و هو یقول: (وَ قالُوا لَنْ یَدْخُلَ الْجَنَّهَ إِلاّ مَنْ کانَ هُوداً أَوْ نَصاری) قال الله تعالی: (تِلْکَ أَمانِیُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ) ، (۳)فجعل علم الصدق و الإیمان بالبرهان،وهل یؤتی بالبرهان إلّا فی الجدال بالتی هی أحسن؟»

قیـل:یـا بن رسول الله فمـا الجـدال بـالتی هی أحسن و التی لیست بأحسن؟قال:«أما الجـدال بغیر التی هی أحسن أن تجادل مبطلاً فیورد علیـک باطلاً،فلا ترده بحجه قـد نصـبها الله تعالی ولکن تجحـد قوله،أو تجحـد حقاً یریـد ذلک المبطل أن یعین به باطله فتجحـد ذلک الحق مخافه أن یکون له علیک فیه حجه؛لأنّک لا تدری کیف المخلص منه،فذلک حرام علی شـیعتنا أن یصـیروا فتنه علی ضـعفاء أخوانهم وعلی المبطلین،أما المبطلون فیجعلون ضـعف الضعیف منکم إذا تعاطی مجادلته وضعفٌ فی یده حجه له علی باطله.

و أما الضـعفاء منکم فتغم قلوبهم لما یرون من ضـعف المحق فی یـد المبطل،و أما الجدال بالتی هی أحسن:فهو ما أمر الله به نبیه أن یجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحیاءه له.

ص:۴۶

۱- (۱) .العنکبوت:۴۶.

۲- (۲) .النحل:۱۲۵.

۳- (۳) .البقره:۱۱۱.

فقال الله حاكياً عنه: (وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ) ، (۱)فقال الله فی الرد علیه: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * اَلَّذِی جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) . (۲)

فأراد الله من نبیه أن یجادل المبطل الذی قال:کیف یجوز أن یبعث الله هذه العظام وهی رمیم؟فقال الله تعالی: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) ، (۳)أفیعجز من ابتدی به من لا شیء أن یعیده بعد أن یبلی؟بل ابتداؤه أصعب عندکم من أعادته،ثمّ قال: (الَّذِی جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً) ؛إذ أکمن النار الحاره فی الشجر الأخضر الرطب یستخرجها فعرفکم أنه علی إعاده ما بلی أقدر.

ثم قال: (أَ وَ لَيْسَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَ هُوَ الْخَلاّقُ الْعَلِيمُ) ، (۴)أی:إذا کان خلق السموات و الأرض أعظم وأبعد فی أوهامکم و قدرکم أن تقدروا علیه من إعاده البالی،فکیف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندکم و الأصعب لدیکم ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندکم من إعاده البالی؟!قال الصادق علیه السلام:فهذا الجدال بالتی هی أحسن لأن فیها قطع عذر الکافرین،وإزاله شبههم». (۵)

یقول محمد تقی الفلسفی:

لقد بین الإمام الصادق علیه السلام هاتین الآیتین الکریمتین فی مقام الجدل المشروع و المجادله بالتی هی أحسن،وفی کلتا المجادلتین أجیب السائل وانتهی الجدل بلا مراء وعداء. (۶)

ص:۴۷

۱- (۱) .یس:۷۸.

۲- (۲) .یس:۷۹ و ۸۰.

۳- (۳) .یس:۷۹.

۴- (۴) .یس:۸۱.

۵- (۵) .محمد باقر, المجلسی, بحار الأنوار:۲/۱۲۶.

۶- (۶) .البیان وفن الخطابه:۲۰۱.

وهکذا یقول الشیخ مکارم الشیرازی:

إذاً:فالمجادله بالتی هی أحسن:إشاره إلی الأدله التی تهدف إلی إفحام المخالفین من خلال إلزامهم بما به یقبلون....فالمجادله:تختص بتخلیه ذهن الطرف المخالف من الشبهات العالقه فیه و الأفکار المغلوطه لیکون مستعداً لتلقی الحق عند المناظره. (۱)

و هو خطاب للنبی صلّی الله علیه و آله بأن یناظرهم بالقرآن وبأحسن ما عنده من الحجج،وتقدیره بالکلمه التی هی أحسن،والمعنی أقتل المشرکین واصرفهم عما هم علیه من الشرک بالرفق و السکینه ولین الجانب فی النصیحه،لیکونوا أقرب إلی الإجابه فإن الجدل:هو فتل الخصم عن مذهبه بطریق الحجاج. (۲)

۶.النصح

اشاره

أصل النصح:الخلوص.

والناصح:الخالص من العسل وغیره،و هو نقیض الغش،ومنه قوله تعالی: (وَ أَنْصَحُ لَکُمْ) (۳). (۴)

قال ابن الأثیر:

النصیحه کلمه یعبر بها عن جمله هی إراده الخیر للمنصوح له،فلیس یمکن أن یعبر عن هذا المعنی بکلمه واحده تجمع معناها غیرها. (۵)

والنصیحه:هی إراده الخیر للأمه وإرشادهم إلی مصالحهم خالصه لوجه الله. (۶)

۱- (۱) .تفسیر الأمثل:۳۶۴/۸.

۲- (۲) .تفسیر مجمع البیان:۶۰۵/۶.

۳- (۳) .الأعراف:۶۲.

۴- (۴) .لسان العرب:۶۱۵/۲.

۵- (۵) .النهایه فی غریب الحدیث:۶۳/۵.

۶- (۶) .مولی محمد صالح, المازندرانی, شرح أصول الکافی:۹۸/۶.

فللنصح دور دائر لكل حائر تبقى حيرته لحد ما بعد ساطع البراهين الآفاقيه و الأنفسيه،وحقيقه النصح هى الإرسال إلى المصلحه مع خلوص النيه. (۱)

ومعنى أن النبى صلّى الله عليه و آله ينصح لهم:

هو عضاته بالإنذار و التبشير ليقربهم من طاعه ربهم ويبعدهم عن الاستكبار والاستنكاف عن عبوديته. (۲)

وتأكيداً لهذا المعنى أوضح القرآن على لسان بعض الأنبياء عليهم السلام أن وظيفتهم التبليغ و النصح؛لأن الدين النصيحه،فقال على لسان نوح عليه السلام: (أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ أَنْصَحُ لَكُمْ) . (۳)

وقال على لسان هود عليه السلام: (أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ أَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ) . (۴)

ونقرأ فى زياره النبى صلّى الله عليه و آله:

«وأشهد أنك قد بلغت الرساله،وأديت الأمانه،ونصحت للأمه». (۵)

وفى كتاب النبى إلى النجاشى:

«وإنى أدعوك إلى الله وحده،لا شريك له،والمولاه على طاعته،وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى،فإنى رسول الله،وإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجلّ،و قد بلغت ونصحت،فأقبلوا نصيحتى،والسلام على من أتبع الهدى». (۶)

الفرق بين تبليغ الرساله وبين النصيحه

المقصود من الرساله أمران:

الأول:تبليغ الرساله.

۱- (۱) .الفرقان فى تفسير القرآن:۱۹۲/۱۱.

۲- (۲) .الميزان فى تفسير القرآن:۱۷۵/۸.

۳- (۳) .الاعراف:۶۲.

۴- (۴) .الأعراف:۶۸.

۵- (۵) .محمدو, ابن المشهدى, المزار:۶۰.

۶- (۶) .شرح أصول الكافى:۱۱/۶.

الثانی:تقریر النصیحه،فقال تعالی: (أَبَلِّغُکَمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ أَنْصَحُ لَکَمْ) .

والفرق بینهما هو:

أن تبلیغ الرساله معناه،أن یعرفهم أنواع تکالیف الله وأقسامه وأوامره ونواهیه.

و أما النصیحه،فهو أن یرغبه فی الطاعه ویحذره عن المعصیه ویسعی فی تقریر ذلک الترغیب و الترهیب لأبلغ الوجوه.

وقوله تعالی: (وَ أَنْصَحُ لَکُمْ) ،قال الفرّاء:لا تکاد العرب تقول:نصحتک إنّما تقول:نصحت لک،ویجوز أیضاً نصحتک.

قال النابغه:

نَصَحتُ بنی عوف فلمْ یتقبلوا رسولی ولم تنجحْ لدیهم رسائلی

وحقیقه النصح الإرسال إلی المصلحه مع خلوص النیه من شوائب المکروه و المعنی:إنی أبلّغ إلیکم تکالیف الله،ثمّ أرشدکم إلی الأصوب الأصلح،وأدعوکم إلی ما دعانی وأحبّ إلیکم ما أحبه لنفسی. (۱)

۷.التذکیر

فهو من معانی التبلیغ:

ففی قوله تعالی: (وَ ذِکْری لِلْمُؤْمِنِینَ) ، (۲)قال ابن عبّاس:یرید مواعظ للمصدقین،وقال اللیث:الذکری اسم للتذکره. (۳)

وقوله تعالی: (هذا بَلاغٌ لِلنّاسِ) (۴)أی:هذا التذکیر و الموعظه بلاغ للناس،أی:کفایه فی الموعظه. (۵)

۱- (۱) .التفسیر الکبیر:۲۹۷/۵؛وهبه, الزحیلی, تفسیر المنیر:۲۵۷/۸؛تفسیر الأمثل:۹۴/۵؛التبیان فی تفسیر القرآن:۴۴۴/۴.
۲- (۲) .الأعراف:۲۱.
۳- (۳) .التفسیر الکبیر:۱۹۶/۵.
۴- (۴) .إبراهیم:۵۲.
۵- (۵) .التفسیر الکبیر:۱۱۴/۷.

فمهمّه الأنبياء علیهم السلام هی التذکیر و الإنذار و التبشیر لتحقیق الغایه القصوی من خلق المرسل إلیهم،فقوله تعالی: (إِنْ هُوَ إِلاّ ذِکْری لِلْعالَمِینَ) ، (۱)أی:إن تبلیغی تـذکیر للنـاس،بل عظه للثقلین من الإنس و الجن. (۲)ویقول الشـیخ الکاشانی فی هذه الآیه أیضاً:

أی:التبلیغ أو القرآن،أو الغرض إلا ذکری للعالمین إلا تذکیر،وعظه لهم. (۳)

فإرسال الرسل و الأنبیاء (ذِکْری) أی:تذکره نافعه،وموعظه حسنه مؤثره لیتعظوا ویصلحوا. (۴)

۸.الهدایه

الهـدایه تعنی:الإبانه و الإرشاد و التوضـیح.وقال أبو عمرو بن العلاء فی معنی قوله تعالی: (أَ وَ لَمْ یَهْدِ لَهُمْ) ، (۵)أو لم یبین لهم. (۶)

وفی لغه أهل الغور:هدیت لک،أی:بینت لک،وبها نزلت: (أَ فَلَمْ یَهْدِ لَهُمْ) (۷). (۸)

و سـمیت العصا هادیاً؛لأن الرجل یمسـکها فهی تهـدیه تتقـدمه،وکـذلک الـدلیل یسـمی هادیاً؛لأنه یتقدم القوم ویتبعونه ویکون یهدیهم للطریق. (۹)

وفی الحدیث:

«من هدی زقاقاً کان له مثل عتق رقبه،هو من هدایه الطریق،أی عرّف ظالاً أو ضریراً طریقه». (۱۰)

۱- (۱) .الأنعام:۹۰.

۲- (۲) .الجدید فی تفسیر القرآن:۶۲/۳؛التفسیر الصافی:۱۳۷/۲.

۳- (۳) .زبده التفاسیر:۴۲۶/۲؛کنز الدقائق وبحر الدقائق:۳۹۰/۴.

۴- (۴) .تفسیر مجمع البیان:۳۲۰/۷؛تفسیر المنیر:۱۳۷/۸؛الجدید فی تفسیر القرآن:۱۱۸/۳.

۵- (۵) .السجده:۲۶.

۶- (۶) .لسان العرب:۳۵۴/۱۵.

۷- (۷) .طه:۱۲۸.

۸- (۸) .کتاب العین:۷۸/۴.

۹- (۹) .کتاب العین:۷۸/۴؛لسان العرب:۳۷۵/۱۵.

۱۰- (۱۰) .النهایه فی غریب الحدیث:۲۵۴/۵.

وفی قوله تعالی: (وَ أَمّا ثَمُودُ فَهَدَیْناهُمْ) ، (۱)أی:عرفناهم،وبینا لهم الحق ودعوناهم إلیه،فاتبعوا الضلال وترکوا الهدی وهم یعلمون.

وقوله تعالی: (وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیم) معناه الدلاله،ومثله قوله تعالی: (فَاهْدُوهُمْ إِلی صِراطِ الْجَحِیم) ،وقوله تعالی: (قُلِ اللّهُ یَهْدِی لِلْحَقِّ) ،وقوله تعالی: (إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ) ،وقوله تعالی: (وَ ما کانَ اللّهُ لِیُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ) . (۲)

کلّ ذلک بمعنی الدلاله،وکذا قوله تعالی: (وَ هَدَیْناهُ النَّجْدَیْنِ) ؛ (۳)لأن الآیه وارده فی معرض الامتنان ولا یمن بالإیصال إلی طریق الشر.

وقوله تعالی: (وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا) ، (۴)أی:یهدون إلی شرائعنا،ویقال یدعون إلی الإسلام. (۵)

فالمراد بالهدایه إذاً:

«بیان الدلیل وشرحه وإیضاحه، (۶)و هو معنی من معانی التبلیغ».

۹.التبیین

التبیین و هو یعنی:الإیضاح،والوضوح،[یقال:]استبان الشیء،أی:ظهر،وأبَنْتُهُ،أی:أوضحته،وفلان أبین من فلان،أی أفصح منه وأوضح کلاماً.

والبیان:الإفصاح مع ذکاء.

ومنه قوله تعالی: (حم * وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ) ، (۷)أی:والکتاب البین.

۱- (۱) .فصلت:۱۷.

۲- (۲) .الآیات بترتیب:الشوری:۵۲؛الصافات:۲۳؛یونس:۳۵؛الإسراء:۹؛التوبه:۱۱۵.

۳- (۳) .البلد:۱۰.

۴- (۴) .الأنبیاء:۷۳.

۵- (۵) .مجمع البحرین:۴۷۳/۱.

۶- (۶) .تفسیر المنیر:۱۰۶/۱۶.

۷- (۷) .الدخان:۱-۲.

وقیل معنی: (الْمُبِینِ) الذی أبان طرق الهدی من طرق الضلاله،وأبان کلّ ما تحتاج إلیه الأمه. (۱)

ومنه حدیث آدم علیه السلام وموسی علیه السلام،أعطاک الله التوراه فیها تبیان کلّ شیء،أی:کشفه وإیضاحه.

ومعنی مبین،أی:بین الحق من الباطل،والحلال من الحرام،ومبین أن نبّوه نبینا صلّی الله علیه و آله حق. (۲)

والفرق بین البیان و التبیان هو:أن البیان جعل الشیء مبیناً بدون حجه،والتبیان جعل الشیء مبیناً مع الحجه. (۳)

وقوله تعالی: (یُبَیِّنُ لَکُمْ) ، (۴)تعمّ تبیین کلّما یحق تبیینه من الحقّ من ظاهر أو باطن دونما استثناء. (۵)

۱۰.الإرشاد

و هو-الإرشاد-تعبیر آخر عن التبلیغ.

«فالإرشاد:الدلاله و الهدایه،ورشد فلان إذا أصاب وجه الأمر و الطریق». (۶)

وإرشاد الضال:هدایته الطریق وتعریفه له،وقوله تعالی: (لَعَلَّهُمْ یَرْشُدُونَ) ، (۷)أی:لعلهم یصیبون الحق ویهتدون إلیه. (۸)

وأرشده الله،وأرشده إلی الأمر،ورشّده هداه،والإرشاد الهدایه،والدلاله.

۱- (۱) .لسان العرب:۶۷/۱۳-۶۸.

۲- (۲) .المصدر.

۳- (۳) .مجمع البحرین:۲۱۷/۶.

۴- (۴) .المائده:۱۹.

۵- (۵) .الفرقان فی تفسیر القرآن:۲۵۸/۸.

۶- (۶) .کتاب العین:۲۴۲/۶.

۷- (۷) .البقره:۱۸۶.

۸- (۸) .مجمع البحرین:۵۰/۳.

وفی أسماء الله تعالی الرشید:

هو الذی أرشد الخلق إلی مصالحهم،أی:هداهم ودلّهم علیها.وقیل:هو الذی تنساق تدبیراته إلی غایاتها علی سبیل السداد من غیر إشاره مشیر،ولا تسدید مسدّد. (1)

1- (1) .لسان العرب:175/3.

المبحث الرابع:معنی النبی وفرقه عن الرسول

١.النبی لغه

قال الشیخ الطوسی رحمه الله:

النبی فی العرف هو المؤدی عن الله تعالی بلا واسطه من البشر،ومعنی النبی فی اللغه یحتمل أمرین:

الأول:«المخبر واشتقاقه من الإنباء الذی هو الإخبار،ویکون علی هذا مهموز». (١)

و هـذا مـا أکـدت علیه کتب اللغه أیضاً،حیث ذکرت أنّ النبأ مهموز:الخبر،وان لفلان نبأ أی خبراً،والفعل نبأته وأنبأته وأستنبأته،والجمع:الأنباء.

والنبی صلّی الله علیه و آله ینبئ الأنباء عن الله عز وجلّ. (٢)

فقوله سبحانه وتعالی: (عَمَّ یَتَساءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِیمِ) ، (٣)النبأ واحد الأنباء وهی:الأخبار.

کذلک قوله تعالی: (نَبِّئْنا بِتَأْوِیلِهِ) ، (۴)أی:أخبرنا بتفسیره.

١- (١) .الطوسی،الاقتصاد الهادی إلی طریق الرشاد:١۵١.

٢- (٢) .کتاب العین:٣٨٢/٨؛لسان العرب:١۶٢/١،عن الفرّاء؛مجمع البحرین:۴٠۴/١.

٣- (٣) .النبأ:١ و ٢.

۴- (۴) .یوسف:٣۶.

وقوله تعالى: (وَ يَسْتَنْبِئُونَکَ) ، (۱)أی:یستخبرونک. (۲)

والهمز فی النبیء لغه ردیئه،یعنی:لقلّه استعمالها،لا لأنّ القیاس یمنع من ذلک.

ألا تری إلی قول سیدنا رسول الله صلّی الله علیه و آله و قد قیل یا نبیء الله،فقال له:

>>لا تَنْبر باسمی،فإنّما أنا نبی الله».

وفی روایه:

>>فقال لست بنبیء الله ولکن نبی الله». (۳)

الثانی:أن یکون مفیداً للرفعه وعلو المنزله واشتقاقه یکون من النباوه التی هی:الارتفاع.

ومتی أرید بهذا اللفظ علو المنزله فلا یجوز إلّا بالتشدید بلا همز،وعلی هذا یحتمل ما ورد عن النبی صلّی الله علیه و آله >>لا تنبروا باسمی»،أی:لا تهمزوه؛لأنه أراد علو المنزله،ولا یلزم أن یکون کلّ عال المنزله نبیاً لأنه بالعرف صارت هذه اللفظه مختصه بمن علت منزلته،لتحمله أعباء الرساله و القیام بأدائها. (۴)

و هذا المعنی أیدته کتب اللغه أیضاً،حیث قیل:

أن النبی مشتق من النبوه و النباوه،وهی الارتفاع عن الأرض،والمعنی أنه ارتفع وأشرف علی سائر الخلق فأصله غیر الهمز. (۵)

وهناک معنی آخر للنبی قد ذُکر فی کتب اللغه و هو أن النبی:

الطریق الواضح یأخذک إلی حیث ترید،وقول أوس بن حجر:

لأصبح رتما دقاق الحصی مکان النبی من الکاثب

هو ما سهل من الأرض،و هو:رمل بعینه. (۶)

۱- (۱) .یونس:۵۳.

۲- (۲) .مجمع البحرین:۴۰۴/۱۱.

۳- (۳) .المصدر.

۴- (۴) .الاقتصاد الهادی إلی طریق الرشاد:۱۵۱.

۵- (۵) .لسان العرب:۱۶۳/۱؛مجمع البحرین:۴۰۴/۱؛محمد, الصالحی الشامی, سبل الهدی و الرشاد:۲۷۸/۲.

۶- (۶) .کتاب العین: ۳۸۲/۱؛لسان العرب: ۱۶۴/۱.

۲.النبی اصطلاحا

النبی:هو الإنسان المخبر و المؤدی عن الله تعالی بغیر واسطه من البشر،أعم من أن یکون له شریعه کمحمد صلّی الله علیه و آله أو لیس له شریعه کیحیی علیه السلام. (۱)

وقال الشیخ المفید رحمه الله:

أن الأنبیاء سفراء الله باعتبار إبلاغهم أحکام الخالق إلی الخلائق،و هذا التبلیغ من أظهر صفات السفراء. (۲)

وقال السید الطباطبائی رحمه الله:

إن النبی هو الذی یبین للناس صلاح معاشهم ومعادهم من أصول الدین وفروعه علی ما اقتضته عنایه الله تعالی من هدایه الناس إلی سعادتهم. (۳)

ثمّ یقول:

وأعلم أن لوازم النبوه الوحی و هو نوع تکلیم إلهی تتوقف علیه النبوه،قال تعالی: (إِنّا أَوْحَیْنا إِلَیْکَ کَما أَوْحَیْنا إِلی نُوحٍ وَ النَّبِیِّینَ مِنْ بَعْدِهِ) (۴). (۵)

إذاً:فالنبی مصطلح إسلامی بمعنی:إنسان ذی منزله رفیعه عند الله یوحی إلیه،والنبوه منزله خاصه فُضِّل النبی بها بما آتاه الله من العلم وقرب المنزله من الله تعالی،وهی نحو تبلیغ للأحکام وقوانین مجعوله مشرعه. (۶)

و هذا ما أشار إلیه أمیر المؤمنین علیه السلام فی خطبه له یذکر فیها آدم علیه السلام،حیث قال:

<<فأهبطه إلی دار البلیه وتناسل الذریه،واصطفی سبحانه من ولده أنبیاء أخذ علی الوحی میثاقهم،وعلی تبلیغ الرساله أمانتهم،لما بدل أکثر خلقه عهد الله إلیهم،

۱- (۱) .مجمع البحرین:۴۰۴/۱؛الاقتصاد الهادی إلی طریق الرشاد:۱۵۱.

۲- (۲) .تصحیح اعتقادات الإمامیه:۳۲.

۳- (۳) .المیزان فی تفسیر القرآن:۱۴۳/۲.

۴- (۴) .النساء:۱۶۳.

۵- (۵) .المیزان فی تفسیر القرآن:۱۴۵/۲.

۶- (۶) .المیزان فی تفسیر القرآن:۱۵۰/۲.

فجهلوا حقه،واتخذوا الأنداد معه،واجتالتهم الشياطين عن معرفته،وأقتطعتهم عن عبادته،فبعث فيهم رسله،وواتر إليهم أنبياءه،ليستأدوهم ميثاق فطرته،ويذكروهم منسى نعمته،ويحتجوا عليهم بالتبليغ،ويثيروا لهم دفائن العقول،ويروهم آيات المقدره». (۱)

فالنبی،إذاً:هو صاحب هذه المنزله الرفیعه،وصاحب هذه المقامات العالیه،و هو الذی یقود الناس نحو الله تعالی فی عباداتهم ومعاشهم وفی کل أمورهم،وبحثنا خاص بدراسه أسالیب تبلیغ هؤلاء الذین أشعلوا الشموع فی طریق الإنسانیه جمعاء لکی تستنیر بهداهم وتسیر بخطاهم نحو الله تعالی ونحو الکمال المطلق الذی لیس بعده کمال.

۳.الفرق بین النبی و الرسول

الرسول:هو الذی ینزل علیه الوحی من قبل الله تعالی برساله أو بکتاب،أو بصحیفه, أو أمر أو نهی،وغیر ذلک،ویکون بسبب ذلک مبلغاً عن الله تعالی إلی المرسل إلیه من عباده،وإلی المکلفین من خلقه. (۲)

أو بعباره:

ثنقل هو المبعوث من قبل الله تعالی لهدایه الإنسان وتکلیمه. (۳)

ومن هذا المنطلق یکون الفرق بینه وبین النبی من جهات:

الجهه الأولی

فی لزوم وجود شریعه وعدمه،ولزوم التبلیغ وعدمه،فالنبی:

هو الإنسان المخبر عن الله تعالی بغیر واسطه أحد من البشر أعم من أن یکون له

۱- (۱) .المصدر:۱۴۹/۲؛الإمام علی علیه السلام نهج البلاغه:۲۳/۱.

۲- (۲) .الأنبیاء حیاتهم-قصصهم:۹.

۳- (۳) .مواهب الرحمن فی تفسیر القرآن:۱۴۳/۲.

شریعه،کمحمد صلّی الله علیه و آله أو لیس له شریعه کیحیی علیه السلام،مأمور من الله تعالی بتبلیغ الأوامر و النواهی إلی قوم أم لا.

والرسول:هو الإنسان المخبر عن الله تعالی بغیر واسطه من البشر وله شریعه إما مبتدأه کآدم علیه السلام أو تکمله لما قبلها،کمحمد صلّی الله علیه و آله مأمور من الله تعالی بتبلیغ الأوامر و النواهی إلی قوم. (۱)

وورد فی الروایات أن الأنبیاء علی أربعه طبقات،فعن أبی عبد الله علیه السلام أنه قال:

«الأنبیاء و المرسلون علی أربع طبقات:فنبی منبأ فی نفسه لا یعدو غیرها،ونبی یری فی النوم ویسمع ولا یعاینه فی الیقظه ولم یبعث إلی أحد،وعلیه إمام مثل ما کان إبراهیم علی لوط.ونبی یری فی النوم ویسمع ویعاین الملک فی الیقظه،و قد أرسل إلی طائفه-قلّوا أو کثروا-کیونس علیه السلام،قال تعالی: (وَ أَرْسَلْناهُ إِلی مِائَهِ أَلْفٍ أَوْ یَزِیدُونَ) ،قال:یزیدون ثلاثین ألفاً،وعلیه إمام و الذی یری فی نومه ویسمع ویعاین فی الیقظه،و هو إمام مثل أولی العزم،و قد کان إبراهیم نبیاً ولیس بإمام،حتی قال الله تعالی: (إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قالَ لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ) (۲)من عبد صنماً أو وثناً لا یکون إماماً». (۳)

وفی الحدیث الشریف عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال:

<<إن الله تبارک وتعالی اتخذ إبراهیم علیه السلام عبداً قبل أن یتخذه نبیاً،وان الله اتخذه نبیاً قبل أن یتخذه رسولاً،وان الله اتخذه رسولاً قبل أن یتخذه خلیلاً،وان الله اتخذه خلیلاً قبل أن یتخذه إماماً». (۴)

وفی المروی الصحیح عن محمّد بن یحیی عن أحمد بن محمّد عن الحسن بن محبوب عن الأحول قال:

ص:۵۹

۱- (۱) .النکت الاعتقادیه:۳۴.

۲- (۲) .الآیات:الصافات:۱۴۷؛البقره:۱۲۴.

۳- (۳) .المازندرانی, شرح أصول الکافی:۱۷۴/۱.

۴- (۴) .تفسیر نور الثقلین:۵۱۲/۳.

سـألت أبـا جعفر عليه السـلام عن الرسول و النبى و المحـدث؟قـال:>>الرسول الـذى يـأتيه جبرائيل قبلًا، (۱)فيراه ويكلمه،فهذا الرسول،و أما النبى فهو الذى يرى فى منامه نحو رؤيا إبراهيم،ونحو ما كان رأى رسول الله صلّى الله عليه و آله من أسـباب النبوه قبـل الوحى حتى أتـاه جبرائيـل عليه السـلام من عنـد الله بالرسـاله،وكـان محمـد صلّى الله عليه و آله حين جمع له النبوه وجاءته الرساله من عنـد الله يخبر بها جبرائيل عليه السـلام ويكلمه بها قبلًا،و هو من الأنبياء من جمع له النبوه ويرى فى منامه ويأتيه الروح ويكلمه ويحدثه من غير أن يكون يرى فى اليقظه،و أما المحدث فهو الذى يحدث فيسمع ولا يعاين ولا يرى فى منامه». (۲)

والذى نفهمه من هذا الحديث وغيره من الأحاديث المعتبره أنه قد يجمع لشـخص واحد النبوه و الرساله و الإمامه ك:نبينا محمد صلّى الله عليه و آله وإبراهيم عليه السـلام وغيرهمـا،فقـد كـان إبراهيم نبيـاً،وليس بإمـام حتى قال الله تعالى: (إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِی قالَ لا يَنالُ عَهْدِی الظّالِمِينَ) . (۳)

الجهه الثانيه

إنّ النبى يجب أن يكون من البشر،بخلاف الرسول،فقد يكون من الملائكه كجبرائيل وعزرائيل وغيرهما،[قال الله تعالى[: (قالُوا يا لُوطُ إِنّا رُسُلُ رَبِّکَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْکَ) ، (۴)قال الشـيخ الطوسـى:لا توصف الملائكه بأنهم أنبياء و إن كان فيهم رسل من قبل الله تعالى. (۵)

و قد يكون طيراً كهدهد سـليمان بن داود[الذى أرسله إلى ملكه سبأ]أوغير ذلك من قبل الله أو من قبل المخلوق،[كما أشار إلى ذلك الشيخ الطوسى رحمه الله حينما تعرض للفرق بين النبى و الرسول،قال:

ص:۶۰

۱- (۱) .أى عياناً ومقابله.

۲- (۲) .تفسير نور الثقلين:۵۵۱/۳.

۳- (۳) .البقره:۱۲۴.

۴- (۴) .هود:۸۱.

۵- (۵) .الاقتصاد الهادى إلى سبيل الرشاد:۱۵۱.

إن النبی لا یکون إلّا صاحب المعجز الذی ینبئ عن الله،أی یخبر،والرسول إذا کان رسول الله فهو بهذه الصفه،و قد یکون الرسول رسولاً لغیر الله،فلا یکون بهذه الصفه (۱)کما هو واضح. (۲)

الجهه الثالثه

ما ذکره السید الطباطبائی:

إنّ النبی و الرسول کلیهما مرسلان إلی الناس،غیر أن النبی بعث لینبئ الناس بما عنده من نبأ الغیب لکونه خبیراً بما عند الله،والرسول هو المرسل برساله خاصه زائده علی أصل نبأ النبوه کما یشعر به أمثال قوله تعالی: (وَ لِکُلِّ أُمَّهٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ) ، (۳)وقوله تعالی: (وَ ما کُنّا مُعَذِّبِینَ حَتّی نَبْعَثَ رَسُولاً) . (۴)فلازمه أن للرسول شرف الوساطه بین الله وبین عباده،وللنبی شرف العلم بالله وبما عنده. (۵)

و قد وردت روایات أهل البیت علیهم السلام لتبین بعض الفوارق بین الرسول،والنبی،والمحدث.

فقد روی عن أحمد بن محمد بن أبی نصر،عن ثعلبه بن میمون،عن زُرَاره،قال:

سألت أبا جعفر علیه السلام عن قول الله عز وجلّ: (...وَ کانَ رَسُولاً نَبِیًّا) ، (۶)ما الرسول؟وما النبی؟فقال:«النبی الذی یری فی منامه،ویسمع الصوت،ولا یعاین الملک،والرسول الذی یسمع الصوت،ویری فی منامه ویعاین الملک».

۱- (۱) .التبیان فی تفسیر القرآن:۳۴/۴.

۲- (۲) .مواهب الرحمن فی تفسیر القرآن:۱۴۳/۲؛والأنبیاء حیاتهم-قصصهم:ص۹؛وأشیر إلیه فی تفسیر مجمع البیان:۱۴۴/۷.

۳- (۳) .یونس:۴۷.

۴- (۴) .الإسراء:۱۵.

۵- (۵) .المیزان فی تفسیر القرآن:۱۴۳/۲،فی تفسیر قوله تعالی: (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ) .

۶- (۶) .مریم:۵۱.

قلت:الإمام ما منزلته؟قال:«يسمع ولا يرى،ولا يعاين الملك».ثمّ تلا هذه الآيه: (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ) (۱). (۲)

كذلك ما روى عن أحمد بن محمد ومحمد بن يحيى عن محمد بن الحسين،عن على بن حسان،عن ابن فضال،عن على بن يعقوب الهاشمى،عن مروان بن مسلم،عن بريد،عن أبى جعفر وأبى عبد الله عليه السلام فى قوله عز وجلّ: (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ) ،قلت:جعلت فداك ليس هذه قراءتنا فما الرسول و النبى و المحدث؟

قال:«الرسول الذى يظهر له الملك فيكلمه،والنبى هو الذى يرى فى منامه،وربّما اجتمعت النبوه و الرساله لواحد،والمحدّث الذى يسمع ولا يرى الصوره.

قال:قلت:أصلحك الله كيف يعلم أن الذى رأى فى النوم حقّ وأنّه من الملك؟

قال:«يوفق لذلك حتى يعرفه،لقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبيكم الأنبياء». (۳)

إذاً:فالنبوه و الرساله مقامان،خاصّه أحدهما الرؤيا وخاصه الآخر مشاهده ملك الوحى،وربّما اجتمع المقامان فى واحد فاجتمعت الخاصتان،وربّما كانت بنبوه من غير رساله،فتكون الرساله أخصّ من النبوه مصداقاً لا مفهوماً،كما يصرّح به الحديث الوارد عن شيخ الصدوق عن عتبه الليثى عن أبى ذر رحمه الله،قال:

قلت:يا رسول الله كم النبيون؟قال:«مائه وأربعه وعشرون ألف نبى».قلت:كم المرسلون منهم؟قال:«ثلاثمائه وثلاثه عشر جمعاً غفيراً».قلت:من كان أوّل الأنبياء،قال:«آدم».قلت:وكان من الأنبياء مرسلاً،قال:«نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه». (۴)

فعباره:كم المرسلون منهم،تدلّ على أن الرساله أخص من النبوه ولا عكس،وبذلك

۱- (۱) .الحج:۵۲.

۲- (۲) .الكافى:۱۷۶/۱.

۳- (۳) .تفسير نور الثقلين:۵۱۱/۳؛الكافى:۱۷۷/۱.

۴- (۴) .الخصال:۵۲۴؛معانى الأخبار:۳۳۲.

یظهر الجواب عمّـا اعترضه بعضـهم علی دلالـه قوله تعالی: (وَ لکِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِیِّینَ) ، (۱)أنه إنما یـدل علی ختم النبوه دون ختم الرساله،مستدلاً بهذه الروایه ونظائرها.

والجواب:

أنّ النبوه أعم مصـداقاً من الرسـاله،وارتفـاع الأعمّ یسـتلزم ارتفاع الأخص،ولا دلاله فی الروایات کما عرفت علی العموم من وجه بین الرساله و النبوه،بل الروایات صریحه فی العموم المطلق. (۲)

۱- (۱) .الأحزاب:۴۰.

۲- (۲) .المیزان فی تفسیر القرآن:۱۴۷/۲-۱۴۸.

الفصلُ الأول: شروط التبليغ و المبلّغ وفيه مبحثان

اشاره

ص:۶۵

المبحث الأول:شروط المبلّغ

اشاره

إنّ من أهم الأركان التی لها أثر کبیر فی نجاح التبلیغ،هو صفات المبلّغ وخصائصه الذاتیه،وما ینبغی أن یتوفر علیه من شروط ومميزات تمیزه عن الآخرین،وتزید من تأثیره و قدرته التبلیغیه،مستلهماً ذلک من القرآن الکریم وشخصیات الأنبیاء علیهم السلام.

فالمبلّغ إنّما یستطیع أن یصل إلی مشارف الموفقیه و النجاح،وأن یتبوأ مکانته الحقیقیه-کامتداد لطریق الأنبیاء و الذود عن القیم الدینیه-فیما لو توفّرت فیه الشروط العلمیه،والأخلاقیه،والعملیه التی یری الإسلام ضروره توفرها فی الدعاه إلی طریق الله و القیم الإنسانیه و الإسلامیه.

و إذا لم یتوفّر فی المبلّغ الحد الأدنی من هذه الصفات،فإنّ جهوده التبلیغیه سوف لا تعطی أی ثمره،بل تنعکس علیه،وعلی المجتمع بأضرار ومخاطر جمّه.

ومن أهم تلک الشروط و الصفات:

١.الوعی

الوعی لغه:هو حفظ حدیث ونحوه،ویقال فلان أوعی من فلان،أی:أحفظ وأفهم. (١)

ص:٦٧

١- (١) .کتاب العین:٢٧٢/٢؛الصحاح:٢٥٢٥/٦؛معجم مقاییس اللغه:١٢٤/٦؛تاج العروس:٢٦٨/٢٠.

وزاد فی لسان العرب ومجمع البحرین:

أنه فی الحدیث:«نظر الله امرأ سمع مقالتی فوعاها،فربّ مبلّغ أوعی من سامع».وقال الأزهری:الوعی:الحافظ الکیس الفقیه العالم. (۱)

وفی قوله تعالی: (وَ تَعِیَها أُذُنٌ واعِیَهٌ) ، (۲)أی:وتحفظها أذن حافظه،یقال:وعیت العلم،ووعی قلبه العلم یعیه وعیاً.وقال الشاعر:

إذا لم تکن واعیاً حافظاً فجمعک للکتب لا ینفع

فمعنی:واعیه ممسکه ما یحصل فیها. (۳)

و قد ورد فی الحدیث:

>>لا یعذب الله قلباً وعی القرآن»،أی:عقل القرآن إیماناً به وعملاً،فأما من حفظ ألفاظه وضیع حدوده فأنه غیر واعٍ له. (۴)

و أما فی الاصطلاح:فیقول صاحب تفسیر الأمثل:

إن الإنسان تاره یسمع کلاماً ما إلّا أنه کأن لم یسمعه،وفی التعبیر السائد:یسمع بأذن ویخرج من الأخری.

وتاره أخری یسمع الکلام ویفکر فیه ویتأمله،ویجعل ما فیه خیر فی قلبه،ویعتبر الإیجابی منه مناراً یسیر علیه فی طریق حیاته و هذا ما یعبر عنه ب-(الوعی). (۵)

ثمّ یقول فی موضع آخر:

وخلاصه القول أنه یجب أن تتوفر فی الخطیب أو[المبلغ]عناصر الوعی و التفکر الصحیح و المتابعه لشؤون المسلمین،لیستثمر الخطبه فی تحقیق الأهداف الإسلامیه العلیا،ویدفع المسلمین نحوها. (۶)

۱- (۱) .لسان العرب:۳۹۶/۱۵؛ومجمع البحرین:۵۲۳/۴.

۲- (۲) .الحاقه:۱۲.

۳- (۳) .التبیان فی تفسیر القرآن:۹۸/۱۰.

۴- (۴) .مجمع البحرین:۵۲۳/۴؛علی ابن الطاهر, المرتضی, الأمالی:۸۴/۲.

۵- (۵) .تفسیر الأمثل:۵۷۹/۱۸،حینما یمرّ بقوله تعالی: (وَ تَعِیَها أُذُنٌ واعِیَهٌ) .

۶- (۶) .تفسیر الأمثل:۳۴۴/۱۸.

ولهذا ینبغی أن یکون المبلّغ علی مستوی کافٍ من الوعی و البصیره،فهو الممثل للوعی الرسالی فی أعلی مستویاته،و هو الحامی و الداعم له.

فإذا أراد المبلّغ أن یؤدی وظیفته بنجاح ینبغی علیه أن یکون واعیاً لما یرید أن یتناوله ویطرحه علی الناس،ملتفتاً للغزو الثقافی و الفکری،ومتمکناً من ردّ الشبهات التی تثار من حوله،وأن یطرح مطالبه دائماً بطریقه استدلالیه علمیه مقبوله عقلیاً وعلمیاً ودینیاً،مستعیناً علی ذلک بالقرآن الکریم،وسیره النبی صلی الله علیه وأله وأهل بیته الکرام علیهم السلام،کی یصغی الجمهور إلی قوله ویتلقوه بقبول حسن علی أساس ما یتمتع به من وعی وصلاحیه علمیه وکفاءه معرفیه.

ولو أن العلماء و المبلغین و الهادین و المرشدین شنوا حمله شامله لتنویر أفکار عامه الناس بحیث تنال المجتمعات قسطاً من الوعی و الرشد الفکری والاجتماعی،لانتشرت رساله السماء بأسرع وأفضل صوره ولسارت قیم الخیر و الصلاح فی مجتمعاتنا عامه.

ومن الواضح

أنه کلما ازداد مقام الإنسان من حیث العلم و الوعی و المعرفه و الإیمان،ازدادت قیمه وعمق ومنطقیه الأعمال الخیره التی یقوم بها،بدرجه نسبه الوعی و العلم و المعرفه. (۱)

ویتضح هذا المعنی أیضاً فی کثیر من الأحادیث و الروایات الشریفه،فعن النبی صلّی الله علیه و آله أنه قال:

«للعدل أربع شعب:غوص الفهم،وزهره العلم،وشرائع الحکم،وروضه الحلم،فمن غاص الفهم فسر مجمل العلم،ومن وعی زهره العلم عرف شرائع الحکم،ومن ورد روضه الحلم،لم یفرط فی أمره وعاش فی الناس و هو فی راحه». (۲)

إذاً:فبإمکاننا بعد هذا الذی تقدم أن نعتبر أن الوعی الذی یحتاجه المبلّغ هو:

المعرفه التامه و الکامله بالمبدأ و الهدف الذی یسعی إلیه،و هو الرشد الفکری

۱- (۱) .تفسیر الأمثل:۷۷/۹.

۲- (۲) .کنز العمال:۲۸۷/۱؛معدن الجواهر:۴۱.

والاجتماعی،الذی یمکنه من إدراک الحقائق،وفهم وتمییز ما یدور حوله من شؤون المسلمین وغیر المسلمین-من مخططات الأعداء و المغرضین-ویجعله یقضاً عارفاً بالظروف الزمانیه و المکانیه والاجتماعیه و السیاسیه التی یمر بها،وقادراً علی التعامل معها بکل تعقل وحکمه.

فالوعی صفه مشترکه بین کل المسئولین عن التبلیغ،سواء کانوا أنبیاء أو أوصیاء أو علماء أو صلحاء،لذلک یحدّثنا القرآن الکریم علی لسان نبینا الأکرم صلی الله علیه وآله: (قُلْ هذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اللّهِ عَلی بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی) . (۱)

فالنبی صلّی الله علیه و آله،ومن یخطو علی خطاه یجب أن یکون علی مستوی عالٍ من الوعی و البصیره التی یتمکن بها من رؤیه الحقائق وتمییز الحق من الباطل،والصحیح من الخطأ،والخیر من الشر.

یقول الشیخ الطوسی:

والبصیره:المعرفه التی یمیز بها بین الحق و الباطل فی الدین و الدنیا،یقال:فلان علی بصیره من أمره أی کأنه یبصر بعینه. (۲)

قال تعالی: (قَدْ جاءَکُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّکُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِیَ فَعَلَیْها وَ ما أَنَا عَلَیْکُمْ بِحَفِیظٍ) . (۳)

فالمبلغ الواعی الذی یمیز الحق ویعمل به ویهدی الناس إلیه هو أولی بالأتباع ممن هو محتاج إلی الهدایه: (أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لا یَهِدِّی إِلاّ أَنْ یُهْدی) . (۴)

أما المبلّغ غیر العالم،والفاقد للوعی و البصیره،فهو یتبع الهوی ویسیر علی غیر هدی و قد نهی الله تبارک وتعالی عن إتباعه،قال عز من قائل: (وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ) . (۵)

۱- (۱) .یوسف:۱۰۸.

۲- (۲) .التبیان فی تفسیر القرآن:۲۰۵/۶،فی تفسیر قوله تعالی: (قُلْ هذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اللّهِ عَلی بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی) .

۳- (۳) .الأنعام:۱۰۴.

۴- (۴) .یونس:۳۵.

۵- (۵) .الجاشیه:۱۸.

ويؤكد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى, فينهى عن التكلم بغير علم ووعى وبصيره فيقول عليه السلام:

>>ولا تقل ما لا تعلم؛فتتهم بأخبارك بما تعلم!». (۱)

وعنه عليه السلام:

>>لا تخبر بما لم تحط به علماً». (۲)

وعنه عليه السلام:

>>استصحبوا من شعله واعظ متعظ،وأقبلوا نصيحه ناصح متيقظ،وقفوا عند ما أفادكم من التعليم». (۳)

ويخاطب همّام فيقول:

>>يا همام!المؤمن هو الكيس الفطن». (۴)

حيث أنه الكياسه و الفطنه من شروط المبلّغ المؤمن الواعى.

ويمكن أن نصوّر الوعى لدى المبلّغ فى كثير من المجالات،ونجعله يشمل كثيراً من الموارد:

فمن موارده:التدبر فالمبلغ إذا أراد أن ينجز عملاً ما،أو يقدم على مشروع معين،فعليه أن يتدبر ويفكر فى نتائجه وعاقبته،فأن يك خيراً وفيه مصلحه فليفعل وإلّا فليترك.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

>>إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته،فأن يك خيراً ورشداً فأتبعه وان يك غياً فدعه». (۵)

ومن أهمّ وأخطر ما يقوم به الإنسان هو وظيفه التبليغ الدينى،لذا يجب أن يتوفر على تدبر وتفكر واعى ودقيق.

ومن موارده:الاستقلاليه،فينبغى للمبلّغ الواعى أن لا يكون أداه وآله بيد الحكومه،

ص:۷۱

۱- (۱) .عيون الحكم و المواعظ:۵۳۰،حديث ۹۶۳۹.

۲- (۲) .غرر الحكم ودرر الكلم:۱۰۲۷۹.

۳- (۳) .عيون الحكم و المواعظ:۲۱۶۴/۹۲.

۴- (۴) .أصول الكافى:۲۲۶/۲.

۵- (۵) .بحار الأنوار:۱۳۰/۷۷.

والأحزاب و الفئات،فهو مبلغ ومرشد،ومعلماً وهادياً لجميع الناس،فلا ينبغی له أن يميل أو ينحاز لحزب أو لفئه خاصه،و هذا ما نستلهمه من حياه المبلّغ الأعظم،نبينا الأكرم صلّی الله عليه و آله،حيث إنه علمنا علی عدم الانحياز إلی،أی:جهه مهما كانت،فلما دخل صلّی الله عليه و آله المدينه استقبله الناس،وكانت القبائل تدعوه لتتشرف به،وكبار المدينه وأعيانها يتسابقون علی الإمساك بعنان الناقه وهدايتها إلی بيوتهم ليتشرفوا بوجود النبی صلّی الله عليه و آله فی بيوتهم.ولكن النبی صلّی الله عليه و آله لوعيه وبصيرته قال لهم:<<خلو سبيلها فأنها مأموره». (۱)

وبذلك أثبت لجميع المسلمين وأهل المدينه عدم انحيازه لأحد.

إذاً:فالوعی و البصيره من أوائل الشروط الضروريه و المهمه التی ينبغی أن يتّصف ويتسلح بها المبلّغ،فی جميع المواطن و الظروف التی يمر بها.

۲.الشجاعه

ومن الصفات الأخری التی يتحلّی بها المبلّغ الشجاعه و الإراده القويه،والعزم الراسخ و المستحكم،وذلك إنما يحصل بعد الإيمان بالمبدأ و الغايه و الهدف،بل بعدما يصل المبلّغ إلی إنكار ذاته من أجل مبدئه وهدفه،والتضحيه فی سبيله بكل غالٍ ونفيس،وذلك بدافعٍ قوی من إيمانه الراسخ،جاعلاً قدوته فی هذا الطريق الملیء بالمصاعب هم الأنبياء عليهم السلام بصوره عامه،ونبينا الأكرم صلّی الله عليه و آله بصوره خاصه،فله بهم أسوه حسنه،حيث أنهم لاقوا ما لاقوا من المصاعب و المشاكل و المحن و الآلام فی هذا الطريق ولكنهم واجهوها بكل شجاعه وإراده وحزم.

فهذا نبينا صلّی الله عليه و آله لمّا أرادت منه قريش أن يترك تبليغ الرساله مقابل عوض يعطوه إياه،تصدی لهم بكل شجاعه،وقوه جازماً غير متزلزل ولا متردد،قائلاً:

<<والله لو وضعوا الشمس فی يمينی و القمر فی شمالی علی أن أترك هذا الأمر ما تركته». (۲)

ص:۷۲

۱- (۱) .بحار الأنوار:۱۰۸/۱۹.

۲- (۲) .ابن أبی الحديد, المعتزلی, شرح نهج البلاغه:۵۴/۱۴؛أبی الفداء إسماعيل, ابن كثير, السيره النبويه:۴۷۴/۱.

فلأنه صلّی الله علیه و آله علی أتم الإیمان بمبدئه وغایته وهدفه،صار ذا شجاعه وقوه وعزم وصلابه وثبات فی کل الظروف و المواطن التی مر بها صلّی الله علیه و آله ومنها مباهلته مع نصاری نجران،فقد استعد صلّی الله علیه و آله للمباهله مع النصاری،وقبل أن یتحمّل الهلاک،ولعنه الله إن کان من الکاذبین،وحاشاه من ذلک،وأخرج معه أعز أهله وأولاده،-وذلک لإیمانه الکبیر بأحقیه طریقه ومسلکه الذی سلکه فأنتج عنده هذه الشجاعه و القوه فی مواجهه الکفار-کما فی قوله تعالی: (فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَی الْکاذِبِینَ) . (۱)

و قد أثمرت تلک الشجاعه و الإراده القویه تلک الانتصارات و الفتوحات العظیمه و الکبیره فی کل العالم.

فإذاً:الشجاعه التی ینبغی أن یتصف بها المبلّغ هی:القدره،والجرأه فی بیان الحقائق،ومواجهه الانحرافات و الأباطیل و الشبهات و البدع بحزم وقطع تام،وبیان نهج المجرمین وأسالیبهم ومؤامراتهم،کما أمر الله عز وجلّ بذلک فقال: (وَ لِتَسْتَبِینَ سَبِیلُ الْمُجْرِمِینَ) ، (۲)فیعرضها للجمیع ولا یکتمها خوفاً من المستکبرین و الطغاه و الظالمین،ولا یخشی فی ذلک أحد إلّا الله عز وجلّ: (الَّذِینَ یُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللّهِ وَ یَخْشَوْنَهُ وَ لا یَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللّهَ) . (۳)

هذا ما ینبغی أن یتحلّی به المبلّغ من الشجاعه و الإراده القویه وإلّا فهو معرض للعنه الله،حیث قال النبی صلّی الله علیه و آله:

<<إذا ظهرت البدع فی أمتی فلیظهر العالم علمه فمن لم یفعل فعلیه لعنه الله». (۴)

ص:۷۳

۱- (۱) .آل عمران:۶۱.

۲- (۲) .الأنعام:۵۵.

۳- (۳) .الأحزاب:۳۹.

۴- (۴) .أصول الکافی:۵۴/۱.

فلو داخل العالم أو المبلّغ نوع من الجبن أو التقاعس و التماهل وفقد الشجاعه على نشر رسالته،سوف يكون مقصراً ومحاسباً ومسئولاً عن عدم القيام بوظيفته التی هی بیان الحق فی الظروف التی یحتاج فیها الناس إلی معرفه الحق،فوضیفته أن یوضّح الحق ویظهره بکلّ شجاعه وجرأه إتباعاً واقتداءً بالأنبیاء الکرام علیهم السلام.

فهذا نبی الله إبراهیم علیه السلام یحمل علی الأصنام ویقول بکل شجاعه: (وَ تَاللّهِ لَأَکِیدَنَّ أَصْنامَکُمْ) . (۱)

و هذا النبی موسی علیه السلام یهدّد السامری بکل جرأه وثقه قائلاً: (وَ انْظُرْ إِلی إِلهِکَ الَّذِی ظَلْتَ عَلَیْهِ عاکِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِی الْیَمِّ نَسْفاً) . (۲)

وذاک النبی سلیمان علیه السلام،یبعث رساله إلی ملکه سبأ(بلقیس)ویأمرها بکل قوه وثبات بأن تخضع لحکم الله،وتأتی ومن معها وهم مسلمون،کما فی قوله تعالی (أَلّا تَعْلُوا عَلَیَّ وَ أْتُونِی مُسْلِمِینَ) . (۳)

لذلک یجب علی المبلّغ أن یکون صلباً ولا یهاب لومه اللائمین فی سبیل تبلیغ رسالته کما قال تعالی: (یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ لا یَخافُونَ لَوْمَهَ لائِمٍ) . (۴)

و هذا ما أکده الأنبیاء علیهم السلام فی طول مسیرتهم التبلیغیه،و قد وصّی به نبینا الأکرم صلی الله علیه وآله معاذاً حینما أرسله للتبلیغ فی بلاد الیمن،فقال:<<ولا تَخَفْ فی الله لومه لائم». (۵)

بهذا المستوی من الشجاعه ینزل المبلّغ الحقیقی إلی الساحه ویظهر ما یحمله من رساله إلی الناس ویفجر کلّ طاقاته،ویستخدم کلّ الأسالیب و الوسائل التی یملکها للوصول إلی قناعه الآخرین،فیفتح لهم أبواب الهدی،ویهیأ لهم أجواء الفلاح ویصبر،

۱- (۱) .الأنبیاء:۵۷.

۲- (۲) .طه:۹۷.

۳- (۳) .النمل:۳۱.

۴- (۴) .المائده:۵۴.

۵- (۵) .أعیان الشیعه:۲۹۹/۱.

ويتحمل،ويجسد أخلاق الأنبياء عليهم السلام،ليغير الواقع،فإذا فعل واستنفر كل طاقاته فقد قام بمسؤوليته وأدى وظيفته،فأن جنى الثمار الطيبه ولاقى القبول الحسن فنور على نور،وأن تُؤت ثمارها رفض من قبل المعاندين و الكفار،فيقف بكل حزم وثبات ويقول لهم بقوه: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ) . (۱)

۱.۳الإخلاص

من أهم الصفات و الشروط التي ينبغى أن تكون فى المبلّغ الموفق(الإخلاص)والإخلاص كما عرفه الراغب الأصفهانى حينما يمر بقوله تعالى: (إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً وَ كانَ رَسُولاً نَبِيًّا) ، (۲)يقول:

فحقيقه الإخلاص التبرى عن كل ما دون الله. (۳)

أما الشيخ الطوسى رحمه الله فحينما يمر بقوله تعالى: (وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) ، (۴)يقول:

وأصل الإخلاص إخراج كل شائب من الخبث،ومنه إخلاص الدين لله و هو توحيد العباده إليه خالصه دون غيره. (۵)

وحينما سئل سقيف عن الإخلاص قال:

تميز العمل من العيوب كتمييز اللبن بين فرث ودم. (۶)

وقيل:

أن الإخلاص أن تستوى أعمال العبد فى الظاهر و الباطن. (۷)

۱- (۱) .الكافرون:۶.

۲- (۲) .مريم:۵۱.

۳- (۳) .مفردات غريب القرآن:۱۵۴.

۴- (۴) .الأعراف:۲۹.

۵- (۵) .التبيان فى تفسير القرآن:۳۸۴/۴.

۶- (۶) .الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل:۴۱۶/۲.

۷- (۷) .تفسير مجمع البيان:۴۱۰/۱.

فهو السر و العامل المؤثر فی توفیق ونجاح الأنبیاء،والأئمه علیهم السلام؛لأن التبلیغ إذا لم یکن خالصاً لوجه الله سبحانه،لن یکن مؤثراً،ولن یجد سبیلاً إلی قلوب الناس،ومن ثمّ سیذهب کلامه أدراج الریاح،ولن یجنی منه أی ثمره سوی التعب وضیاع الوقت و الجهد،لأن أقوال وأفعال المبلّغ تکون مؤثره بقدر إخلاصه،فأن انعدام الإخلاص فلا تأثیر لفخامه الکلام وجماله وفصاحته وسبکه؛لأن المؤثر الحقیقی فی الکون و المخلوقات هو الله سبحانه وتعالی فإذا کان التبلیغ خالصاً لله فأنه سیأخذ قدرته علی التأثیر من المؤثر الحقیقی ویترک أثره فی القلوب،والقرآن الکریم یخاطب النبی صلّی الله علیه و آله بقوله تعالی: (إِنَّکَ لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لکِنَّ اللّهَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ) . (۱)

فسّر النجاح إذاً:هو الارتباط بالله الذی بیده مقالید الأمور،و هو القادر علی کل شیء،وعلیه فیجب علی المبلّغ أن یلجأ إلی القدیر الذی بیده مفاتیح کل شیء-بإخلاص تام-علی طول مسیرته التبلیغیه،ویتمثل أمر القرآن الکریم حینما قال: (ما أُمِرُوا إِلاّ لِیَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ حُنَفاءَ وَ یُقِیمُوا الصَّلاهَ وَ یُؤْتُوا الزَّکاهَ وَ ذلِکَ دِینُ الْقَیِّمَهِ) . (۲)

فلا یکون العمل صالحاً ما لم تتجلی فیه حقیقه الإخلاص،فالهدف الإلهی یعطی لعمل الإنسان عمقاً ونورانیه خاصه،ویوجهه الوجهه الصحیحه،وعندما نفقد الإخلاص یکون العمل ذا جنبه ظاهریه حیث یشیر إلی المنافع الخاصه،ویفقد عمقه وأصالته ووجهته الصحیحه...فلو اقترن العمل بالإخلاص فسیکون عملاً ثمیناً للغایه،وبدون الإخلاص هو لا قیمه له.

فالإخلاص:هو أن تکون الدوافع الإنسانیه خالیه من أی نوع من أنواع الشوائب،ویمکن أن نسمّی الإخلاص ب-(توحید النیه)،یعنی:التفکیر بالله وبرضاه فی جمیع الأمور و الحالات. (۳)

۱- (۱) .القصص:۵۶.

۲- (۲) .البینه:۵.

۳- (۳) .تفسیر الأمثل:۳۹۴/۹.

و قد بلغ الإخلاص مرتبه كبيره من الأهميه فى الإسلام ممّا جعل النبى صلّى الله عليه و آله يقول فيه:

>>من أخلص لله أربعين يوماً فجر الله ينابيع الحكمه من قلبه على لسانه». (۱)

إذاً:فعلى المبلّغ:

أن يكون ناصحاً وخالصاً ومخلصاً،أى:أن لا يهدف فى حديثه تحقيق أى هدف،أو غرضٍ،أو غايه،سوى إبلاغ وإيصال الرساله المترتبه عليه،أى:الخير للطرف المقابل،وذلك بكل إخلاص وخلوص نيه. (۲)

كما نص الحديث الشريف على أهميه ذلك حينما قال صلّى الله عليه و آله:>>الناس كلّهم هالكون إلّا العالمون،والعالمون هالكون إلّا العاملون،والعاملون هالكون إلّا المخلصون،والمخلصون على خطر عظيم». (۳)

وفى مصدر آخر أكد بصيغه أخرى وهى:

>>الناس كلهم موتى إلّا العلماء،والعلماء كلهم نيام إلّا العاملون،والعاملون كلهم مفترون إلّا المخلصين،والمخلصون على خطر عظيم». (۴)

و هذا هو نهج الأنبياء عليهم السلام،و هذا شرط،وصفه الإخلاص تلاحظ بوضوح فى شخصياتهم العظيمه،وحياتهم الكريمه،و قد أكّده المولى سبحانه وتعالى فيهم،ووصفهم به،فقال عز وجلّ عن كليمه موسى عليه السلام: (وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مُوسى إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً وَ كانَ رَسُولاً نَبِيًّا) . (۵)

ومعناه بالكسر:

«أنه أخلص العباده عن الشرک و الرياء،وأخلص نفسه وأسلم وجهه لله». (۶)

ص:۷۷

۱- (۱) .عده الداعى ونجاح الساعى:۲۱۸؛الدر المنثور:۳۵۰/۱.وفى مصدر آخر:«أربعين صباحاً»؛الرواشح السماويه:۲۸۵.

۲- (۲) .مرتضى, المطهرى, الملحمه الحسينيه:۱۸۶/۱.

۳- (۳) .شرح الرضى على الكافيه:۱۲۹/۲.

۴- (۴) .تفسير السلمى:۳۵۵/۱.

۵- (۵) .مريم:۵۱.

۶- (۶) .تفسير جوامع الجامع:۴۵۷/۲.

فبهـذا المسـتوى من الإخلاـص وبهكـذا نفوس قويه،وشخصـيات متكـامله،ودوافع إلهيه يتحـدى الأنبيـاء عليهم السـلام الكفـار و المعاندين؛لأنهم بإخلاصهم يتمكنون من حل العقد المستعصيه،ونجاه الأمه وخلاصها من الجهل و الظلم و الضلال،وهدايتها إلى الصراط المستقيم.

۴.الصبر

إن الصـبر من أعظم صـفات المبلّغ،الـتى لاـ يسـتغنى عنهـا فى تبليغه،فهو لابـد أن يواجه من أكـثر النـاس الصـدود و الأـعراض و التكذيب،إن لم يلاقَ الأذى و العذاب والاضطهاد،فبالصبر يثبت فى تبليغ رسالته،ولا يبالى بما يلاقيه فى سبيلها من مشقه وصعاب وآلام.

وأصل الصبر:الحبس،وكل من حبس شيئاً فقد صبره. (۱)

وصبير القوم:الذى يصبر لهم ويكون معهم فى أمورهم. (۲)

أو كما قال المحقق الطوسى رحمه الله:

الصبر حبس النفس عن الجزع عند المكروه،و هو يمنع الباطن عن الاضـطراب،واللسان عن الشـكايه،والأعضاء عن الحركات غير المعتاده، (۳)و هو صفه مدح،ووجه الاستعانه بالصبر[فى قوله تعالى: (وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاهِ)]. (۴)إن فى توطين النفس على الأمور تسهيلاً لها. (۵)

وقال الراغب الأصفهانى:

الصبر حبس النفس على ما يقتضـيه العقل و الشرع،أو عما يقتضيان حبسها عنه،فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسماءه بحسب اختلاـف مواقعه،فإنمـا كان حبس النفس لمصـيبه سـمى صبراً لا غير،ويضاده الجزع،وان كان فى محاربه سـمى شـجاعه،ويضاده الجبن،وان كان فى نائبه مضجره سمى رحب الصدر،

۱- (۱) .كتاب العين:۲۵۴/۱.

۲- (۲) .كتاب العين:۱۱۷/۷.

۳- (۳) .محمد باقر, المحمودى, نهج السعاده:۲۸۳/۷.

۴- (۴) .البقره:۴۵.

۵- (۵) .التبيان فى تفسير القرآن:۳۳/۲.

ویضاده الضجر،وان کان فی إمساک الکلام سمی کتماناً،ویضاده الإذاعه،و قد سمی الله تعالی کل ذلک صبراً،ونبه علیه بقوله: (وَ الصّابِرِینَ فِی الْبَأْساءِ وَ الضَّرّاءِ وَ حِینَ الْبَأْسِ) ، (۱)(وَ الصّابِرِینَ عَلی ما أَصابَهُمْ) .، (۲)

(۳)فالصبر المطلوب للمبلّغ هو:

القوه و الثبات فی مختلف المواقف،والقدره علی التحکم بنفسه بإراده إیمانیه قویه،وبعباره أخری هو:الاستقامه فی القلب وحفظ النظام النفسانی الذی به یستقیم أمر الحیاه الإنسانیه من الاختلال وضبط الجمعیه الداخلیه من التفرق و التلاشی ونسیان التدبیر وأختباط الفکر وفساد الرأی،فالصابرون هم القائمون فی النوائب علی ساق لا تزیلهم هجمات النوائب. (۴)

فیبنی بذلک قاعده نفسیه قویه ومتماسکه ومستحکمه،تکون حصناً له أمام الانهیار و الهزیمه و الضعف البدنی و النفسی و الخارجی،فیدفعه ذلک إلی الالتزام بکل مسؤولیاته الإیمانیه و التبلیغیه.

فالمبلّغ الذی یسلک طریق الأنبیاء علیهم السلام هو وریثهم فی أخلاقهم وعلمهم ودعوتهم وتبلیغهم،فیلزمهُ أن یتحلی بالصبر مثلهم ویتخلق به وأن لا یترک موضعه التبلیغی أمام التهم و الأکاذیب التی یواجهها من الأعداء؛لأنه مأمور بالصبر: (فَاصْبِرْ کَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) (۵)حیث أمر الله رسوله صلّی الله علیه و آله بالصبر،فقال تعالی: (فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِیلاً) ، (۶)أی:اصبر یا محمد علی تکذیبهم لک وکفرهم بما جئت به صبراً جمیلاً-لا جزع فیه ولا شکوی إلی غیر الله،و هذا معنی الصبر الجمیل، (۷)کی ینجح تبلیغه،ویجنی ثماراً طیبه.

۱- (۱) .البقره:۱۷۷.

۲- (۲) .الحج:۳۵.

۳- (۳) .مفردات غریب القرآن:۲۷۳.

۴- (۴) .المیزان فی تفسیر القرآن:۱۰۵/۱۱.

۵- (۵) .الأحقاف:۳۵.

۶- (۶) .المعارج:۵.

۷- (۷) .محمد, الشوکانی, فتح القدیر:۲۸۹/۵.

وقلّما كرّر القرآن موضوعاً وأكّد عليه كموضوع(الصبر)ففى سبعين موضعاً قرآنياً تقريباً دار الحديث عن الصبر،بينها عشره تختص بالنبى صلى الله عليه وآله،وتاريخ العظماء ويؤكد أن أحد عوامل انتصارهم-بل أهمها-صبرهم واستقامتهم.

والأفراد الفاقدون لهذه الصفه سرعان ما ينهزمون وينهارون،ويمكن القول أن دور هذا العامل فى تقدم الأفراد و المجتمعات يفوق دور الإمكانات و الكفاءات و الذكاء ونظائرها،من هنا طرح القرآن هذا الموضوع بعبارات مؤكده كقوله تعالى: (إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ) ، (1)وفى موضع آخر يقول تعالى بعد أن ذكر الصبر أمام الحوادث: (إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (2) .(3)

فالصبر هو الزاد الذى لا بدّ منه لمواجهه المشاكل و المصاعب(و هو للمؤمن أمير جنوده)فى جميع المعارك،كما جاء عن النبى صلّى الله عليه و آله،عن ابن عبّاس قال:كنت ذات يوم رديف رسول الله صلّى الله عليه و آله،قال:

>>ألا أعلمك خصالاً ينفعك الله بهن؟».قلت:بلى.قال:«عليك بالعلم فإن العلم خليل المؤمن و الحلم وزيره و العقل دليله و العمل قيمه و الرفق أبوه،واللين أخوه و الصبر أمير جنوده». (4)

فهو ثبات النفس وعدم اضطرابها فى الشدائد و المصائب،بأن تقاوم معها،بحيث لا تخرجها عن سعه الصدر وما كانت عليه قبل ذلك من السرور و الطمأنينه،فيحبس لسانه عن الشكوى،وأعضائه عن الحركات غير المتعارفه. (5)

فهو من الإيمان بمنزله الرأس من الجسد،كما قال الإمام السجاد عليه السلام:

>>الصبر من الإيمان بمنزله الرأس من الجسد،ولا إيمان لمن لا صبر له». (6)

ص:80

1- (1) .الزمر:10.

2- (2) .لقمان:17.

3- (3) .تفسير الأمثل:435/1.

4- (4) .الدر المنثور:66/1.

5- (5) .جامع السعادات:280/3.

6- (6) .أصول الكافى:89/2.

و قـد نصت الآيات و الروايات الشـريفه على أن الأنبياء عليهم السـلام مأمورين بالصبر من قبل الله عز وجلّ،فعن حفص بن غياث قال:قال أبو عبد الله عليه السلام:

>>يا حفص...عليك بالصبر في جميع أمورك،فأنّ الله عز وجلّ بعث محمداً صـلّى الله عليه و آله فأمره بالصبر و الرفق،فقال: (وَ اصْبِرْ عَلى مـا يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً) ، (١)وقـال تبـارك وتعالى: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَـداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَ ما يُلَقّاها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَ ما يُلَقّاها إِلاّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) ، (٢)فصبر رسول الله صلّى الله عليه و آله حتى نالوه بالعظائم ورموه بها فضاق صـدره فأنزل الله عز وجلّ عليه: (وَ لَقَـدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِـيقُ صَـدْرُكَ بِما يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السّاجِدِينَ) ، (٣)ثمّ كذبوه ورموه،فحزن لذلك فأنزل الله عز وجلّ: (وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتّى أَتـاهُمْ نَصْـرُنا) ، (۴)فألزم النبى صـلّى الله عليه و آله نفسه الصبر فتعـدوا فـذكر الله تبارك وتعالى وكـذبوه،فقال:قد صبرت في نفسـي وأهلي وعرضـي ولا صبر لي على ذكر إلهي فأنزل الله عز وجلّ: (فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ) ، (۵)فصبر النبى صلّى الله عليه و آله في جميع أحواله ثمّ بشـر في عترته بالأئمه ووصـفوا بـالصبر،فقـال:جلّ ثناؤه: (وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وَ كـانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ) ، (۶)فعد ذلك قال صلّى الله عليه و آله:الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد،فشـكر الله عز وجلّ ذلك له،فأنزل الله عز وجلّ: (وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ) (٧)». (٨)

ص:٨١

١- (١) .المزمل:١٠.

٢- (٢) .فصلت:٣۴ و ٣۵.

٣- (٣) .الحجرات:٩٧ و ٩٨.

۴- (۴) .الأنعام:٣۴.

۵- (۵) .ق:٣٩.

۶- (۶) .السجده:٢۴.

٧- (٧) .الأعراف:١٣٧.

٨- (٨) .أصول الكافي:٨٨/٢.

نعم،فتمّت کلمه المولی سبحانه وتعالی،بفضل ما صبروا وتحملوا من أقوامهم فهذا نبینا الأکرم صلّی الله علیه و آله کان یذهب دائماً إلی قبائل العرب ویدعوهم،ولکن لم یکن یجیبه أحد،کانوا یرجمونه حتّی تسیل الدماء علی عقبیه،لکنّه لم یکن یکفّ عن عمله.

لقد فرضوا علیه الحصار الاجتماعی والاقتصادی و السیاسی،بحیث أغلقوا جمیع الأبواب و الطرق بوجهه وبوجه أتباعه،حتی مات بعضهم جوعاً،وأقعد المرض بعضهم الآخر.

لقد مرت علی النبی صلی الله علیه وآله أیام یصعب علی القلم و اللسان وصفها،فعندما جاء إلی الطائف لیدعوا الناس إلی الإسلام،لم یکتفوا بعدم إجابه دعوته،بل رموه بالحجاره حتی سال الدم من قدمیه.

لقد کانوا یحثون الجهلاء من الناس علی أن یصرخوا ویسیئوا فی کلامهم إلیه،فیضطر إلی أن یلتجئ إلی بستان ویستظل بظل شجره،ویناجی ربه فیقول:

«اللهم إلیک أشکوا ضعف قوتی،وقله حیلتی،و هوانی علی الناس،یا أرحم الراحمین:أنت رب المستضعفین،وأنت ربی إلی من تکلنی؟إلی بعید یتجهمنی؟أم إلی عدو ملکته أمری؟إن لم یکن بک علی غضب فلا أبالی...». (۱)

کانوا یسمونه ساحراً تاره،وأخری یخاطبونه بالمجنون،کانوا یلقون التراب و الرماد علی رأسه حیناً،وحیناً یجمعون علی قتله،فیحاصرون بیته بالسیوف و الرماح.

إلّا أنه رغم تلک الظروف استمر فی صبره وصموده واستقامته،وأخیراً جنی الثمره الطیبه لهذه الشجره المبارکه،فقد عمّ دینه شرق العالم وغربه،لا جزیره العرب وحدها،ویدوی الیوم صوت انتصاره صباح مساء فی کل أرجاء الدنیا،وفی قارات العالم الخمسه،و هذا هو معنی قوله تعالی مخاطباً نبیه صلی الله علیه وآله: (فَاصْبِرْ کَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) ، (۲)و هذا هو طریق محاربه الشیاطین،وطریق الانتصار علیهم،والوصول إلی الأهداف الإلهیه السامیه. (۳)

۱- (۱) .تاریخ الطبری:۸۱/۲؛سیره ابن هشام:۶۱/۲.

۲- (۲) .الأحقاف:۳۵.

۳- (۳) .تفسیر الأمثل:۳۰۷/۶-۳۰۸.

هکـذا صبر النبی صـلی الله علیه وآله وتحمـل المشـاق و المصـاعب فنصـره الله عز وجـلّ وشـرح صـدره فقال: (أَ لَمْ نَشْـرَحْ لَکَ صَـدْرَکَ) ، (۱)فـاتسع صـدره الشـریف لاستیعـاب الکل و التعایش مع الکل برحابه صـدر،حیث أنّ سـعه الصـدر هی أحـد أهم الصفات التی تنبغی للمبلّغ وهی من جنود الصبر،و قد أتصف بها الأنبیاء علیهم السلام،بل دعوا الله أن یرزقهم إیاها.

فهذا النبی موسی علیه السلام،عندما أراد التوجه إلی فرعون لهدایته وتوعیته وتوعیه الناس وتبلیغهم رساله الله تعالی دعا الله تعالی أن یعطیه صدراً واسعاً،وطاقه وتحملاً فقال: (قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی * وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی) . (۲)

و هـذا أمیر المؤمنین علیه السـلام،یقول:>>آله الرئاسه سـعه الصدر». (۳)فهی آله للرئـاسه فی جمیع المجالات،وآله وسـبب فی نجـاح جمیع المشـاریع،والأعمال،ومن أهمها مجال التبلیغ،حیث ینبغی للمبلّغ تحمل أذی الناس،فهـذا رسول الله حینما فقـد رجلاً وسأل عنه،جاءه الرجل وقال:یا رسول الله إنی أردت أن آتی هذا الجبل فأخلو فیه وأتعبد،فقال رسول الله صلّی الله علیه و آله:

>>المسلم الذی یخالط الناس ویصبر علی أذاهم خیر من المسلم الذی لا یخالط الناس ولا یصبر علی أذاهم». (۴)

إذاً:فلا ینبغی للمبلّغ أن یکون فی صدره ضیق من عدم تجاوب الناس معه، (فَلا یَکُنْ فِی صَدْرِکَ حَرَجٌ مِنْهُ) ،أی:کن عل انشراح وسعه صدر فی التبلیغ وإرشاد الناس؛لأن ضیق الصدر من صفات أهل الضلال،قال تعالی: (وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً) ،أما المؤمنون فیشرح الله صدورهم قال تعالی: (أَ فَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ) . (۵)

ص:۸۳

۱- (۱) .الشرح:۱.

۲- (۲) .طه:۲۵ و۲۶.

۳- (۳) .نهج البلاغه:۴۲/۴.

۴- (۴) .الدر المنثور:۶۷/۱.

۵- (۵) .الآیات بترتیب:الأعراف:۲.الأنعام:۱۲۵.الزمر:۲۲.

وعلى أثر هـذا الانشـراح و الصبر يبـدو المبلّغ المؤمن هادئـاً ومنطقيـاً عنـدما يواجه الافتراءات و التهم التى يطلقها أهل الضـلال و الجهـل،كالـذين قـالوا لنوح عليه السـلام: (إِنّا لَنَراکَ فِی ضَـلالٍ مُبِینٍ) ،فأجاب عليه السـلام: (قالَ یا قَوْمِ لَیْسَ بِی ضَـلالَهٌ وَ لکِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ) . (۱)

وقال قوم عاد لنبيهم هود عليه السـلام: (إِنّا لَنَراکَ فِی سَـفاهَهٍ وَ إِنّا لَنَظُنُّکَ مِنَ الْکاذِبِینَ) ،فقال هود عليه السلام: (یا قَوْمِ لَیْسَ بِی سَفاهَهٌ وَ لکِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ) . (۲)

فهكـذا ينبغى أن يكون تعامله مع الآخرين؛لأن المبلّغ الهادف هو الـذى يتسع للطرف الآخر،ويسـمع الانتقادات و النقـد البنّاء؛لأن عـدم سـماع كلاـم الآـخر هو من صـفات الكـافرين الـذين عميت قلوبهم وصـمت آذانهم: (وَ لَهُمْ آذانٌ لا یَسْـمَعُونَ بِها) ، (وَ إِذا ذُکِّرُوا لا یَذْکُرُونَ) . (۳)

فالمبلغ المؤمن الناجح هو من يستمع إلى النقد و الملاحظات المهمه و المفيده التى يذكر بها،بل ينبغى أن يعتبرها هدايا من أعز أخوانه فإن الأمير عليه السلام يقول:

<<أحب أخوانى من أهدى عيوبى إلى». (۴)

ومن آثار الصبر وسعه الصدر صفه حميده أخرى ألا،وهى:التواضع.

فالتواضع:هو أن لا يرى المبلّغ لنفسه ميزه على باقى الناس وأن يتعامل معهم كأحدهم،ويتكلم ويجيب الكل،ويحترمهم ويقدرهم كما هم يحترمونه ويقدرونه،فلما سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن حد التواضع،قال عليه السلام:

<<أن تعطى الناس من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله». (۵)

والتواضع كما عرفه الشيخ النراقى رحمه الله،هو:

۱- (۱) .الآيات بترتيب:الأعراف:۶۰ و ۶۱.

۲- (۲) .الآيات بترتيب:الأعراف:۶۶ و ۶۷.

۳- (۳) .الآيات بترتيب:الأعراف:۱۷۹؛الصافات:۱۳.

۴- (۴) .بحار الأنوار:۲۸۲/۷۴.

۵- (۵) .الأمالى:۳۱۲.

إنكسار للنفس يمعنها من أن ترى لذاتها مزيه على الغير،وتلزمه أفعال وأقوال موجبه لاستعظام الغير وإكرامه.... (۱)

فهو كما قال الإمام الصادق عليه السلام:>>التواضع أصل كلّ شرف نفيس ومرتبه رفيعه،ولو كان للتواضع لغه يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما فى مخفيات العواقب». (۲)

و قد اتصف الأنبياء عليهم السلام بأعلى وأسمى صور التواضع،فها هو النبى موسى عليه السلام،يعطينا درساً فى التواضع،من خلال الاعتراف و الإقرار بكمال الآخرين،حينما قال: (وَ أَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً) ، (۳)وقال للخضر عليه السلام: (قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً) .

و قد أمر الله عز وجلّ أعز خلقه،وسيد بريته وحبيبه محمد صلّى الله عليه و آله بالتواضع فقال عز وجلّ: (وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . (۴)

وخاطب الإنسان فقال: (وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً) . (۵)

و هذا ما أكده لقمان الحكيم على أبنه،بأن يكون معتدلاً فى سلوكه،وأن يتكلم بلين ولا يرفع صوته:

(وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) . (۶)

وأخيراً أقول أن التواضع هو من أول صفات عباد الرحمن بتأكيد القرآن الكريم،حيث قال تعالى: (وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا

ص:۸۵

۱- (۱) .جامع السعادات:۳۵۸/۱.

۲- (۲) .المصدر:۳۶۰.

۳- (۳) .القصص:۳۴.

۴- (۴) .الشعراء:۲۱۵.

۵- (۵) .الإسراء:۳۷.

۶- (۶) .لقمان:۱۹.

سَلاماً) ، (۱)فأول صفه من صفات عباد الرحمن هی التواضع وسمو النفس،ومعاشره الناس معاشره حسنه طیبه،من غیر غلظه ولا قسوه ولا تکبر،و إذا أساء إلیهم الجاهل لم یقابلوه بالإساءه،وإنما بالعفو و الصفح ویقولون له:سلاماً،(من السلامه لا التسلیم)،أو یقولون قولاً سدیداً.

۵.عزّه النفس

من أهم الصفات التی ینبغی للمبلّغ أن یتحصن ویتحلی بها هی:عزه النفس،وهی:

ملکه التحمل لما یرد علیه کائناً ما کان،فلا یبالی بالکرامه و الهوان،ویتساوی عنده الفقر و الیسار و الغنی و الإعسار،بل الصحه و المرض و المدح و الذم،ولا یتأثر بتقلب الأمور و الأحوال،و قد دلت الأخبار علی أن المؤمن ذو صلابه وعزه ومهابه،وکل ذلک فروع کبر النفس.قال الإمام الباقر علیه السلام:<<المؤمن أصلب من الجبل»، (۲)وقال علیه السلام:<<إن الله تعالی أعطی المؤمن ثلاث خصال،العز فی الدنیا و الآخره،والفلح فی الدنیا و الآخره،والمهابه فی صدور الظالمین». (۳)

إذاً:فهی:

کبر النفس وسموها وعلوها،بحیث تمتنع عن النزول إلی دنایا الأمور،وتبتعد کل البعد عن التملق و التزلف إلی الأغنیاء وأصحاب الثروات و الجاه والاعتبار،وأن تنفر تماماً عن التمجید و المدح لمن لا یستحق المدح و التمجید. (۴)

قال تعالی: (الَّذِینَ یَتَّخِذُونَ الْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ أَ یَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّهَ فَإِنَّ الْعِزَّهَ لِلّهِ جَمِیعاً) ، (۵)فالمولی سبحانه وتعالی یخبر عن هؤلاء الذین یتذللون إلی الکفار و یطلبون عندهم المنفعه و القوه باتخاذهم أولیاء من دون أهل الإیمان به تعالی،ثمّ أخبر

ص:۸۶

۱- (۱) .الفرقان:۶۳.

۲- (۲) .بحار الأنوار:۳۶۲/۶۴.

۳- (۳) .المصدر:۱۶/۶۵؛محمد ابن بابویه, الصدوق, الخصال:۷۲/۱.

۴- (۴) .جامع السعادات:۲۶۱/۱.

۵- (۵) .النساء:۱۳۹.

بأن العزه بأجمعها له تعالی وأن هؤلاء الذين يطلبون من جهنم العزه و المنعه،لا منعه عندهم،بل النصر و العزه و المنعه من عند الله الذی له العزه و المنعه الذی يعز من يشاء،ويذل من يشاء.

وأصل العزه الشده،ومنه قيل للأرض الصلبه الشديده:عزاز،وقولهم:عز الشیء معناه صعب وجوده وأشتدّ حصوله. (۱)

فعزه الإنسان منعته ورفعته و[الامتناع من استيلاء الغير عليه]. (۲)ونقيضها الذلّه وهی:[صغر النفس بالإهانه،أو بضيق المقدره]، (۳)و قد نهی عنها الله سبحانه وتعالی أشدّ النهی،فعن الإمام أبی عبد الله عليه السلام،قال:

«أن الله عز وجلّ فوّض إلی المؤمن أموره كلها ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً أما تسمع قول الله عز وجلّ: (وَ لِلّهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ) ، (۴)فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً ثمّ قال:إن المؤمن أعز من الجبل إن الجبل يستقل منه بالمعاول و المؤمن لا يستقل من دينه شیء». (۵)

وعليه فالمبلّغ الذی يريد أن يكون عزيزاً محترماً صاحب مقام رفيع وكلام طيب يجب أن يستمد العزه من الله سبحانه وتعالی ف- : (مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّهَ فَلِلّهِ الْعِزَّهُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ) . (۶)

۱- (۱) .التبيان فی تفسير القرآن:۳۶۱/۳.

۲- (۲) .التفسير الكبير:۷۵/۴؛الميزان فی تفسير القرآن:۱۰/۳.

۳- (۳) .التبيان فی تفسير القرآن:۳۶۵/۵.

۴- (۴) .المنافقون:۸.

۵- (۵) .بحار الأنوار:۱۶/۶۵.بيان:الجبل يستقل منه من القله أی ينقص ويؤخذ منه بعضه بالفأس و المعول ونحوهما،والمؤمن لا ينقص من دينه شیء بالشكوك و الشبهات.

۶- (۶) .فاطر:۱۰.

فـإذن المبلّغ عزيز النفس تكون همّته وهمّه تبليغ رسـالته وأداء وظيفته،فلاـ يمـد عينه إلى مـا فى أيـدى النـاس من الأـموال وغير ذلك،بل يتوكل فى حياته وفى رزقه على الله سـبحانه و هو خير رازق ومعين،فقـد جاء فى الزياره الشـعبانيه:«بيدك لا بيد غيرك زيادتى ونقصى». (۱)

قال سيد الساجدين عليه السلام:

«رأيت الخير كله قـد أجتمع فى قطع الطمع عمـا فى أيـدى الناس،ومن لم يرجُ الناس فى شـىء،وردّ أمره إلى الله تعالى فى جميع أموره،استجاب الله تعالى له فى كل شىء». (۲)

فإذا لم يلاحظ الماديات ولم يحرص عليها،لا يفرق حينئذٍ بين الغنى و الفقير،والقوى و الضـعيف،والحاكم و المحكوم،ولا يرجح فئه على فئه،ولاـ شـخص على شـخص،ولاـ يتحيز لفرقه دون فرقه،وسـوف يتخـذ الرأى الصـائب و الموقف الحسن،من دون تـأثر بالأجواء،ولا طمع بالطيبات من الأموال،والملابس،والمراكب،والأطعمه و الأشـربه،وسائر الملذات،وحينئذ سـيتمكن المبلّغ،-بهذه الخصال الحميده-من جذب جميع الناس،والتأثير فى جميع الفئات،وسوقهم إلى ما يقوله وما يطرحه عليهم،كى يستمعوا وينصتوا إلى ما يقول بكل إقبال وشوق.

ولاـ تعنى عزه النفس التكبر-والعيـاذ بـالله-بـل على العكس نحن مـأمورين بـالتواضع و اللين فى الكلاـم وحسن البِشْـر،فهـذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

>>ليجتمـع فى قلبـك الافتقـار إلى النـاس والاسـتغناء عنهم،فيكـون افتقـارك إليهم فى لين كلامـك وحسن بشـرك،ويكـون استغناؤك عنهم فى نزاهه عرضك وبقاء عزك». (۳)

و أمـا مـا نُهِى المبلّغ عنه هو الـدعايه لهـذا وذاك،والتبليغ عن هـذه الفئه،وتلك الجهه،وبالنتيجه الابتلاء بالحمـد و الثناء على من يعطيه شيئاً،وبذم من يمنعه, فقد جاء فى دعاء مكارم الأخلاق:

ص:۸۸

۱- (۱) .بحار الأنوار:۹۷/۹۴،باب ۳۲،المناجاه الشعبانيه.

۲- (۲) .أصول الكافى:۱۴۸/۲.

۳- (۳) .أصول الكافى:۱۴۹/۲؛معانى الأخبار:۲۶۷؛تحف العقول:ص۲۰۴.

«فأفتن بحمد من أعطانى وأبتلى بذم من منعنى». (۱)

ولـذلك نرى أن الأنبيـاء عليهم السـلام و المبلغين الرسـاليين عـبر التاريـخ يعقبون بينـات رسالاـتهم بعـدم سؤال الأـجر مقابـل ما يقدمون للناس من خدمه التبليغ،مما يكمل حججهم على المكلفين دونما إبقاء لأيه عاذره عقليه ولا ماليه.

قال تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ) ، (۲)قال المفسرون:

هـذا إشـاره على أنه مـا أخـذ منهم مالاً على دعوتهم إلى دين الله تعالى ومتى كان الإنسان فارغاً من الطمع كان قوله أقوى تأثيراً فى القلب. (۳)

وقـالوا فى قوله تعـالى: (قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ) ، (۴)هـذا تطيب لنفوسـهم أن لا يتهموه بأنه جعل الـدعوه ذريعه إلى نيل مال أو جاه. (۵)

وقالوا فى قوله تعالى: (أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) (۶):

أى:ثواباً على أداء الرساله إليهم بدعائك إياهم إلى الله (فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) ،فالمَغْرَم إلزام الغُرْم-فى المال-على طريق الإبذال و المَغْرم انفاق المال من غير إبـذال،وأصـله المطالبه بإلحاح فمنه الغريـم،لأنه يطالب بالدين بإلحاح،ومنه (إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً) ، (۷)أى:ملحاً دائماً.

والمَغْرم لأنه يلزم من جهه المطالبه بإلحاح لا يمكن دفعه،والمُثْقَل المحمول عليه ما يشق حمله لثقله]. (۸)

فهم إذن لا يسألون الناس الأجر،ولا يثقلون عليهم بمطالبتهم بالأموال،و هذا مما

۱- (۱) .مفاتيح الجنان،دعاء مكارم الأخلاق.

۲- (۲) .يونس:۷۲.

۳- (۳) .التفسير الكبير:۲۸۵/۶.

۴- (۴) .سبأ:۴۷.

۵- (۵) .الميزان فى تفسير القرآن:۳۸۹/۱۶.

۶- (۶) .الطور:۴۰؛القلم:۴۶.

۷- (۷) .الفرقان:۶۵.

۸- (۸) .التبيان فى تفسير القرآن:۴۱۶/۹.

تتميز به رسالات الله،ودعوات الأنبياء عليهم السلام عن باقى الدعوات البشريه الماديه حيث لا يجد فيها المجتمع إلّا الكلفه و الغُرم الثقيل.

و قد تكررت الإشاره فى عدد كبيره من الآيات القرآنيه، (۱)إلى هذا الأمر،لا فى النبى صلّى الله عليه و آله فحسب،بل فى شأن كثير من الأنبياء عليهم السلام؛إذ كان من أوائل كلمات النبيين عليهم السلام قولهم لأممهم:لا نريد على إبلاغنا الرساله إليكم أجراً،لئلا تبقى ذريعه للمتذرعين.

فهذا نبينا الأكرم صلّى الله عليه و آله،يقول: (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً) (۲)أى:لا- أطلب منكم عليه-أى:التبليغ-أو القرآن أجراً جعلاً من جهتكم،كما لم يسأل من قبلى من النبيين عليهم السلام و هذا من جمله ما أمر بالاقتداء بهم فيه. (۳)

و هذا نبى الله نوح عليه السلام قال لقومه من أجل إثبات صدقه وأحقيته: (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى اللّهِ) ، (۴)فأن تبليغى وتحملى لمشاق الرساله إنّما هو لله،وعليه فأجرى أيضاً من الله تعالى،ولا أكلفكم بشىء إلّا أن تؤمنوا بالله عز وجلّ.

وكما هو واضح فإن كلام النبى النوح عليه السلام هو:

درس آخر للقاده الإلهيين بأن لا يتوقعوا أى جزاء مادى ومعنوى من الناس لقاء دعوتهم وتبليغهم،لأن هذا التوقع يوجد نوعاً من التعلق النفسى الذى يؤدى إلى عرقله أساليب الدّعوه الصريحه و النشاطات الحرّه،ومن الطّبيعى عن ذلک أن يقل تأثير دعوتهم وإبلاغهم،ولهذا السبب فأن الطريق الصحيح فى الدّعوه إلى الإسلام أن يعتمد المبلّغون و الداعون فى إداره أمورهم المعاشيه على بيت المال فقط،-أو مواردهم الخاصه-لا بالاحتياج إلى الناس. (۵)

إذاً:فهذا معيار لمعرفه المبلّغين و القاده الصادقين من غيرهم الذين يتحينون

۱- (۱) .الشعراء:۱۰۹،۱۲۷،۱۴۵،۱۶۴ و ۱۸۰؛هود:۲۹ و ۵۱؛یونس:۷۲؛سبأ:۴۷،وغیرها.

۲- (۲) .الأنعام:۹۰.

۳- (۳) .زبده التفاسير:۴۲۶/۲.

۴- (۴) .یونس:۷۲.

۵- (۵) .تفسير الأمثل:۴۰۷/۶.

الفرص ويهدفون إلى تأمين منافعهم الماديه فى كلّ خطوه يخطونها سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر.

أما السنه و السيره للأنبياء عليهم السلام و المبلغين الرساليين-على طول خط الرسالات-قائمه على عدم المطالبه بالأجر،ممّا يسهّل الإقبال إليهم دونما صعوبه وتكلّف،ويزودهم بكثير من نقاط القوّه،فمنها:

١.يضمن لهم حريتهم التامّه،واستقلالهم الشامل؛لأنّ الأعداء لن يجدوا فيهم ثغره الطمع وحبّ الدنيا،كى يستعبدوهم من خلالها،حيث أن المال و الجاه و الثناء لا يعنى لهم شيئاً أمام وظيفتهم الرساليه.

٢.يضمن استقامتهم على مواصله الطريق دون تعب أو كلل،وعدم اكتراثهم بمخالفه الناس لهم،لأن الذين يتألمون لمخالفه الناس لهم وملامتهم وجراحات ألسنتهم،هم الذين يطمحون بالحصول على منافع من الناس،أما هؤلاء فلا تردعهم لومه اللائمين،ولدغات الجاهلين،مادام الطريق إلى الله،والمثيب و المجازى هو الله.

٣.عندما يحبون أو يبغضون،يوالون أو يبرئون،يقربون أو يبعدون الناس،إنما يفعلون ذلك فقط من أجل الله وفى سبيل الله،وبدافع دينى أو إنسانى،لا بدافع من العصبيه و الحقد و الضغينه،أو لعدم حصولهم على منافع من البعض وحصولهم عليها من البعض الآخر،بل يكون ميزانهم فى كلّ الأمور هو الحقّ،و هو القرب من الله فهم يستقبلون كلّ من يؤوب إلى الحقّ بكل رحابه وسرور.

هذا ولكن إذا قُدّمت للمبلّغ هديه فلا بأس بأن يقبلها،بل هى من دواعى المحبه:تهادوا تحابوا،وقال رسول الله صلّى الله عليه و آله:

<<من أتاه شىء من هذا المال من غير مسأله ولا استشراف،فإنّما هو رزق ساقه الله إليه فلا يردّه». (١)

١- (١) .جامع السعادات:٩۴/٢.

۶.القول و العمل

إن من أهم الشروط التى ینبغی توفرها فی المبلّغ هو أن یحیا بما یبلّغ،ویبلغ بما یحیا،أو قل(أن یعمل بما یقول ویقول ما یعمل)فالمبلّغ الحقیقی هو الذی یسعی بکل جدٍ وجهدٍ إلی التکامل ظاهراً وباطناً،أی:یحاول بکل قوه أن لا یحصل تفاوت بین الظاهر و الباطن عنده.

لأن کل قول أو فکره لا تجد مجالاً لتطبیقها علی صاحبها،لا تجد حسن القبول لدی الناس مهما کانت جذابه وواقعیه وضروریه للحیاه؛إذ من غیر المعقول أن نسعی إلی نشر أو إثبات فکر لم یستقر بعدُ فی وجدان صاحبه،فأن التبلیغ و النصح و الإرشاد الذی لم یتحول إلی حیاه معاشه،لا یورث نتیجه ایجابیه فی وجدان الآخرین،بل علی العکس فأن ذکر أعمال ومواقف العظماء،وروایه حکایاتهم و الدعوه إلی الاقتداء بهم،والالتزام بطریقتهم من دون القیام بتطبیق تلک الأعمال وتجسید تلک الحیاه فی الواقع العملی-للمبلّغ ذاته-یؤثر تأثیراً سلبیاً،ویشجع علی الانحراف و السقوط،حیث أن الحیاه الازدواجیه هی صفه النفاق،وخصوصاً إذا أظهر الخیر و الصلاح،وأضمر الشر و الفساد،فالمبلّغ الصادق یتنزه عن مثل هذه الأخلاق المذمومه،ولا سیما إذا کان المبلّغ من رجال الدّین،حیث أن عامه الناس تعتبره مجسداً للدین،فنفاقه فی أقواله وأفعاله یحسب نفاقاً فی الدّین نفسه،فتضطرب قلوب الناس وأفکارهم،حیث یسمعون قولاً جمیلاً ویرون معه فعلاً أو ترکاً قبیحاً،فتمتلکهم الحیره بین هذا او ذاک،فلا یعودون یثقون بالدین وما یقوله المبلّغ بعدما فقدوا ثقتهم برجال الدّین و المبلغین.

وبالنتیجه یصل کلام هؤلاء المبلّغین إلی مسامع الناس خاویاً هامداً،وفضلاً عن أنه لا یزید فی إیمانهم بما یدعون إلیه یکون سبباً فی اجتثاث ما عندهم من إیمان،خلافاً للکلام الناتج عن ترجمه للحیاه العملیه للمبلّغ فأنه یصل إلی شغاف القلوب ویحییها وینیرها،لأنه یعبر عن توفیر واحترام المبلّغ لوظیفته ولعلمه ولشخصیته وللمجتمع.

ص:۹۲

و هـذا مـا سار عليه الأنبياء عليه السـلام على مرّ العصور،فقـد بلّغوا عليهم السـلام ما كانوا يعيشونه،وعاشوا ما بلغوه،التزاماً بأمر الله تعالى،حيث قال سبحانه: (أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَـكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ) ، (۱)و قد أوحى تعالى إلى نبيه عيسى،أنه:

«عظ نفسك فأن اتعظت فعظ الناس،وإلّا فأستحى منى». (۲)

و هذا الخطاب موجه إلى كلّ الأنبياء عليه السـلام وكل من يتولى أمر التبليغ و الإرشاد،بأن يجسد ما يقوله بعمله كى يحرز التأثير الايجابى فى المجتمع،فهذا الإمام الصادق عليه السلام يقول:

>>كونوا دعاه للناس بغير ألسنتكم،ليروا منكم الورع والاجتهاد و الخير،فأن ذلک داعيه». (۳)

وقال عليه السلام:

>>كونوا دعاه للناس بأعمالكم،ولا تكونوا دعاه للناس بألسنتكم». (۴)

فعلى المبلّغ الحامـل لمشـعل الهـدايه وقيـاده المجتمع أن لاـ يكون مصـداقاً للآـيه الكريمه: (يـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتـاً عِنْـدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ) . (۵)بل يبدأ أولاً وبالذات بتهذيب نفسه وتعليمها وتطبيق كلامه على نفسـه ويكون سبّاقاً للخيرات: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ) ، (۶)مبادراً لتجسـيد قوله فى الواقع الخارجى،و هذا ما حكاه تعالى عن لسان نبيه هود عليه السلام قال: (وَ ما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ) . (۷)

۱- (۱) .البقره،۴۴.

۲- (۲) .كنز العمال:۷۹۵/۱۵.الدر المنثور:۲۸/۲.

۳- (۳) .أصول الكافى:۷۸/۲.بيان:داعيه،أى:للمخالف إلى الدخول إلى دينكم.

۴- (۴) .بحار الأنوار:۱۹۸/۵.

۵- (۵) .الصف:۲ و۳.

۶- (۶) .البقره:۱۴۸.

۷- (۷) .هود:۸۸.

لأن مخالفه العمل للقول ضياع للأمه وهلاك للمجتمع كما أكد على هذا رسول الله صلّى الله عليه و آله؛إذ يقول:

>>أن أخوف ما أخاف على أمتى كلّ منافق عليم اللسان». (۱)فالمنافق عليم اللسان هو سبب من أسباب إظلال المجتمع وانحرافه،فهذا الإمام الصادق عليه السلام يقول:

>>من لم ينسلخ من هواجسه ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها،ولم يهزم الشيطان،ولم يدخل فى كنف الله تعالى وتوحيده و أمان عصمته،لا يصلح له الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر؛لأنه إذا لم يكن بهذه الصفه فكلما أظهر أمراً يكون حجّه عليه،ولا ينتفع الناس به...ويقال له ياخائن!أتطالب خلقى بما خنت به نفسك وأرخيت عنه عنانك». (۲)

وعليه فنحن اليوم بأمس الحاجه إلى المبلّغين العاملين بما يقولون-لا المجادلين و المتخاذلين-كى نحرز التأثير الكبير للدعوه وذلك من خلال فتح قلوب وأسماع الناس لما يقوله المبلّغ،وذلك من خلال إثبات المبلّغ لإيمانه بما يقول،وأفضل دليل على ذلك،هو العمل بقوله قبل غيره،كما استدل على ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

>>أيها الناس إنى و الله ما أحثكم على طاعه إلّا وأسبقكم إليها،ولا أنهاكم عن معصيه إلّا وأتناهى قبلكم عنها». (۳)

وبهذا يكون صلاح الأمه وخيرها،وبغيره هلاك الأمه وضياعها.فهذا رسول الله صلّى الله عليه و آله يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام فيقول:

>>يا على هلاك أمتى على يدى[كلّ]منافق عليم اللسان». (۴)

ومن أروع الحكم التى قيلت فى هذا الخصوص ما نسب إلى أبى الأسود الدؤلى:

ص:۹۴

۱- (۱) .كنز العمال:۱۸۶/۱۰.

۲- (۲) .نور الثقلين:۷۵/۱،عن مصباح الشريعه.

۳- (۳) .نهج البلاغه:۹۰/۲.

۴- (۴) .الخصال:۶۹.

ابدأ بنفسک فأنهها عن غیها فإذا انتهت عنه فأنت حکیمُ

لا تنه عن خلق وتأتی مثله عار علیک إذا فعلت عظیمُ (۱)

إذاً فکما قیل:

«من وعظ بقوله ضاع کلامه،ومن وعظ بفعله نفذت سهامه». (۲)

وأحرز التأثیر و التغییر و الإصلاح و الخیر،وبهذه الصفات و الشروط-إضافه إلی الالتزام بعموم الأحکام و الأخلاق الإسلامیه-یمکن للمبلّغ أن یمارس دوره ویؤدی وظیفته بصوره صحیحه،ویمکن أیضاً أن یستخدم أسالیب التبلیغ کلها من دون أی مانع.

۱- (۱) .التبیان فی تفسیر القرآن:۴/۳؛علی بن الحسین, الأصفهانی, الأغانی:۳۹/۱۱.

۲- (۲) .التفسیر الکبیر:۴۸/۳.

المبحث الثانی:شروط التبلیغ

اشاره

الآن وبعد أن انتهینا من ذکر ودراسه أهم الشروط التی ینبغی أن تتوفر فی شخصیه المبلّغ،والتی لها أکبر تأثیر فی نجاح المبلّغ و التبلیغ،ننتقل إلی ذکر ودراسه أهم شروط التبلیغ التی لها مدخلیه ودور وتأثیر مباشر أو غیر مباشر علی نجاح التبلیغ،ومن أهمها:

١.مراعاه الزمان و المکان فی التبلیغ

علی المبلّغ الواعی أن یدرس الظروف التی یعیشها دراسه دقیقه،وأن یلاحظ الزمان و المکان ملاحظه جدیه،فیطلق الکلمه المناسبه فی زمانها ومکانها المناسب لها،بأسلوبها المناسب،ویأخذ بنظر الاعتبار الأولویات و الضروریات بالنسبه إلی ذلک الظرف؛لأنّ مراعاه الزمان و المکان شرط أساسی فی نجاح التبلیغ،فلا یکون التبلیغ ناجحاً متکاملاً مالم یمنح الزمان و المکان دوره الحقیقی،ولا یمکن الاطمئنان إلی النتائج مالم یستند التحرک إلی تصوّر حکیم لدور الزمان و المکان فی خطه العلم التبلیغی وآثاره فی إنجاح أداء الوظیفه المکلف بها،فإن قدرت الحرکه التبلیغیه علی المواصله والاستمرار فی طریقها تعتمد فی کثیر من الأحیان علی مراعاه عامل الزمان و المکان ودقّه الحسابات فی هذا الخصوص،ولذلک نجد أن جمیع الأنبیاء علیهم السلام

ص:٩٧

والأئمه علیهم السلام و العظماء و الأعلام و المجددین الذی أصلحوا أممهم،کانوا یبلغون وفق المستوی العلمی و الثقافی لأهل عصرهم،آخذین بنظر الاعتبار الظرف الزمانی و المکانی و الأسلوب المناسب له،ولهذا وقع کلامهم فی قلوب مخاطبیهم موقعاً حسناً،ووجد قبولاً وتأثیراً فی وجدانهم.

ونستطیع أن نقرر من خلال هذا الکلام أن التبلیغ الرسالی لابد أن یعیش الظرف الزمانی و المکانی علی أنه شرط أساسی وله الأثر الکبیر فی إنجاحه،وله دور مهم فی تکوین الجانب العقائدی عند الجماعه البشریه وتثبیت الأفکار فی أذهان الناس.

لو رکزنا علی عامل الزمن مثلاً،نجد أن الخطّ العام لدعوات الأنبیاء علیهم السلام کان یتسم بحرص شدید علی استثمار الزمن،باعتباره یمثل شرطاً وعنصراً من عناصر التبلیغ للرساله،لذلک حرصوا علی الاستفاده من کلّ وحده من وحداته،وکل لحظه من لحظاته،وبما أن فی حیاتهم وتجاربهم الدروس و العبر،حیث قال تعالی: (لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ) . (1)نبدأ بدراسه قیمه الزمن فی حیاتهم ومسیراتهم التبلیغیه،وکیف تعاملوا مع الزمن وحصلوا علی نتائج ایجابیه،کی نتخذهم أسوه و قدوه مثالیه.

فلو أخذنا نبی الله نوح علیه السلام کنموذج،نجد أن أبرز ما تمیزت به قصه شیخ الأنبیاء و المرسلین نوح علیهم السلام هی الفتره الزمنیه الطویله التی استغرقتها الرساله،والتی تمثل أطول فتره فی تاریخ الرسالات فلم یعش نبی أو رسول مثلما عاش نوح علیه السلام مع قومه یبلّغهم رسالته ویدعوهم إلی الهدی و الرشاد وعبودیه الله سبحانه وحده لا شریک له.

ولقد کان الزمن بالنسبه إلی نوح علیه السلام رصیداً مهماً فی دعوته،حیث أنه اعتمد أسالیب متجدّده علی الدوام عندما یکتشف عدم جدوی الأسلوب السابق،وفی هذا التجدید والاستخدام المتکرّر للبدائل التبلیغیه،ما یؤکد الإحساس العمیق للزمن عند نوح علیه السلام،فلقد

1- (1) .یوسف:111.

أراد أن يجرب كلّ الأساليب المتاحه على أمل أن يهدى الضالين،ولم يعتمد ويجمد على أسلوب واحد؛لأن معنى ذلك أنه يهمل عامل الزمن ولا يتحسس قيمته العاليه.

و قد حدثنا القرآن الكريم عن تعدد الأساليب التى اعتمدها نوح عليه السلام مع مراعاه الظرف الزمنى لكل أسلوب.

فقال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنّا لَنَراكَ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ * قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلالَهٌ وَ لكِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّى وَ أَنْصَحُ لَكُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ) . (1)

وقال تعالى: (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) ،وقال أيضاً: (إِنّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) وقال أيضاً: (قالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَ نَهاراً) . (2)وهكذا واصل نوح عليه السلام مسيرته الرساليه الطويله،رغم ما واجهه من رفض وعناد من قومه فسعى سعياً حثيثاً وبذل جهداً كبيراً،ومضى فى تبليغه على أمل أن يحقق نتائج أفضل،مستثمراً كلّ وحدات الزمن وبمختلف الأساليب،فدعاهم ليلاً ونهاراً منذراً وناصحاً ومبشراً و....

وهكذا فأن الزمن كان طوال القرون العديده التى عاشها نوح عليه السلام مع قومه،يمثل عنصراً ايجابياً ورصيداً مهماً لرسالته ولدعوته،إذ أنّه مكّنه من استخدام أساليب متعدده وبدائل جديده للأساليب السابقه.

وهكذا نلاحظ خليل الله إبراهيم عليه السلام وظّف أفضل الأزمان لنشر وتبليغ رسالته وإيصال صوته إلى أكبر عدد ممكن من الناس ألا و هو زمان خروجه من النار التى

1- (1) .الأعراف:59-62.

2- (2) .هود:25.نوح:1.نوح:5.

جعلها الله عليه برداً وسلاماً،فأنه حينما كسر أصنامهم إلتفت عبدت تلك الأصنام قائلين: (قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ * قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ * قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ * قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ) . (١)

فكما نلاحظ أن إبراهيم عليه السلام استفاد من زمان اجتماع الناس (فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النّاسِ) ،وألقى كلمته التى تفتح عقولهم على إعاده التفكير فى عقيدتهم فقال (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ) ،ثمّ استشار نمرود قومه فى إبراهيم عليه السلام فقالوا له: (قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ) ، (٢)وفعلاً أجتمع كلّ الناس صغيرهم وكبيرهم،فقيرهم وغنيهم،شريفهم ووضيعهم ليشاهدوا ما يحصل لإبراهيم،فلما ألقوه فى النار،قال الله تعالى: (يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ) . (٣)

فخرج إبراهيم عليه السلام منها ولم تؤثر فيه شيئاً،فأنبهر كلّ من حضر بهذا المشهد العظيم ووجد إبراهيم عليه السلام،أن هذا أفضل زمان لنشر وتبليغ رسالته،وأن هذه اللحظات المهمه لا ينبغى التفريط بها فبمجرد خروجه عليه السلام من النار بادره النمرود قائلًا:

من هو ربّك،فقال له: (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ) ،فقال له الجبار نمرود: (قالَ أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ) .قال له إبراهيم عليه السلام...«كيف تحيي وتميت؟»فقال له نمرود أعمد إلى رجلين ممّن قد وجب عليهما القتل فأعفوا عن أحدهما وأطلقه،وأقتل الآخر فيكون قد أحييت وأمت،فقال له إبراهيم عليه السلام:أن كنت صادقاً فأحيي الذى قتلته،ثمّ قال له إبراهيم عليه السلام:دع هذا (فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) ، (۴)قال الله سبحانه: (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ

١- (١) .الأنبياء:۵٩-۶٣.

٢- (٢) .الأنبياء:۶٨.

٣- (٣) .الأنبياء:۶٩.

۴- (۴) .البقره:٢۵٨.

إبْراهِيمَ فِی رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللّهُ الْمُلْکَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّیَ الَّذِی يُحْيِی وَ يُمِيتُ قالَ أَنَا أُحْيِی وَ أُمِيتُ قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِی کَفَرَ وَ اللّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الظّالِمِينَ) (۱)والمروی أن هذه المحاجّه بعد إلقاء إبراهيم فی النار وعدم تضرره بها وخروجه منها سالماً مستنيراً بنور الله تعال مهدياً قوياً بالله لا يخاف أحداً من الخلق بعد أن لبس ثوب العز و النصر و الهيبه العظيمه. (۲)

فلم يترک هذا الزمن المهم و الحساس أن يذهب سُدی،بل جعله عاملاً مساعداً لإطلاق کلمته ولتبليغ رسالته،کی تلاقی تأثيراً وقبولاً کبيراً عند من حضره فی ذلک المشهد العظيم....

و إنْ لاحظنا نبی الله يعقوب عليه السلام سنجده قد بلَغ من حرصه علی استثمار أفضل زمن لإبلاغ دعوته أنه فی لحظات حياته الأخيره،وفی حاله الاحتضار يسعی لتبليغ وتثبيت رسالته،قال تعالی: (أَمْ کُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی) . (۳)

فلما اجتمع إليه بنوه الأثنی عشر وهم الأسباط بادرهم بسؤال يبدی لهم فيه رغبته الأخيره فی التعرف إلی سلوکهم المستقبلی الذی بدأه وخطه أبوه النبی إبراهيم عليه السلام و هو التوحيد و الإسلام،ويؤکّد تحمله واستمراره لمسؤوليته التبليغيه الرساليه،واستثمار آخر لحظه من لحظات حياته لإيصالها إلی الناس کافه.

فالنبی يعقوب عليه السلام فی هذا الزمن الحساس،والمشهد المؤلم, وساعات الفراق والاحتضار،لا يوصی بأهل،ولا بيوت وأملاک،ولا أموال،ولا يشغل بَالَهُ أی شیء إلّا وظيفته التبليغيه،فلا تشغله عنها سکرات الموت،بل هی تشغله عمّا سواها،وهی المتمثله بسؤاله الحاسم (ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی) ،هل تتراجعون عن الخط المستقيم لتتبعوا مجتمعاتکم الوثنيه،أم تستمرّون فی السير عليه لتُدِيمُوا ما کان عليه أبائکم وأجدادکم من الأنبياء عليهم السلام؟

ص:۱۰۱

۱- (۱) .البقره:۲۵۸.

۲- (۲) .الأنبياء حياتهم-قصصهم:۹۸؛ابن کثير, قصص الأنبياء:۱۸۰/۱.

۳- (۳) .البقره:۱۳۳.

فکـان الجواب حاسـماً أیضـا ویبعث الاطمئنـان فی نفسه لیموت و هو قریر العین،باسـتمرار الخط الرسالی فی التوحیـد الخالص و الإسلام الحقیقی من بعده،حیث قال: (قالُوا نَعْبُدُ إِلهَکَ وَ إِلهَ آبائِکَ إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (۱) .

وهکذا وظف نبی الله یعقوب علیه السلام تلک الفتره الزمنیه المهمه لصالح تبلیغ رسالته.

فللزمن-إذن-أهمیه وأثر کبیر فی إنجاح التبلیغ إذا کان بینهما انسجام وتناسب،فنلاحظ مثلاً النبی یوسف علیه السلام حینما ألقی فی السـجن،لم یقف متفرجاً إزاء حرکه الزمن،بـل جعـل علیه السـلام من فتره السـجن زمنـاً حیـاً معطـاءً مثمراً،من خلال إدراکه وتعامله مع الظرف الذی یعیش فیه.

ومن خلال قناعته بأن الرساله هی تکلیف ومهمه ملازمه لشخصـیته،وأن الزمن عنصـر وشـرط رئیسـی فی نجاح تبلیغ الرساله،أما الظرف الـذی یعیشه فمهما کان قاسـیاً أو قهریاً فأنه لا یشـغله عن أداء تکلیفه و القیام بمهمته ولا یقید حرکته الرسالیه التی یمکن أن تمتد علی کلّ زاویه،وأن تعلن فی کلّ ظرف،باستخدام الأسلوب و الأداء المناسب.

والمتأمل فی قصّه النبی یوسف علیه السـلام یلاحظ الدقه و الحکمه فی اسـتثمار الزمن فی السجن،وتحقیق نجاحات کبیره بسبب توظیف هذه الفتره الزمنیه لصالح نشر رسالته.

فأنه علیه السـلام حینما أدخل علی السـجن،دخل معه فتیان أحدهما رئیس الخبازین عند الملک عزیز مصـر و الآخر رئیس سقاته لتهمه الخیانه،و قـد تقـدّما إلی یوسف بعد العلم بمکانته العلمیه بتأویل الرؤیا وأخبراه أن أحدهما رأی فی منامه أنه یأخذ العنقود من العنب ویعصـره فی کـأس الملـک ورؤیه الآخر أن فوق رأسه طبق من الخبز و الطیر تأکل منه،وکان طلبهما منه تأویل ما رأیا فی منامهما،وعند ذلک-وعند رؤیته من یصغی لکلامه ویثق بمقاله-أخذ یکشف لهما عن حقیقه أمره ومعتقده وأنه علی دین

۱- (۱) .البقره:۱۳۳.

آباءه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وعلى ملتهم وأنه من أهل التوحيد و الإيمان بالواحد الأحد الفرد الصمد،و أنّ إلهه هو إله آباءه الطاهرين و هو الله المبدع لهذا الخلق و هو المحيى و المميت،و هو على كلّ شيء قدير.

فأراد يوسف عليه السلام منهما الإيمان بالله العلى القدير فدعاهما إلى ذلك وأرشدهما إلى الطريق القويم كما هى طريقه الأنبياء عليهم السلام و الأوصياء عليهم السلام من هدايه الخلق ونصحه وخصهما حيث رغبا إليه واحتاجاه فى مسألتهما،فكان بيانه هذا تعليلاً لما لمّح إليه من مكانته وتمهيداً للدعوه وإظهارا إلى أنه من أهل بيت النبوه،ولتقوى رغبتهما فى الاستماع إليه و الوثوق بقوله،ثمّ توجه إليهما سائلًا لهما: (أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ) . (١)

وكانت الغايه له عليه السلام الإعلام بدينه و الدعوه إليه و قد قدره الله تعالى على ذلك, وعلى تعبير الرؤيا وتأويلها،ثمّ أعلمهما أنه لا ـ يأتيهما طعام يرزقانه إلّا ونبأهما بتأويله قبل أن يأتيهما, وأن ذلك مما علمه الله تعالى إياه, وأنه لا يعبد سواه ويكفر بكل معبود غيره, و هو سبحانه الآمر أن لا يعبد الناس رباً سواه, وأن ذلك هو الدّين القويم, وأن جهله الناس لا يعلمون.

ثم إنه يعتبر تبليغه ونصحه للخلق واجبا عليه ولذلك أجاب طلبهما بقوله: (يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً) و هو الناجى: (وَ أَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ) (٢). (٣)

فهكذا اغتنم يوسف عليه السلام الفرصه فى بث ما عنده من أسرار التوحيد و الدعوه إلى

١- (١) .يوسف:٣٩.

٢- (٢) .يوسف:٤١.

٣- (٣) .الأنبياء حياتهم-قصصهم:١٤٨.

ربّه سبحانه وتعالی وتبلیغ رسالته،وبالتالی جنی ثمار طیبه بسبب استثماره لهذه الفتره الزمنیه العصیبه.

وکذلک فی حیاه کلیم الله موسی علیه السلام-التی تعتبر من التجارب التبلیغیه الرسالیه المهمه-نجد أن الزمن کانت له قیمه رسالیه عالیه طوال الفتره التی عاشها مع قومه وعانا فیها الکثیر من المصاعب و المحن.

فقد استثمر علیه السلام الشرائط الزمانیه-المناسبه لتبلیغ رسالته-أفضل استثمار،بل کان یسعی لتوفیرها الإستفاده منها،فلما دخل علی فرعون وألقی عصاه فانقلبت ثعبان عظیم،قالوا له: (فَلَنَأْتِیَنَّکَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَیْنَنا وَ بَیْنَکَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لا أَنْتَ مَکاناً سُویً * قالَ مَوْعِدُکُمْ یَوْمُ الزِّینَه وَ أَنْ یُحْشَرَ النّاسُ ضُحًی * فَتَوَلّی فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ کَیْدَهُ ثُمَّ أَتی * قالَ لَهُمْ مُوسی وَیْلَکُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَی اللّهِ کَذِباً فَیُسْحِتَکُمْ بِعَذابٍ وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَری) . (۱)

فقال لهم موسی علیه السلام: (مَوْعِدُکُمْ یَوْمُ الزِّینَه) ،و هو(یوم عید کان لهم...وقال الفراء: (یَوْمُ الزِّینَه) یوم شرف کانوا یتزینون بها، (۲)فهو من أکبر أیام مصر وأعظمها بهجه وسرور من قدیم الزمان. (۳)

فاختیاره علیه السلام لهذا الیوم المهم یدل علی حکمته واهتمامه بالشرط الزمانی الذی یرید أن یبلغ فیه رسالته فأنّ(تعیین یوم الزینه یقتضی إطلاع الکل علی ما سیقع فتعیینه إنما یلیق بالمُحِق الذی یعرف أن الید له لا المُبطِل الذی یعرف أنه لیس معه إلّا التلبیس،فحینما قال علیه السلام موعدکم یوم الزینه،وأوعدهم ذلک الیوم لیکون علو کلمه الله وظهور دینه وکبت الکافر وزهوق الباطل علی رؤوس الأشهاد فی المجمع العام

۱- (۱) .طه:۵۸-۶۱.

۲- (۲) .التبیان فی تفسیر القرآن:۱۸۱.

۳- (۳) .تاج العروس:۲۶۸/۱۸.

ليكثر المحدّث بذلك الأمر العجيب فى كلّ بَدْوٍ وحَضَر ويشيع فى جميع أهل الوبر و المدر،قال القاضى:إنه عين اليوم بقوله:(يوم الزينه)ثمّ عين من اليوم وقتاً معيناً بقوله: (وَ أَنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحًى) . (۱)

وفعلاً حينما جاء يوم الزينه وحشر الناس،وأصطفّ السحره،وهُيئت الأجواء للمناظره و المحاجه تقدم كليم الله عليه السلام،مخاطباً جموعهم: (قالَ لَهُمْ مُوسى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى) . (۲)

و هذا القول من موسى عليه السلام موعظه لهم وإنذار أن يفتروا على الله الكذب...فالظاهر أن المراد بافتراء الكذب على الله الاعتقاد بأصول الوثنيه كإلوهيه الآلهه وشفاعتها ورجوع تدبير العالم إليها...،ويظهر من تفريع قوله (فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوى) ، (۳)على ما فى الآيه السابقه من قوله: (قالَ لَهُمْ مُوسى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى) .

أن التنازع والاختلاف إنما ظهر بينهم عن موعظه وعظهم بها موسى فأثّرت فيهم بعض أثرها،ومن شأنها ذلك إذ ليست إلّا كلمه حق ما فيها مغمض وكان محصلها:أن لا علم لكم بما تدّعونه من إلوهيه الآلهه وشفاعتها فنسبتكم الشركاء و الشفعاء إلى الله افتراء عليه و قد خاب من أفترى،و هذا برهان واضح لا سِتر عليه ولا غبار.

ويظهر من قوله الآتى الحاكى لقول السحره: (إِنّا آمَنّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا وَ ما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقى) (۴)أن الاختلاف إنما ظهر أول ما ظهر بين السحره ومنهم. (۵)

ص:۱۰۵

۱- (۱) .التفسير الكبير:۷۲/۲۲ و۷۳.

۲- (۲) .طه:۶۱.

۳- (۳) .طه:۶۲.

۴- (۴) .طه:۷۳.

۵- (۵) .الميزان فى تفسير القرآن:۱۷۵/۴۱.

وبهـذا الاختيـار المناسب من قبل موسـى عليه السـلام للزمان المناسب و هو يوم الزينه،كيوم للمناظره و المحاججه و المقابله آتى أكله،وظهر أثره فى الناس وفى صفوف السحره و الفراعنه.

وهكذا أخذ إقرار-روح الله عيسى بن مريم عليه السلام-بالعبوديه لله،وكلامه فى المهد أثراً كبيراً من بنى إسرائيل؛لأنّه حدث فى شرائط زمانيه مناسبه ومتناسقه معه تماماً،وذلك عندما جاءت به أمه العذراء مريم ودخلت محرابها،فجاء إليها بنو إسرائيل وزكريا معهم فقالوا لها: (يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا* يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) . (۱)

وكـان قصـدهم وغرضـهم توبيخها وتعييرها،و قـد رموها بالفاحشه ونسـبوا إليها الزنا،ثمّ قالوا لها من أين لك هـذا المولود الـذى جئتنا به؟فأشارت إلى ولـدها عيسـى عليه السـلام و هو مقمّط فى المهـد،فقالوا لها:كيف نكلّم من كان فى المهد صبياً؟فأنطق الله تعـالى روحه عيسـى عليه السـلام فقـال: (قـالَ إِنِّى عَبْدُ اللّهِ آتـانِيَ الْكِتـابَ وَ جَعَلَنِى نَبِيًّا * جَعَلَنِى مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِى بِالصَّلاهِ وَ الزَّكاهِ ما دُمْتُ حَيًّا * بَرًّا بِوالِدَتِى وَ لَمْ يَجْعَلْنِى جَبّاراً شَقِيًّا * اَلسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) . (۲)

فـأقرّ عليه السـلام بـالعبوديه لله تعالى وبين التوحيـد،وتلك المعانى العظيمه فى ذلك الزمن الحساس و المهم،فأثّر أثره الكبير،ولو قال هذا الكلام فى ظرف و زمان آخر لما أثّر كهذا الأثر فى هذا الزمن.

أما فى قصه أصحاب الكهف عليهم السـلام،فنلتقى مع نموذج جديـد حول القيمه الزمنيه للتجربه الرساليه،فقد كانت فتره خروج أصحاب الكهف من كهفهم،زماناً مناسباً

۱- (۱) .مريم:۲۸.

۲- (۲) .مريم:۳۰-۳۳.

لتبليغ التوحيد و العقيده،وفعلاً أكدّوا بخروجهم وجود الله و قدرته على إحياء الموتى،وأكدوا وجود المعاد ويوم القيامه،قال تعالى: (وَ كَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ أَنَّ السّاعَهَ لا رَيْبَ فِيها...) ، (۱)فصاروا بذلك آيه على طول التاريخ،وأصبحوا معلماً رسالياً يستوحى منه العاملون و المبلّغون الصبر و الثبات فى مواجهه عقبات الطريق وتحديات الواقع.

وأفضل درس يمكن أن يستفيده الدعاه و المبلّغين من قصه أصحاب الكهف هو أن الكلمه الصادقه و الموقف الحقّ قد يتوقف تأثيره على حصوله وإطلاقه فى زمانه المناسب له،و هذا واضح جلى فى المسيره التبليغيه لهؤلاء الفتيه،فإنهم طالما دعوا قومهم إلى الإيمان بالله تعالى و اليوم الآخر،لكنّهم لم يؤثروا فيهم كما أثروا-فيهم-فى هذا الظرف المناسب لتبليغ رسالتهم-هو زمان ولحظه خروجهم من الكهف بعد تلك المدّه الطويله-وبذلك سلّم الناس بقدره الله عز وجلّ وإعجازه فى خلقه ورعايته لعباده المؤمنين العاملين.

أما متابعه حياه نبينا الأعظم صلّى الله عليه و آله،فتعطينا صوره مثاليه عن التعامل مع الزمن فى كلّ مجال من مجالات حياته الشريفه.

فالرسول صلّى الله عليه و آله الذى يمثّل الأسوه و القدوه لكلّ المبلّغين و الإصلاحيين،كان تعامله مع الوقت وأجزاء الزمن هو النموذج الأعلى لأسلوب استثمار المبلّغ لعامل الزمن فى كلّ أجزاء حياته الشريفه.

ابتداءاً من نزول القرآن الكريم على قلبه الشريف،فقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن على قلب حبيبه محمّد صلّى الله عليه و آله بعد اختيار الزمن المناسب لذلك ألّا و هو ليله القدر: (إِنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَهِ الْقَدْرِ) ، (۲)فاختيار هذا المقطع الزمانى لإنزال القرآن الكريم

۱- (۱) .الكهف:۲۱.

۲- (۲) .القدر:۱.

یزید فی أهمیته؛لأنّ لیله القدر هی أفضل ظرف زمانی، (۱)شهر رمضان المبارک،شهر ضیافه الله،فحمل صلّی الله علیه و آله هذا الکتاب المقدس وبلّغه للناس قطعاً قطعاً فی مده ثلاث وعشرین سنهً وحسب اختلاف الشرائط الزمانیه و المکانیه وتفاوتها فتدرج فی تبلیغه فی مکّه و المدینه،فی اللیل و النهار،والحضر و السفر،فی الحرب و السلم،فی یوم العسره وفی یوم الغلبه،ویوم الأمن ویوم الخوف،لإلقاء المعارف الإلهیه،وتعلیم الأخلاق الفاضله وتقنین الأحکام الدینیه فی جمیع أبواب الحاجه،وبمختلف الظروف.

فقد اختار النبی الأعظم صلّی الله علیه و آله الأسلوب السرّی فی تبلیغ رسالته-أی:بادئ الأمر-من أجل تکوین قاعده مؤمنه تحمل الإسلام بقوّه قبل أن تنطلق فی مواجهه المحیط الکافر،لِمَا قد یترتب علی ذلک من ردّه فعل عنیفه تواجه الدّعوه وتنهی الرساله وتقوض البناء الجدید،و هذا ما جعل رسول الله صلّی الله علیه و آله یحرص علی کتمان أمره ویوصی أصحابه بالکتمان،ولکن حینما شعرت قریش بالواقع الخطیر الذی یقوم به النبی صلّی الله علیه و آله وأصحابه ممّا شکل ضغطاً نفسیاً وفکریاً علیها تحفّزت لمواجهته.

و قد وجد النبی صلّی الله علیه و آله أن انکشاف أمر الرساله أفقد المرحله طابعها الأساس ولم یعد من الصحیح اعتماد السریه فی العمل التبلیغی فی هذا الظرف،فقرر صلّی الله علیه و آله أن یجهر بدعوته فی عمل علنی سلمی،حیث یسعی هو وأصحابه لهدایه الناس علی أساس التوحید وإنقاذهم من شراک الجاهلیه و الظلال،من دون اعتماد أی سلوک عنیف حتّی وان تعرضوا للاضطهاد و الأذی من قبل المشرکین.

قال تعالی: (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ) (۲)نزلت هذه الآیه بعد بعثه

۱- (۱) .وأفضل لیله،بنص القرآن الکریم،قال تعالی: (لَیْلَهُ الْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) وتقع فی أفضل ظرف زمانی،هو شهر رمضان المبارک،شهر ضیافه الله،الذی قال فیه رسول الله صلّی الله علیه و آله:«شهر هو عند الله من أفضل الشهور».
۲- (۲) .الحجر:۹۴.

الرسول صلّى الله علیه و آله بثلاث سنوات،و هذا یدل علی أن الأرضیه و الظروف و الزمان مناسب لإعلان الدّعوه و التبلیغ: (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ) بدون صِدام ومجابهه ومقابله مع المشرکین: (وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ) .

وفی الفتره التی کان کفار قریش،یصدون النبی صلّی الله علیه و آله عن العمل التبلیغی فی مکّه:

کان رسول الله صلّی الله علیه و آله یعرض نفسه فی المواسم-إذا کانت-علی قبائل العرب،یدعوهم إلی الله وإلی نصرته ویخبرهم أنه نبی مرسل،ویسألهم أن یصدّقوه ویمنعوه حتّی یبین عن الله ما بعثه به. (1)

وکان صلّی الله علیه و آله یواعد ویلتقی مع مریدی الإسلام،والراغبین بمعرفته،فی أزمان وأیام مهمّه کأیام الحج و التشریق،یقول الطبری:

ثم أن مصعب بن عمیر،رجع إلی مکه وخرج من خرج من الأنصار من المسلمین إلی الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرک،حتّی قدموا مکه؛فواعدوا رسول الله صلّی الله علیه و آله العقبه من أوسط أیام التشریق، (2)حین أراد الله بهم ما أراد من کرامته،والنصر لنبیه صلّی الله علیه و آله وإعزاز الإسلام وأهله،وإذلال الشرک وأهله. (3)

وکان رسول الله صلّی الله علیه و آله یستفید من الأشهر الحرام لتبلیغ رسالته،لاعتقاد الکفار بحرمه القتال وسفک الدماء فی الأشهر الحرم:

فکان تحریم الأشهر الأربعه هو الدّین المستقیم دین إبراهیم وإسماعیل،وکانت العرب قد تمسّکت به وراثه منهما،وکانوا یعظمون الأشهر الحرم ویحرمون القتال فیها حتّی لو لقی الرجل قاتل أبیه أو أخیه لم یهجه. (4)

1- (1) .تاریخ الطبری:254/2.

2- (2) .أیام التشریق:هی ثلاثه أیام بعد عید الأضحی؛لأن لحوم الأضاحی تشرّق فیها.

3- (3) .تاریخ الطبری:263/2.

4- (4) .الکشاف عن حقائق التنزیل وعیون الأقاویل:188/2.تفسیر مجمع البیان:291/7.

فأستثمر النبی صلّی الله علیه و آله هذه الفتره الزمنیه فی تبلیغ رسالته،فکان یحضر فی الأسواق مثل عکاظ،محنه،ذی المجاز،ویقف علی مرتفع،ثمّ یدعوا الناس إلی الإسلام،وتوحید الله سبحانه وتعالی.

وهکذا بقی النبی صلّی الله علیه و آله یختار أفضل الأزمنه المناسبه لتبلیغ رسالته حتّی قوی المسلمین وجاء الأمر بالبراءه من المشرکین فأختار صلّی الله علیه و آله أفضل زمن وأعظم یوم من الحج لذلک و هو(یوم عرفه) (۱)فاجتمع فیه جمیع المسلمین لإعلان البراءه وإلغاء العهود مع المشرکین: (وَ أَذانٌ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَی النّاسِ یَوْمَ الْحَجِّ الْأَکْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِیءٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ وَ رَسُولُهُ) . (۲)

وبقی هذا النبی العظیم صلّی الله علیه و آله مستمرّاً علی هذا الأسلوب و الطریقه إلی آخر حیاته الشریفه،فلمّا أراد ختم رسالته العظیمه انتخب الزمان الذی یکثر فیه حضور الناس من کلّ جانب ومکان،کی یبلغ القول الحقّ أسماع أکبر عدد من الناس،ویعمّ التوفیق و الهدی الکثیرین.

فکان ذلک الیوم هو:الثامن عشر من ذی الحجّه، (۳)یوم رجوع الحجیج من مکّه،فکان هذا الزمن ممیزاً جداً حیث کان الحضور فیه عظیم جداً ومتنوع-أی:کان المسلمون من جمیع البلاد الإسلامیه-فکان بإمکان النبی صلّی الله علیه و آله أو یوصل صوته ونداءه إلی أکبر عدد من الناس وإلی مختلف البلدان،فجاءه النداء: (یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ

۱- (۱) .روی عن النبی صلّی الله علیه و آله صل أنّه حج الأکبر،هو یوم عرفه.وفی روایه أخری سمّی الحج الأکبر؛لأنّه حج فیه المشرکون و المسلمون ولم یحجّ بعدها مشرک.وفی روایه مجاهد وشعبه أنه:جمیع أیام الحج. انظر:التبیان فی تفسیر القرآن:۱۷۱/۵.

۲- (۲) .التوبه:۳.الأذان الإعلام،تقول:آذننی فلان کذا فأذنت،أی:أعلمنی فعلمت،وقال بعضهم:معناه النداء الذی یسمع بالإذن.التبیان فی تفسیر القرآن:۱۷۱/۵.

۳- (۳) .محمد, المفید, المقنعه:۲۰۳.

إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ) ، (۱)فصنع له صلّی الله علیه و آله منبراً من أحداج الإبل فارتقی علیها وقال: (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً) . (۲)

فأهم بحث وأوضح شیء ظاهر فی هذه الآیه یترکز فی کلمه (الْيَوْمَ) الوارده فیها،الیوم وما أدراک ما ذلک الیوم!الذی اجتمعت فیه أربعه أمور من أهم الأمور الأساسیه و المصیریه،وهی:

۱. (يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ) .

۲. (أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) .

۳. (وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) .

۴. (وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً) .

فهذا یدلّ علی تعظیم ذلک الیوم و هو-یوم غدیر خم-لاشتماله علی خیر عظیم من یئس الکفار من دینکم وإکمال الدّین وإتمام النعمه بتنصیب الإمام علی علیه السلام خلیفه من بعد النبی صلّی الله علیه و آله ورضوان الله تعالی عن المسلمین فی موقفهم هذا،فهو:

«یوم عید عظیم بما أظهره الله تعالی من حجّته وأبانه من خلافه وصی نبیه صلّی الله علیه و آله وأوجبه من العهد فی رقاب بریته». (۳)

و قد روی عن أبی عبد الله علیه السلام قال:

«إن رسول الله صلّی الله علیه و آله وقف بمنی حین قضی مناسکه فی حجّه الوداع،فقال:أیها الناس،اسمعوا ما أقول لکم واعقلوه فأنی لا أدری لعلّی لا ألقاکم فی هذا الموقف بعد عامنا هذا،ثمّ قال:أی یوم أعظم حرمه؟قالوا:هذا الیوم.قال:فأی

۱- (۱) .المائده:۶۷.

۲- (۲) .المائده:۳.

۳- (۳) .محمد, المفید, مسار الشیعه:۳۹.

شهر أعظم حرمه؟قـالوا:هـذا الشـهر.قال:فـأى بلـده أعظم حرمه؟قـالوا:هـذه البلـده.قال:فإنّ دمائكم وأموالكم عليكم حرام كحرمه يومكم هـذا فى شـهركم هـذا فى بلـدكم هـذا إلى يوم تلقونه فيسألكم عن أعمالكم،ألا هل بلّغت؟قالوا:نعم.قال:اللّهُمَّ اشـهد, ألا ومن كـانت عنـده أمانه فليؤدها إلى من ائتمنه عليها،فإنّه لا يحلّ له دم امرء مسـلم ولا ماله إلّا بطيبه نفسه فلا تظلموا أنفسـكم ولا ترجعوا بعدى كفّاراً». (۱)

وهكـذا اسـتطاع جميع الأنبيـاء عليهم السـلام أن يسـتثمروا العامـل الزمنى فى عملهم التبليغى ويجنوا أطيب الثمار،ويحصـلوا على أفضـل النتائـج،فعلى المبلّغ أن يقتـدى بهم ويسـتثمر أفضـل الأـزمنه لتبليغه كشـهر محرم الحرام،وشـهر رمضـان المبـارك،وأيـام الحجّ،والمسـيرات،وأيام الحزن و الفرح،والمناسـبات المهمّه،فإذا كان الكلام يتوافق معها يكون أكثر تأثيراً من غيرها إذا لم يكن متناسباً معها.

هذه دراسه مقتضـبه لشروط ودور الزمان فى التبليغ،ولا يتسع لنا المجال لو أردنا أن نستعرض كلّ الأمثله القرآنيه للشرائط الزمانيه التبليغيه،ونكتفى بما ذكرناه من النماذج المشرقه.

أما لو لاحظنا دور المكان فى التبليغ

نجدّ أنّ تأثير التبليغ يتضاعف فيما لو حصل فى مكانه المناسب له،و قد لاحظ الأنبياء عليهم السـلام هذا الشرط المهم و الأساسى فى نجاح التبليغ،فمارسوا أدوارهم التبليغيه فى أماكنها المناسبه.

فهذا خليل الله إبراهيم عليه السـلام لما دعا قومه إلى عباده الله وتوحيده فلم يستجيبوا له وأذاقوه الأمرين ورموه فى النار،عزم على الرحيل وقال: (وَ قالَ إِنِّى ذاهِبٌ إِلى رَبِّى سَيَهْدِينِ) . (۲)

۱- (۱) .من لا يحضره الفقيه:۹۳/۴.

۲- (۲) .الصافات:۹۹.

ومضـی إبراهیم علیه السـلام مرتحلاً ـ عن وطنه ومسـقط رأسه ومقر آبائه إلی دار غربه لم یعرف أحـداً فیها ولم یـدعوه أحـد من أهلها:

«فمضی حتّی خرج من سلطان نمرود ودخل فی سلطان رجل من الأقباط یقال له عُراره». (۱)

وبدأ تجربه جدیده من تجارب التبلیغ و الدعوه،فی مکان وموقع جدید قد یکتشف فیه ساحه ممیزه یملک فیها حریه الحرکه لما یرید قوله وفعله.فأظهر ما یحمله من دین وأخلاق وحسن التعامل فأثر فی الجمیع حتّی قال له الملک القبطی:

أشهد أنّ إلهک لرفیع حلیم کریم وأنّک ترغبنی فی دینک. (۲)

وهکذا نبی الله یوسف علیه السلام حینما قرروا إلقائه فی السجن: (ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآیاتِ لَیَسْجُنُنَّهُ حَتّی حِینٍ) . (۳)

فلما أدخل إلی السـجن وجـده مکاناً مناسـباً للتبلیغ لا سـیما أن السـجناء یتمیزون بقلوب رقیقه منکسـره،وقابلیه مضاعفه لاسـتماع الأحادیث التبلیغیه،ولذا قام علیه السـلام بالتبلیغ عن وحدانیه الله بکلّ طمأنینه وثقه وبشـکل تفصیلی،وبأسلوب رائع،حیث قال: (یا صاحِبَیِ السِّجْنِ أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَیْرٌ أَمِ اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ * ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ أَسْـماءً سَمَّیْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُکُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُکْمُ إِلاّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِیّاهُ ذلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یَعْلَمُونَ) . (۴)

وهکـذا حول السـجن إلی ساحه للتبلیغ،حیث إنّه یملک الحریه الکامله فی الحدیث و التعبیر عما یحمله من فکر وعقیده،ویملک إمکانیه التأثیر فی الآخرین،ممّا لا یملکه

۱- (۱) .الأنبیاء حیاتهم-قصصهم:۱۰۰.

۲- (۲) .الأنبیاء حیاتهم-قصصهم:۱۰۱.

۳- (۳) .یوسف:۳۵.

۴- (۴) .یوسف:۳۹-۴۰.

فی مکان آخر،مما فرض علیه القیام بواجبه ونشر رسالته.

و أما نبینا الأعظم صلّی الله علیه و آله،فقد أمر أصحابه فی السنه الخامسه للبعثه أن یهاجروا إلی أرض الحبشه،وأن یتخذوها مقراً لنشر رسالتهم،وفعلاً کانت هذه الهجره تطوّراً هائلاً فی مسیره الرساله ونقله هامه فی تاریخ الإسلام،حیث نظرت قریش إلی أن رساله محمّد صلّی الله علیه و آله تجاوزت حدود مکّه و الجزیره،وامتدت إلی ساحات و أماکن أخری،کما أنّها وجدت فی الهجره تعبیراً میدانیاً متحدیاً لوجودها السیاسی السلطوی فی مجتمع الجزیره.

فکان لوجودهم فی الحبشه الأثر الکبیر علی أهلها-وهم نصاری-،فلما سمعوا ما تلوه علیهم من القرآن الکریم فاضت عیونهم من الدمع،وجاء منهم اثنان وثلاثون رجلاً مع جعفر بن أبی طالب وقت قدومه إلی النبی صلّی الله علیه و آله فوجدوه فی المسجد فجلسوا إلیه وکلموه وسألوه،فلما فرغوا من أسألتهم،دعاهم رسول الله صلّی الله علیه و آله إلی الله عز وجلّ و الی الإسلام وتلا علیهم القرآن، (۱)یقول سعید بن جبیر:

«فلما قرأ علیهم نبی الإسلام سوره(یس)دمعت عیونهم شوقاً وأسلموا».

«واستجابوا لله وآمنوا بالنبی وصدّقوه وعرفوا منه ما کان یوصف لهم فی کتابهم من أمره». (۲)

فنزل فیهم قوله تعالی: (اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ یُؤْمِنُونَ * وَ إِذا یُتْلی عَلَیْهِمْ قالُوا آمَنّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنّا کُنّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِینَ * أُولئِکَ یُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَیْنِ بِما صَبَرُوا وَ یَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَهِ السَّیِّئَهَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ) (۳)وبهذا استطاعوا أن یقطفوا من هذا المکان الجدید ثماراً طیبه.

وکذلک کانت هجره النبی صلّی الله علیه و آله إلی یثرب بعد ما لم یکن بإمکانه البقاء فی مکّه

۱- (۱) .تفسیر مجمع البیان:۴۴۵/۷.

۲- (۲) .تفسیر الأمثل:۵۹۳/۹،نقلاً عن:تفسیر فی ظلال القرآن:۳۵۷/۶.

۳- (۳) .القصص:۵۲-۵۳.

بسبب الضغوط التی واجهها من المشرکین،مما أفقده القدره علی الاستمرار فی التبلیغ بهذا المکان المقدس،فهاجر إلی مکان جدید إلی یثرب،فأتخذها قاعده انطلاق جدیده لرسالته الإسلامیه،فکانت هجرته صلّی الله علیه و آله،تطوّراً کبیراً ونقله تاریخیه فی مسار الرساله الإسلامیه و الخط الفاصل بین الإسلام الدّعوه, و الإسلام و الدوله.

إذ بدأت عملیه بناء المجتمع الإسلامی و الدوله الإسلامیه بعدما ترکزت السنوات الثلاثه عشر من عمر الإسلام علی بناء الفرد المسلم،وتعمیق وجوده الإیمانی و الفکری و المبدئی.

إذاً:فتوفر هذا الشرط المکانی المهم ساهم فی إنجاح الحرکه التبلیغیه الکبیره للنبی صلّی الله علیه و آله وکان سبباً فی استحکام الإسلام ووصوله إلی شتی بقاع العالم.

و قد نهج أهل البیت علیهم السلام نهج جدهم المصطفی صلّی الله علیه و آله فی أداء التبلیغ بشروطه وظروفه المناسبه،فهذا الإمام الصادق علیه السلام مثلاً نجده یقف علی أرض عرفات لیخاطب جمهور الحجج بأعلی صوته:

>>أیها الناس،إنّ رسول الله صلّی الله علیه و آله کان الإمام ثمّ کان علی بن أبی طالب،ثمّ الحسن،ثمّ الحسین،ثمّ علی بن الحسین،ثمّ محمد بن علی،ثمّ, فینادی ثلاث مرات لمن بین یدیه،وعن یمنه،وعن یساره،ومن خلفه اثنی عشر صوتاً». (۱)

و قد أوصی الإمام الباقر علیه السلام أن یقیموا مجلس العزاء علی أبی عبد الله الحسین علیه السلام فی منی ویتحدّثوا خلاله عن جرائم الحکومات الظالمه بحقّ الإمام وأهل بیته علیهم السلام. (۲)

إذاً:فینبغی للمبلّغ أن یختار المکان المناسب لما یرید تبلیغه،فمثلاً لو أراد أن یعظ الناس ویذکرهم بالآخره ویحثهم علی عباده الله،فإن المکان المناسب لذلک هو المسجد.فقد ورد فی الحدیث الشریف عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنّه قال:

۱- (۱) .أصول الکافی:۴۶۶/۴.

۲- (۲) .ناسخ التواریخ:۳۲۶/۷.

>>من اختلف إلى المسجد،أصاب أحدى ثمان:أخاً مستفاد فی الله،أو علماً مستطرفاً،أو آیه محكمه،أو رحمه منتظره،أو كلمه تردّه عن ردی،أو یسمع كلمه تدلّ علی هدی،أو یترک ذنباً خشیه أو حیاء». (۱)

وهكذا باقی الأماكن،كجبهات الحرب وصفوف القوات المسلحه،ومجالس التأبین و العزاء،وهی مجالس الذكر و الموعظه وتحضرها عاده طبقات المجتمع المختلفه،والمراكز العلمیه نظیر الجامعات و المدارس العلیا و الثانویات و...،والمعامل،والمستشفیات و المراكز الصحیه،والدوائر الحكومیه.و...،فینبغی أن یكون الكلام متناسباً مع المكان الذی یلقی فیه كی یكون مؤثراً ومنتجاً نتاجاً حسناً.

وعموماً فبما أن مستوی العقل و الإیمان و الحالات الروحیه لدی الناس متفاوته ومختلفه باختلاف الزمان و المكان و الظروف العامّه و الخاصه،المحیطه بهم،فیستدعی ذلک أن یراعی المبلّغ مقتضی الحال،ویتعامل تعاملاً خاصاً مناسباً للظرف الزمانی و المكانی،والبناء و المستوی الثقافی و الروحی للمنطقه التی یبلغ فیها،وأن ینزل بمنازل المخاطبین ویراعی مستوی كلّ طبقه منهم فیكلمهم بقدر عقولهم،و هذه هی أخلاق وأسلوب الأنبیاء علیهم السلام.فهذا رسول الله صلّی الله علیه و آله،یقول:

«إنّا معاشر الأنبیاء أمرنا أن نكلم الناس علی قدر عقولهم». (۲)

فبنی وبین صلّی الله علیه و آله لنا قاعده مهمّه فی التبلیغ و الإرشاد لا یمكن تجاوزها،و هذا المنهج و الأسلوب هو أسلوب القرآن الكریم فمع أنه كلام الله عز وجلّ،لكن عندما نزل وخاطب عقول البشر راعی مستوی إدراكهم،فكأنه یخاطب كلّ إنسان بمستواه،فمهما كان المستوی الفكری و الثقافی للقارئ یجد أن القرآن یخاطبه،و هذه هی الطریقه الإلهیه فی التعامل ومخاطبه الأمم،یقول تعالی: (لِكُلِّ أُمَّهٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ) (۳).

۱- (۱) .تهذیب الأحكام:۲۴۹/۳.

۲- (۲) .أصول الكافی:۲۳/۱؛تحف العقول:۳۷.

۳- (۳) .الحج:۶۷.

فیخبرنا تعالی أنّه جعل لکل قوم منسکاً هم عاملون به،أی:شریعه،ومتعبداً،ومنهاجاً صالحاً،یتلاءم مع مقتضیات الزمان و المکان،ومع سنه التدریج و التطور ونضوج العقل البشری،فأنزل التّوراه علی موسی علیه السلام بنحو من الشده،لعلاج التّمسک بالماده،ثمّ أنزل الإنجیل متمماً لحکم ا لتوراه مع علاج الروح وإشاعه المحبه،والعنایه بجوهر الدّین،لا ـ بمجرد المظاهر و الشکلیات و الطقوس،ثمّ أنزل القرآن حینما نضج العقل البشری،لإرساء معالم دستور الحقّ،والجمع بین العنایه بالماده و الروح،والترکیز علی معاییر العلم،واستخدام العقل،فکان أول دین یضع أسس الحضاره الإنسانیه الشامله.

وکان تشریعه وسطاً بین الشرائع،وکانت هذه الأدیان صالحه للزمان الذی جاءت فیه. (۱)

وهکذا کان أهل البیت علیهم السلام،یراعون-فی تبلیغهم-الظرف و الحاله العامّه التی یعیشونها،فهذا أمیر المؤمنین علیه السلام حینما غصبت منه الخلافه وجد أن الظرف و الحاله التی یعیشها المسلمون غیر مناسبه لأی کلام أو تحرکّ،حیث أن مصلحه الإسلام, و الخوف علیه من الأخطار الداخلیه و الخارجیه یقتضی السکوت وعدم التحرک،ومن هذا المنطلق فلزم السکوت و الجلوس فی بیته،إلّا انه وبعد انقضاء حادثه السقیفه حینما جاءه أبو سفیان ومن معه،ممّن یریدون الفتنه،وعرضوا علیه البیعه،نطق بالحکمه وأورد خطبه تفقأ عین الفتنه،فقال:

«أیها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاه،وعرّجوا عن طریق المناظره وضعوا تیجان المفاخره،أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح،هذا ماء آجن ولقمه یغص بها آکلها ومجتنی الثمره لغیر وقت إیناعها کالزارع بغیر أرضه». (۲)

فالذی لا یراعی الأحوال و الظروف و الشرائط الزمانیه و المکانیه فی عمله وتبلیغه هو کالذی یجتنی الثمره لغیر وقت إیناعها،فهو لا یستفید منها شیئاً،

۱- (۱) .تفسیر المنیر:۲۹۶/۱۷.

۲- (۲) .نهج البلاغه:۴۰/۱.

كالزارع بغير أرضه،فليس بإمكانه أن يبقى فى تلك الأرض ويرعى زرعه وسقيه،فلا يجنى إذاً من زرعه شيئاً،فإذا أراد أن يجنى ثمراً طيباً عليه أن يراعى الحكمه المعروفه:لكلّ مقام مقالٍ.

۲.معرفه فن التبليغ

لكل عمل فنه وتقنيته الخاصه به،ومن دون هذه التقنيه و الفنّ لا ـ يمكن الخوض فى أى فرع من فروع العلم ولا ـ أى جهه من جهات العمل.

ولذلك،فإن معرفه فن التبليغ أحد الشروط التى لا يمكن أن نتجاوزها،بل هى فى مقدّمه شروط التبليغ،فبمقدار إيماننا بالتبليغ فى أنّه ضرورى،نؤمن بضروره فن التبليغ وأنه ضروره أيضاً.

إنّ المبلّغ يسعى إلى إحداث هزه نفسيه لدى المخاطب تعيد له صوابه إن كان ضالاً،واتزانه إن كان مضطرباً،وتهديه فى حيرته إن كان حائراً،وتزيل عنه الغشاوه إن كان لا يرى ما يجب أن يراه،فالتأثير الإيجابى هو الذى يستهدفه المبلّغ وإلّا فَقَدَ التبليغ قيمته ومشروعيه،لكن هذا التأثير ليس ميسراً للجميع حتّى ولو كانوا متساوين فى القدرات و المعلومات؛لذلك اعتبر فن التبليغ فناً من فنون العمل التربوى،ومهاره من مهارات حسن الخطاب،لا تقلّ أهميه عن نفس المادّه التبليغيه إن لم تكن أهم.

فهو فن من فنون تلقين المعرفّه وطريقه من طرق تحريك الوعى لدى المتلقى؛ولهذا يجب أن يتجاوز المبلّغ الطريقه المتبعه فى الوظيفه الإخباريه العاديه إلى الطريقه التأثيريه, التى تجعل الإنسان يتمتع بما يسمع،ويفهم ما يلقى عليه،وينتفع بما يفهم،ويغير سلوكه ومواقفه عن اقتناع،فالمبلغ المتفنّن هو الذى ينتقى الأحداث المهمه و المثيره،والموضوعات المرتبطه باحتياجات واهتمامات الناس،ويتخير الألفاظ

والأساليب التی لها وقع علی نفسیه السامع،بحیث تستطیع أن تنقل المعنی نقلاً أمیناً ومؤثراً،یقول أمیر المؤمنین علیه السلام:«ربّ کلام أنفذ من سهام». (۱)

ویتطلّب فنّ التبلیغ أن یجتهد المبلّغ فی اصطناع طریقه للتبلیغ متعدّده المداخل،وتلاءم مستویات الجمهور من جهه،والبیئه التی یعیش فیها من جهه أخری،والموضوع المعالج من جهه ثالثه.

فالمبلّغ الماهر هو الذی یستطیع تجمیل کلامه بلطائف الفنّ وتصویره للمستمع بشکل یسحر لبّه وینفذ إلی أعماقه،فعن النبی صلّی الله علیه و آله:«إن من الشعر لحکمه و إن من البیان لسحر». (۲)

فإن إحدی القضایا التی أکّد علیها القرآن الکریم فی مجال أسلوب وطریقه التبلیغ هی کلمه(البلاغ المبین)،أی:الإبلاغ الواضح و النیر،...وبساطه الموضوع،وسلاسته،وعدم احتواءه علی أی شائبه،بحیث یصبح فی متناول فهم الناس فیستوعبونه بسهوله کامله.

فالکلام المغلق،والمعقّد و المغلّف بغلاف من الکلمات والاصطلاحات الکثیره و الذی یطالب الناس ویقول لهم بأنّه لا مقدره لکم علی إدراک الأمور إلّا بعد سنوات الدرس الطویله،کلام غیر موجود فی قاموس تبلیغ الرسل و الأنبیاء.

فلقد کان الأنبیاء علیهم السلام یشرحون المفاهیم بشکل بسیط،وواضح،بحیث یفهمها أکبر العلماء ویستفیدون منها فی نفس الوقت الذی یستفید منها أقلّ الناس معرفه بالعلم و العلوم،علی الأقل فی حدّ إمکانیاتهم،ومدی سعه استیعابهم الذهنی للأمور و المفاهیم. (۳)

لأن المهم فی التبلیغ هو حسن فهم المخاطبین للبلاغ،و هذا یقتضی أن یکون البلاغ واضحاً بیناً دون أی غموض أو إشکال ما أمکن،فالخطاب لا بدّ أن یکون

۱- (۱) .المازندرانی, شرح أصول الکافی:۳۴/۱۰.

۲- (۲) .من لا یحضره الفقیه:۳۷۹/۴.

۳- (۳) .الملحمه الحسینیه:۱۸۴/۱.

بأسلوب يفهمه كلّ مستوى من المستويات وبكل سهوله ويسر،و هذا هو الفنّ الذى يميز بين المبلّغ الناجح وبين غيره،فلو أخذنا على سبيل المثال مبلغين أو أستاذين أو معلمين،يتمتعان بنفس المستوى العلمى و الثقافى ويشتركان فى جميع الشروط،لكن وجدنا أحدهما موفقاً وناجحاً ومؤثراً ويحظى بمستمعين ومريدين أكثر من غيره،فسبب هذا يعود إلى الطريقه و الأسلوب و الفن و المنهج المتبع عند أحدهم دون الآخر،فعلى سبيل المثال إذا أراد المبلّغ هدايه شخص ما فلا ينبغى شرح فضل النوافل المستحبه للكافر الذى يريد الدخول فى الإسلام،بل إثبات أصل الدّين الإسلامى،ويفهم له الأسس الإيمانيه فهماً ملائماً لمنطقه العقلى وبأسلوب علمى.

هذا،ومن جمله الأمور التى تضمن لكلام المبلّغ التأثير المطلوب هو تلوين التعبير الذى يستخدمه بالنغمه الملائمه للمعنى،لأنّ التنغيم جزء من العناصر المحدّده لمعنى الكلمه أو الجمله،فالقراءه الرتيبه لنص معين أو لبيت شعرى،أو لحكمه من الحكم أو سرد قصه لها مغزى معين لا تؤثر فى السامع،ولا تؤدّى ما يراد منها.

ومن هنا،فطريقه الأداء من:رفع وخفضه،وتكرار الأداء واختيار،النبره الملائمه و الإشارات المصاحبه، (۱)تندرج ضمن الجوانب الفنيه التى بها يكون التبليغ فناً من فنون القول وأداه من أدوات التأثير التى يحتاج إليها كلّ من يمارس فعلاً تبليغياً أو تربوياً أو توجيهياً؛لأنّ تحريك وعى الجماهير ليس عمليه بسيطه ولا متاحه لكلّ أحد،

۱- (۱) .كرفع النبى صلّى الله عليه و آله يد الإمام عليه السلام فى موقعه غدير خم،حينما أراد أن يعرف للمسلمين وينص على ولايته ويبلغها لهم،أوكرفع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام صوته عندما يريد ترغيب الناس فى الجهاد وقوله:«الجهاد الجهاد عباد الله»،أو هدوئه عندما يريد التحدّث عن الشهداء،وبكاءه وضربه على لحيته:ثمّ ضرب بيده على لحيته الشريفه الكريمه فأطال البكاء،ثمّ قال:«أوه على إخوانى الذى تلوا القرآن فأحكموا...».نهج البلاغه:۱۰۹/۲.

ولکنّهـا لیست مستعصیه علی کلّ أحـد إلّا علی من کان جاهلاً بوظیفه اللغه وخصائص التعبیر وأساسـیات التبلیغ،والأمر هنا لیس عملاً بسـیطاً لأـن التبلیغ فی أسـاسه مرتبـط بالمخـاطبین و الحـاله التی یکونون علیهـا،والمخـاطبون هنا لیسوا فئه واحـده،ولیسـت مسـتویاتهم وظروفهم واحـده أیضاً،ولـذا لابـد أن یراعی المبلّغ کلّ الظروف و الشـروط کما ویراعی الحاله النفسـیه التی یکونون علیها،ویلتزم بکل فنیات التبلّیغ کی یؤدّی التبلیغ وظیفه،وینتج ثمرته،ویحقق الخطاب رسالته.

۳.عدم التکلّف

من أهمّ شـروط نجـاح التبلّیغ أن یکون خالیاً عن التکلف،والتکلف هو:اسم لمـا یفعـل بمشـقه أو تصـنع أو تشـبع،ولـذلک صار التکلف علی ضربین:

محمود:و هو مـا یتحراه الإنسـان لیتوصـل به إلی أن یصـیر الفعـل الـذی یتعاطاه سـهلاً علیه ویصـیر کلفاً به ومحباً له،وبهـذا النظر یستعمل التکلیف فی تکلف العبادات.

والثـانی:مـذموم و هو مـا یتحراه الإنسـان مراءاهً وإیـاه عنی بقوله تعـالی: (قُـلْ مـا أَسْـئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مـا أَنَا مِنَ الْمُتَکَلِّفِینَ) ، (۱)وقول النبی صلّی الله علیه و آله:

<<أنا وأتقیاء أمتی براء من التکلف». (۲)

یقول السید الطباطبائی فی تفسیر قوله تعالی: (ما أَنَا مِنَ الْمُتَکَلِّفِینَ) :

أی:من أهل التکلف و هو التصنّع و التحلّی بما لیس له. (۳)

فنبینـا صـلّی الله علیه و آله وکـلّ الأنبیـاء علیهم السـلام کانوا منزهین عن التکلف و التصـنع،ولـذلک لم یکن کلامهم ثقیلاً علی الناس،وکان یستقبل بقبول حسن،أما المتکلفین فقد سلطت الأحادیث الشریفه الضوء علیهم وبینت صفاتهم،فقد ورد فی الحدیث

ص:۱۲۱

۱- (۱) .ص:۸۶.

۲- (۲) .مفردات غریب القرآن:۴۳۹.

۳- (۳) .المیزان فی تفسیر القرآن:۲۲۸/۱۷.

الشريف عن النبی صلّی الله علیه و آله قال:«للمتکلف ثلاث علامات:ینازع من فوقه،ویتعاطی مالا ینال،ویقول مالا یعلم». (۱)

وروی عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال:

>>المتکلّف مخطئ وان أصاب،والمتکلّف لا یستجلب فی عاقبه أمره إلّا الهوان،وفی الوقت إلّا التعب و العناء و الشقاء،والمتکلّف ظاهره ریاء وباطنه نفاق،وهما جناحان بهما یطیر المتکلّف،ولیس فی الجمله من أخلاق الصالحین،ولا من شعار المتقین التکلّف فی أی باب،کما قال الله تعالی لنبیه: (قُلْ ما أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَکَلِّفِینَ)» .

فأتضح من خلال هذه الروایات الشریفه:

أن المتکلّفین خارجون عن جادّه الحقّ و العداله،والصدق و الأمانه،وأنهم لا یرون الحقائق أمام أعینهم،ویتشبثون بالأوهام و الخیال،ینبئون بأمور لیسوا علی اطلاع بها،ویتدخلون بأمور لا یعرفونها،لهم ظاهر وباطن،وحضورهم وغیابهم متضاد،یتعبون أنفسهم ویجهدونها،ولکنهم لا یحصدون سوی الخیبه و الخسران،أما المتقون و الصالحون،فأنهم مطهرون من هذه الصفه ومنزهون عنها. (۲)

و هذه من صفات التبلیغ لدی کلّ الأنبیاء علیهم السلام و المبلغین الصادقین،و قد افتخر بها نبینا الأعظم صلّی الله علیه و آله فهو:لم یکن متکلّفاً متقولاً ولا متخرّصاً ما لم یؤمر به من عند ربّه،فهو مبلّغ وحی الله بأمانه متناهیه دون زیاده ولا نقص. (۳)

و قد روی عن الصحابی الجلیل عبد الله بن مسعود قال:

یا أیها الناس من علم شیئاً فلیقل به،ومن لم یعلم فلیقل:الله اعلم،فأن من العلم أن یقول الرجل لما لا یعلم:الله اعلم،فأن الله عز وجلّ قال لنبیکم صلّی الله علیه و آله:

ص:۱۲۲

۱- (۱) .الکشاف عن حقائق التنزیل وعیون الأقاویل:۳۸۵/۳؛تفسیر جوامع الجامع:۲۰۶/۳.

۲- (۲) .تفسیر الأمثل:۵۶۷/۱.

۳- (۳) .تفسیر المنیر:۲۳۶/۲۳.

(قُلْ ما أَسْئَلُکَمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَکَلِّفِینَ) . (۱)

إذاً:فینبغی أن یتحلی المبلّغ بالصدق و الوضوح ویتمیز ویمیز تبلیغه بعدم التکلّف و التصنّع،لیکون له أثر بالغ فی نفوس الناس.

۴.مطابقه الحق

ومن أهمّ الشروط الأساسیه فی التبلیغ کونه مطابقاً للحق؛لأنّ المبلّغ إذا أراد أن یقضی علی الباطل فیجب علیه أن یأتی بالحق: (وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ کانَ زَهُوقاً) ، (۲)ولربّ أمّه بقیت غائره فی مستنقع الغی و الظلم و الظلال مئات السنین لکنّها تحررت عندما جاءها مصلح یحمل رایه الحقّ.

و هذا ما یریده الله تعالی من المبلّغ المؤمن،أن ینطلق فی تبلیغه من موقع التحدید الدقیق للفکره الإسلامیه الحقّه،فلا یدخل فیها شیء من أفکار الباطل لیقربها إلی الناس الذین قد لا یرغبون فی الحقّ إذا لم یکن ممزوجاً بالباطل.

فالتبلیغ بمجرّد أن یتزحزح عن الحقّ سوف یکون ضلالاً وإضلالاً: (فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ) . (۳)ومن المؤکّد أن الضلال و الباطل لا یستطیع مجابهه ومقاومه الحقّ،فأنّ الغلبه دائماً لحجه الحقّ علی الباطل،و قد تسلح به-الحقّ-جمیع الأنبیاء علیهم السلام فی مسیراتهم التبلیغیه،فهذا الإمام السجاد علیه السلام حینما سئُل عن جمیع شرائع الدّین أجاب:

<<قول الحقّ و الحکم بالعدل و الوفاء بالعهد». (۴)

ص:۱۲۳

۱- (۱) .تفسیر مجمع البیان:۳۸۰/۲؛تاریخ الإسلام:۲۲۵/۱؛المعجم الکبیر:۲۱۵/۹.

۲- (۲) .الإسراء:۸۱.

۳- (۳) .یونس:۳۲.

۴- (۴) .میزان الحکمه:۵۰/۵.

فمدى تأثير المبلّغ المتمسّك بالحقّ ووصوله إلى غايته وهدفه أمر مؤكّد،ولا غبار عليه،فهو أحسن الحديث و الصادع به مجاهد،كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

<<إن دين الله لا يعرف بالرجال،بل بآيه الحقّ،فأعرف الحقّ تعرف أهله،يا حارث إن الحقّ أحسن الحديث،والصادع به مجاهد...». (۱)

۵.عدم المنّ

ويشترط في نجاح التبليغ وتأثيره أن لا يكون فيه منّه،و قد نُهي النبي صلّى الله عليه و آله عن الجنوح إلى المنّه على الناس،قال تعالى: (وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) . (۲)

و قد قيل في تفسير المنّ:«هو المنّه بالقول وذلك أن يمنن به ويستكثره». (۳)

وقيل:

لا تمنن على الناس بما تعلمهم من أمر الدّين،والوحي كالمستكثر لذلك الإنعام،فأنك إنما فعلت ذلك بأمر الله،فلا منّه لك عليهم ولهذا قال تعالى: (وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) . (۴)

وقيل:«أي لا تمنن على أصحابك وغيرهم بتبليغ الوحي،وقيامك بالإنذار...». (۵)

وعلى هذا الأساس فلا ينبغي للمبلّغ أن يشعر الناس بالمن عليهم عندما يتحمل أعباء التبليغ،ومشاق الطريق،فيحسس الناس بأن ما أعطاه إياهم كثير...بل لابد من إشعارهم بأن ذلك كله يمثل مسؤوليته التي حمله الله إياها،وهي نعمه من الله عليه،فينبغي شكرها بهدايه كلّ من يحتاج الهدايه و الرعايه و العنايه،وبهذا لا يبقى هناك معنى للمن،مادام ذلك هبه من الله سبحانه وتعالى.

۱- (۱) .بحار الأنوار:۱۲۰/۶۸.

۲- (۲) .المدثر:۶.

۳- (۳) .مفردات غريب القرآن:۴۷۴؛تاج العروس:۱۹۳/۳۰.

۴- (۴) .المدثر:۷؛التفسير الكبير:۱۹۳/۳.

۵- (۵) .تفسير المنير:۲۲۱/۲۹؛الميزان في تفسير القرآن:۸۲/۲۰.

إذاً:فالمن لا ينبغى إلّا لله عز وجلّ: (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) ،أما أنت كنبى أو كمبلّغ ليس لك المنّ عليهم استكثاراً لما تبلّغ من رسالات ربّك،وكذلك ليس لهم المنّ عليك أن آمنوا بالله: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ) ،فالمنّ على الناس من خصوصيات الله،ولا ينبغى لأحد من عباده أن يقوم بأعماله،و قد قال تعالى: (وَ لكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) . (١)

وأخيراً إذا توفّرت هذه الشروط فى التبليغ و المبلّغ يمكن أن تؤثّر الأساليب المتبعه فى التبليغ،ويكون تبليغاً ناجحاً ومؤثراً وموفقاً.

ص:١٢٥

١- (١) .الآيات بترتيب:آل عمران:١۶۴.الحجرات:١٧.إبراهيم:١١.

الفصلُ الثانی: بیان لأهمّ أسالیب التبلیغ

اشاره

ص:۱۲۷

المبحث الأوّل:أهميه الأساليب فى التبليغ

اشاره

إنّ للأساليب صله وثيقه بكلّ جوانب حياتنا،فهى تعدّ لازم من لوازمها التى لا تنفصل عنها،بل تسير معها فى كلّ مجالاتها،وتبدأ مع بدايه وجود كلّ حقيقه؛لأنها الإطار الذى تعيش فيه،والصوره التى تبرز بها.

ولا- تختلف الحقيقه-فى حاجتها إلى الأسلوب-بين أن تتمثل فى وجودنا الحسى الخارجى،وبين أن تتمثل فى وجودنا الفكرى الذهنى؛لأن الأسلوب ليس شيئاً منفصلاً عن وجودها،ولهذا فباستطاعتنا أن نتلمس الأسلوب فى كلّ وجه من وجوه الحياه،وفى كلّ مجال من مجالاتها دونما شك.

فقد نشاهد بستاناً،يحوى فى أرضه شتى الألوان و الأصناف من الأشجار و الأزهار،فلا نستمتع به ولا ننجذب إليه،وإنما نمر به مروراً عابراً،كما يمر الإنسان بأى منظر عادى...ولكنّا قد نمرّ ببستان آخر لا يختلف عنه فى طبيعه ما يحويه،وفى وحده الموقع فيستلفت نظرنا،ويستوقفنا،ونحس بالجمال فى كلّ جانب من جوانبه،ونستمتع بكل مشهد من مشاهده.

و قد ندخل إلى مكتبه تحتوى على مجموعه من الكتب القيمه،لكنها لا- تشدنا إلى مطالعتها،والاستفاده منها،بينما ندخل إلى مكتبه أخرى تحوى هذه الكتب

ص:١٢٩

نفسها،ولكنها تشدنا وتجذبنا إليها،بغيه الإقبال على مطالعه بعض كتبها والاستفاده منها.

قد نلتقى بالكثير من هذه النماذج فى حياتنا،فنحسّ بإحساس مختلف مع كلّ واحد منها،و قد لا نلتفت إلى منشأ هذا الاختلاف،ولا نتوصّل إلى حقيقته،ولكن بعد التدقيق و التدبر ندرك أن السّر هو فى الطريقه و الأسلوب المتبع فى كلّ منهما،ففى البستان مثلاً نجد أن الأسلوب و الطريقه المتبعه فى تنسيقه وتنظيمه تحببه إلى النفس وتكسبه رونقاً وروعه وجاذبيه خاصه.

وفى المكتبه نجد أن طريقه تصنيف وتنسيق الكتب وتقسيمها الدقيق وتناسقها مع بعض،إضافه إلى انتظام كتب كلّ قسم مع بعضها أعطاها تلك الميزه و الجماليه و الجذابيه.

وهكذا نجد أثر الأسلوب المناسب فى المجالات الفكريه،والعلميه،والاستدلاليه،فإنه:

لا يكفى الاستدلال القوى المتين للنفوذ إلى قلوب الآخرين واكتسابهم بالكلام الحقّ،فأن أسلوب التعامل مع الطرف الآخر،وطريقه البحث و المناظره تترك أعمق الأثر فى هذه المرحله.

فكثير ما يتفق أن يوجد أناس مطلعون ولهم يد طولى فى البحوث العلميه الدقيقه إلّا أنهم قلما يوفقون للنفوذ إلى قلوب الآخرين،بسبب عدم معرفتهم بكيفيه المجادله بالتى هى أحسن،[وعدم اختيارهم للأسلوب المناسب،والأداء الجيد،لما يبلغونه ويطرحونه].

وبتعبير آخر:فأن النفوذ إلى مرحله الوعى-فى المخاطب-غير كافٍ وحده،بل ينبغى الدخول إلى مرحله عدم الوعى،الذى يمثل القسم الأكبر لروح الإنسان أيضاً. (۱)

۱- (۱) .تفسير الأمثل:۴۲۳/۱۲.

فأن الإنسان ليس فكراً وعقلاً- صرفاً کی يستسلم أمام قدره الاستدلال،بل علاوه علی ذلک،فأن مجموعه من العواطف و الأحاسيس التی تشکّل جانباً مهماً من روحه مطويه فی وجوده،والتی يجب إشباعها بشکل صحيح ومعقول. (1)

وذلک من خلال اختيار دقيق لأنجح الأساليب وأفضل طرق الأداء،باعتبار أن لها الأثر الکبير فی تقبل فکره معينه،من شخص ورفضها من آخر؛لأنّ السعی إلی طرح أی فکره أو نظريه وإدخالها إلی قلوب الآخرين،يعتمد علی أسلوب عرضها،وطريقه أدائها.

لأن أحد شروط نجاح أی عمل تکمن فی اختيار وانتخاب الطريقه و الأسلوب الصحيح؛ (2)ولأنّ قضيه التبليغ بمعناها الواقعی و الصحيح،تعنی:نقل وإيصال الرساله إلی الناس،أی توعيه الناس بالرساله وإقناعهم بها وجذبهم إليها،وإبلاغ أی رساله يحتاج إلی أسلوب ومنهج صحيح.

فبالأسلوب الصحيح وحده يمکن للتبليغ أن يکون ناجحاً وموفقاً،ولو حصل أن اختار الإنسان الأسلوب المعاکس،فأنه ليس فقط لا يحصل علی نتيجه ايجابيه من العمل،بل أنه سيجنی حتماً نتيجه معاکسه تماماً.... (3)

ولذلک،يتعين علی المبلّغ الذی يريد أن ينطق بلسان الأنبياء عليهم السلام،ويتکلّم مثلهم،ويحمل رسالتهم وينهج طريقهم،عليه حقاً أن يختار ويستخدم أساليب مناسبه وفاعله ومؤثره،تتوافق مع الأهداف النبيله التی يسعی لتحقيقها،ويتجنب الأساليب العقيمه وغير المثمره.

ومن هنا،لا- بدّ لنا من دراسه أفضل الأساليب الفنيه للخصائص الفکريه و الروحيه من أجل تحقيق الاتّصال الحقيقی بالآخرين،وبکل هدوء ومرونه وانسجام؛لأن

1- (1) .تفسير الأمثل:13/446.

2- (2) .الملحمه الحسينيه:1/182.

3- (3) .المصدر:184.

الأسلوب هو العنصر الحيوى فى تحريك الفكر و الشعور،نحو الارتباط بالقناعات الرساليه؛لأنه هو الذى يهيئ الجو النفسى للتناسق مع الفكره فى خطوتها العمليه،و هو الذى يقود الجماهير بحكمه للتفكر فى مضمونها.

وبما أنّ التبليغ هو أحد أهمّ الحقائق التى تعيش فى حياتنا،وتشغل تفكيرنا،فيجب أن يأخذ مركزه الطّبيعى اللائق و المناسب له،فى واقعنا الذى نعيشه،وفى أزمنه الصراع التى نعانيها.

إذاً:فلا بدّ أن يتمثل تبليغنا فى أسلوب يعبّر عنه،ويميز معالمه،ويبلور حقيقته،فى مقابل التبليغات الأخرى المتبلوره فى مجالات الصراع.

وذلك هو الذى يفرض حاجتنا الملحّه إلى البحث عن أساليب التبليغ،وعن النماذج التطبيقيه التى تتمثل فيها روحه،وتتجلّى معها أصالته ومرونته وجذابيته.

١.وعى المرحله وتنويع الأساليب

وممّا يجدر ذكره هنا فى هذا السياق هو:موضوع الوعى،و هو من الأمور الضّروريه و اللازمه التى نحتاجها فى عمليه اختيار أساليب التبليغ.

وما نهدف إليه فى هذا البحث و هذه الدراسه القرآنيه هو-إضافه إلى تقويه دوافع التبليغ-توعيه المبلّغ وتعريفه بأهم الخصائص و الأساليب و الطرق المؤثره فى نجاحه فى أداء مهمته،والقيام بوظيفته.

فالمبلّغ الناجح هو القادر على صنع الشخصيه الإسلاميه،وذلك من خلال ما يحمله من وعى يستطيع أن يحرك به الكلمه فى اتجاه الموقف،ويدفع الموقف نحو الهدف الأخير،و هو الإيمان بالله تعالى.

وسوف يبقى القرآن الكريم فى آياته الشريفه عنصراً أساسياً من عناصر التوعيه

والتذكير على مدى الأبد،فى مجالات التبليغ و التحدى،ليكون حجّه وشاهداً علينا أمام الله سبحانه وتعالى.

فتجده-مثلاً-يخاطب المسلمين عن طريق النبى صلّى الله عليه و آله فيقول سبحانه وتعالى: (وَ لَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لاَ النَّصارى حَتّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) ، (۱)ويريد سبحانه وتعالى بذلك أن يقدم للمسلمين الوعى العميق للواقع الذى يحيط بهم،ليكونوا على معرفه عميقه شامله لما حولهم،مما يجعلهم دقيقين فى اختيار أسلوب خطابهم مع هؤلاء المخاطبين،وذلك من خلال الوعى العميق لكل جزئيات القضيه.

ونجد أن الأنبياء عليهم السلام و المبلغين يعتمدون فى مسيرتهم التبليغيه أساليب مختلفه فيما بينها تماماً،ومنشأ ذلك هو وعيهم لتلك المرحله،أو ذلك الظرف الذى يمارسون فيه التبليغ،فحينما يكون المبلّغ واعياً لمرحلته ولزمانه،ومكانه ومخاطبيه،سوف يغير أسلوبه بتغيرها واختلافها،ولكن هذا التغير و التنوع فى الأساليب حينما يكون بسبب وعى المبلّغ لما حوله،سوف يؤدّى إلى نتيجه واحده،وهدف واحد و هو توعيه الناس،وإيصالهم إلى غايتهم،حيث إنّه اعتمد الوعى فى حركته نحو هدفه وغايته.

ومن الطّبيعى،جداً أن أسلوب خطاب الناس و التعامل معهم إذا انطلق من موقع الدراسه الواعيه لكلّ العوامل المؤثره فى أفكارهم ومشاعرهم،فأنه لا بدّ أن يؤدى النتائج المرجّوه.

و أما تنويع الأساليب

إن التعامل مع الإنسان يختلف عن التعامل مع الفكره المجرّده؛لأنّ الإنسان كائن متغير متنوّع فى عواطفه وتأثراته،ممّا يقتضى منا التحرك معه فى كلّ الاتجاهات و التيارات التى يمكن أن تجرفه،أو يتأثر بها.

۱- (۱) .البقره:۱۲۰.

ولهـذا،جاء القرآن الكريم ليواجه حاجه الإنسان إلى التنوع فى مسـيرته فى هذه الحياه،فأراده أن يتحرك من خلال المنهج السائر على خطّ الفكر و التجربه،وهـداه إلى الآفـاق الـتى يمكن لهـا توسـيع نظرته،وإلى المواقع الـتى يمكن لهـا أن تغنى تجربته،وإلى المواقف التى يمكن أن تحدّد له طريقه وتركّز له هدفه.

فقـال تعـالى فى كتـابه الكريم: (وَ كَـذٰلِكَ نُصَـرِّفُ الْآيـاتِ وَ لِيَقُولُـوا دَرَسْتَ وَ لِنُبَيِّنَهُ لِقَـوْمٍ يَعْلَمُونَ) ، (١)وقال تعالى: (كَـذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) . (٢)

وقال الشيخ الطريحى:

أن معنى قوله (نُصَـرِّفُ الْآيـاتِ) أى:نكرّرهـا تـارةً من جهه المقـدمات العقليه،وتـاره من جهه الترغيب و الترهيب،وتـاره من جهه التنبيه و التذكير بأحوال المتقدمين. (٣)

وجاء فى اللغه،عن أبى عبيد قال:

صرف الكلام تزيينه و الزياده فيه وإنما سمى بذلك لأنه إذا زُين صرف الأسماع إلى استماعه. (۴)

وقال المفسّرون فى تفسير قوله تعالى: (كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) وما يماثلها من الآيات:

توجيه الشّيء فى جهتين فصاعداً،والمعنى أنه تعالى يبين لهم آيه بعد آيه،وحجه بعد أخرى،ويضرب مثلاً بعد مثل.... (۵)

فيصرف سبحانه وتعالى وينوّع الأساليب ويكثّر الوجوه،ويبين الحقائق

ص:۱۳۴

١- (١) .الأنعام:١۵.

٢- (٢) .الأعراف:۵٨.

٣- (٣) .مجمع البحرين:۶٠۴/٢.

۴- (۴) .مجمع مقاييس اللغه:٣۴٣/٣.

۵- (۵) .التبيان فى تفسير القرآن:۴٣٣/۴؛التفسير الأصفى:٣٣٨/١؛تفسير مقاتل بن سليمان:٣۴٧/١؛الطبرى, جامع البيان:٢۵٨/٧.

بالوسائل و الأساليب المتنوعه،من رفق وعنف وتذكير وإنذار وتمثيل وقصه وغيرها،لكى يلاءم كلّ الأفكار،ويلتقى بالحقيقه بأكثر من طريق،فيكون أكثر إدراكاً،وأعمق تأثيراً،وأشد تصديقاً؛لأنه إذا لم يقتنع البعض بالفكره من خلال أسلوب،اقتنع بأسلوب آخر،و إذا لم يتّسق مع بعض المفاهيم أو الأمثله،أمكنه أن يتّسق مع مفهوم أو مثل آخر،ليعيش الناس الوعى القرآنى فى كلّ آيه من آياته،وفى كلّ فكره من أفكاره.

٢.القرآن الكريم يهذب الأساليب

إنّ فى نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطريه واستدرار للسامع،وتجديد لنشاطه وصيانه لخاطره من الملل و الضجر،بدوام الأسلوب الواحد على سمعه،وكما قيل:

لا يصلح النفس إن كانت مصرفه إلّا التنقل من حال إلى حال

قاله حازم فى منهاج البلغاء. (١)

فتنقل المبلّغ بين الأساليب وتنويعه فى ذلك يفتح عقول ونفوس الجماهير إلى الاستماع وينفى عنهم الملل الذى يفقد التبليغ حلاوته،ويعدم فائدته.

ولهذا،فقد هذَّب القرآن الكريم أساليب التبليغ وألفاظه،ورسمها للمبلّغين من بعد الأنبياء و الرسل عليهم السلام لكى يحاولوا أن يبنوا عقيده الناس،ويخططوا لهم تفكيرهم،ويوصلوهم إلى غايتهم،وهى الإيمان بالله سبحانه وتعالى ورضوانه.

ومن هنا،كثرت محاكاه الشعراء و الخطباء،والمبلغين و الكتاب لعبارات القرآن الكريم فى أساليبه وألفاظه واغترافهم من معينه الصافى.

فصحيح أنّ القرآن الكريم:

١- (١) .البرهان فى علوم القرآن:٣١٤/٣؛الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل:٦٣/١؛فتح القدير:٢٢/١.

منزل بلسان العرب ولكن بأسلوب بهرهم وأعجزهم،و إن كان من جنس ما يعرفون من الكلام. (۱)

ولذلک خلّد القرآن الکریم صور البیان الرائع و الأسالیب البدیعه و المؤثره.

فقد أتی القرآن الکریم بکثیر من القصص المشوقه للعبره و الذکری کقصص الأنبیاء علیهم السلام وبعض الملوک،ممّا حمل الباحثین علی دراسه تاریخ الأمم البائده،فجعل التاریخ العربی ذا فنون وشعب کثیره العدد و المباحث،وهکذا أحیا القرآن الکریم فنوناً کثیره وأسالیب جدیده کأسلوب القصه،والتاریخ و الحکمه و الموعظه،والجدل و المثل،و...ممّا جعل الباحثین و المبلّغین یحتذون حذوه فی أسالیبه ومناهجه وصیاغته فی الحجج وسوقه الآراء.

ولذا،تجد نبینا الأکرم صلّی الله علیه و آله کان واعظاً وخطیباً،ومجیباً ومفسّراً للرؤیا و الأحلام،یقصّ القصص ویضرب الأمثال،و هو فی هذا کلّه لا یمل حدیثه ولا یستثقَل مجلسه.

فنجده صلّی الله علیه و آله استخدم الأسلوب البیانی و البرهانی و العرفانی،ووثّق ذلک بشهاده الواقع وتاریخ الأمم السابقه،ووظف لذلک القصّه و الحوار،والمناظره و المناقشه،والمثل،و....

ولذا،یرید الله تعالی لنا أن نعیش تاریخ الأنبیاء علیهم السلام و الرسالات،کی نعرف طبیعه الأطروحات التی قدموها،وطبیعه الأسالیب التی استعملوها فی مواجهه الفئات المتمرّده علی الرسالات،فمتی ما درسنا وعشنا حیاه الأنبیاء علیهم السلام ورسالاتهم تعرفنا علی طبیعه ما کان یطرحه الأنبیاء علیهم السلام المتقدمون،وماذا کان یطرحه الأنبیاء المتأخرون؟وما هی الأسالیب التی انطلقوا بها إلی الناس؟مستلهمین ذلک من القرآن الکریم الذی یعتبر هو المصدر الصافی الذی لم یعلق به التغییر و التحریف؟و هو کتاب التبلیغ و الهدایه الشامل:

۱- (۱) .سلیمان, الظاهر العاملی, القادیانیه:۲۲۲.

الـذی بین الطریقه و الأسـلوب و المنهـج الواجب إتبـاعه فی التبلیغ؛أما بواسـطه آیاته مباشـره،أو عن طریق أحادیث الأنبیاء علیهم السلام،وعلی ألسنتهم. (۱)

وعلی ضوء هذا،فسـتکون دراسـتنا القرآنیه فی هذا الفصل مخصـصه للتعرف علی الطرق و المسالک و الفنون التبلیغیه المتنوّعه و المتغیره بتغیر المراحل و الظروف،والتابعه لوعی المبلّغ لـذلک التغیر والاختلاف،الـذی یحدّد طبیعه العلاقه والارتباط بین المبلّغ-صاحب الرساله-وبین مخاطبیه وجمهوره.

۱- (۱) .الملحمه الحسینیه:۱۸۴/۱.

المبحث الثانی:أهمّ أساليب التبليغ

۱.أسلوب الحكمه

اشاره

إنّ القرآن الكريم بين فی آياته الكريمه الركائز الأساسيه لطرق وأساليب التبليغ،التی ينبغی علی المبلّغين التحصن بها عند مواجهه المخالفين،والسير عليها،وانتهاج نهجها،ومن تلك الآيات الكريمه هی قوله تعالی: (ادْعُ إِلی سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) . (۱)

حيث بين تعالی-فی هذه الآيه الشريفه-ثلاثه من أهم أساليب التبليغ التی ينبغی اعتمادها من قبل المبلّغين،وأولها أسلوب الحكمه،ثمّ الموعظه الحسنه،ثمّ الجدال بالتی هی أحسن.

كلمه الحكمه ودلالتها

أخضع اللغويون كلمه الحكمه لعدّه معان:

۱- (۱) .النحل:۱۲۵.

فقال بعضهم:«إن مرجعها إلى:العدل و العلم و الحلم». (۱)

وقال بعضهم إنها:عباره عن معرفه أفضل الأشياء بأفضل العلوم،فيقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها:حكيم. (۲)

وحينما يتطرّق اللغويون بقوله تعالى: (يُؤْتِى الْحِكْمَهَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ) (۳)يقولون:إن الحكمه تُطلق على:

طاعه الله،والفقه فى الدّين و العمل به،والفهم و الخشيه،والورع و الإصابه،والتفكر فى أمر الله وإتباعه. (۴)

وقال مجاهد:

هى العقل،والعفه،والإصابه فى القول،وقال زيد بن أسلم:الحكمه العقل فى دين الله،وقال الضحاك:الحكمه القرآن،وقال قتاده:الفهم.

قلت-[أى:]النحاس-و هذه الأقوال متفقه،وأصل الحكمه ما يمتنع به من السفه،فقيل للعلم حكمه لأنه به يمتنع،وبه يعلم الامتناع من السفه،و هو كلّ فعل قبيح،وكذا القرآن،والعقل و الفهم. (۵)

و أمّا المفسّرون:

قال الشيخ الطوسى فى تفسير قوله تعالى: (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) :

أمر الله تعالى نبيه محمد صلّى الله عليه و آله أن يدعو عباده المكلّفين بالحكمه،و هو:أن يدعوهم إلى أفعالهم الحسنه التى لها مدخل فى استحقاق المدح و الثواب عليها،لأنّ القبائح يزجر عنها،ولا يدعو إليها،والمباح لا يدعو إلى فعله؛لأنه عبث،وإنما يدعو إلى ما هو واجب أو ندب؛لأنّه يستحق بفعله المدح و الثواب،

۱- (۱) .كتاب العين:۶۶/۳.

۲- (۲) .النهايه فى غريب الحديث:۴۱۹/۱.

۳- (۳) .البقره:۲۶۹.

۴- (۴) .تاج العروس:۱۶۱/۱۶.

۵- (۵) .معانى القرآن:۲۹۷/۱.

والحکمه هی:المعرفه بمراتب الأفعال فی الحسن و القبح و الصلاح و الفساد.

وقیل لها الحکمه؛لأنها بمنزله المانع من الفساد،وما لا ینبغی أن یختار. (۱)

وقال الشیخ الطبرسی:

أی:القرآن...وسمی القرآن حکمه؛لأنه یتضمن الأمر بالحسن و النهی عن القبیح. (۲)

وقال الزمخشری:«الحکمه هی المقاله المحکمه الصحیحه وهی الدلیل الموضح للحق المزیل للشبهه». (۳)

ویقول الفخر الرازی:

وأعلم أنّ الحکمه هی الإصابه فی القول و العمل،ولا یسمی حکیماً إلّا من اجتمع له الأمران.وقیل:أصلها من أحکمت الشّیء،أی:رددته،فکأن الحکمه هی التی تردّ عن الجهل و الخطأ،وذلک أنما یکون بما ذکرنا من الإصابه فی القول و الفعل،ووضع کلّ شیء فی موضعه. (۴)

وکانت هذه إلماعه لبعض أقوال اللغویین و المفسّرین،و قد حاولَتْ أن تفسّر وتبین معنی الحکمه،فقالوا هی:(العدل)،(الحلم)،و(النبوه)،و(ما یمنع من الجهل)،(وما یمنع من الفساد)،(وکلّ کلام موافق للحقّ)،و(وضع الشّیء فی موضعه)،و(صواب الأمر وسداده)،و(معرفه الأشیاء بأفضل العلوم)وغیر ذلک.

والذی یبدو لنا-من خلال ما تقدّم-حول مفهوم کلمه الحکمه:أنها تعبیر عن طبیعه أسلوب التبلیغ وضروره اتصافه بالحکمه،وسلوکه طریقها.

فالآیه الکریمه تحاول إرشاد المبلّغین إلی طریقه التبلیغ العملیه فی هدایه الناس،وإرشادهم وکسب أکبر عدد ممکن منهم إلی صف الدّین و العقیده،وتشیر إلی أن

۱- (۱) .التبیان فی تفسیر القرآن:۴۴۰/۶.

۲- (۲) .تفسیر مجمع البیان:۶۰۵/۶.

۳- (۳) .الکشاف عن حقائق التنزیل وعیون الأقاویل:۴۳۵/۲.

۴- (۴) .التفسیر الکبیر:۵۹/۲.

الحقیقه المجرّده العاریه،والواقع البسیط المجرّد لا یمکن إلقاؤهما إلی الناس دون مقدّمات،ودون ملاحظه للظروف ودراسه لجوّ العمل ومجالاته.

فالإنسان الحکیم هو الإنسان المزوّد بمعانی الحکمه،ممّا یساعده علی إعطاء الرأی الصائب،ویمنح خطواته وأعماله صفه الترکیز وعدم الانحراف والاهتزاز،ویجعلها فی محلّها،و هذا یلتقی مع مفهوم:(وضع الشّیء فی موضعه).

وعلی ضوء ذلک،یمکننا إطلاق هذه الصفه علی العالم و العادل،والحکیم و النبی:لأن اشتمال الإنسان علی المبادئ،وهی:العلم و العدل،والحلم و النبوه،تساعد علی أن یضع الأشیاء فی مواضعها،ففی العلم عندما یبحث ویفکر،وفی الحلم عندما یعفو ویسامح،وفی العدل عندما یقضی ویحکم،وفی النبوّه عندما یدعو ویبلّغ،فهی السیر فی الطریقه الواقعیه للعمل-أی:ملاحظه الواقع الخارجی للمجتمع الذی تعیش فیه-ودراسه ظروفه العقلیه و الفکریه و النفسیه والاجتماعیه،ووضع کلّ ذلک فی الحساب قبل بدایه العمل.

إذاً:فالحکمه فی التبلیغ هی:أن لا یتّخذ المبلّغ أسلوبا واحداً فی عمله التبلیغی،بل لا بدّ أن یختلف حسب الواقع الذی یعیشه المبلّغ،فأنه من الواضح أن الدّعوه لن تکون فعّاله إذا حاولت أن تساوی بین الجاهل و العالم أو-المثقف-فی الفکره التی تلقی علیهم،والأسلوب الذی یتبّع معهم،فأن الأدوات التعبیریه و المخزون الفکری الذی یملکه کلّ منهما،یختلف عما یملکه الآخر،وأیضاً فقد تقتضی بعض المواقف الجوّ الحماسی والاندفاعی الصرف،بینما یقتضی بعضها الآخر،الجو الهادئ المتزن.

و قد نحتاج فی بعض الحالات إلی عرض الفکره باختصار وذکر خطوطها الرئیسیه،وفی حالات أخری نحتاج إلی عرض الفکره بکامل تفاصیلها.

فأن الحکمه:

تقتضى أن يبدأ المتكلم بما هو أخصّ،فأن اكتفى به المخاطب فذاك،ولم يحتج إلى نعت،وإلّا زاد عليه من النعت ما يزداد به المخاطب معرفه. (۱)

والخلاصه أن الحكمه هى:

وضع الشّىء فى موضعه،أو صواب الأمر وسداده،إلّا أن مبادئها تختلف كما أن مجالاتها تتعدد،فهى ليست أمراً بسيطاً يتعلّمه الإنسان ويمارسه،كما يتعلّم أيه صنعه أو حرفه ويمارسها،بل هو أمر معقد يحتاج إلى معايشه للقضايا و الحوادث و الأفكار،واطلاع واسع على دقائقها،وخصائصها ومداخلها ومخارجها،ومن هنا كان قوله تعالى فى الحديث عن الحكمه (يُؤْتِی الْحِكْمَهَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَيْراً كَثِيراً) . (۲)

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

<<الحكمه ضياء المعرفه،وميزان التقوى،وثمره الصدق،ولو قلت:ما أنعم الله على عبد بنعمه أعظم وأنعم وأجزل وأرفع وأبهى من الحكمه للقلب،قال تعالى (يُؤْتِی الْحِكْمَهَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَيْراً كَثِيراً) ،أى:لا يعلم ما أودعت وهيأت فى الحكمه إلّا من استخلصته لنفسى وخصصته بها...». (۳)

وكانت الحكمه من المنح الإلهيه العظيمه التى امتن الله بها على عباده وأنبيائه عليهم السلام ففى حديثه تعالى عن نبيه داود عليه السلام قال تعالى: (وَ آتاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَهَ) ، (۴)وفى حديثه تعالى عن آل إبراهيم قال تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) ، (۵)وهكذا فى حديثه تعالى عن لقمان،حيث قال تعالى: (وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَهَ أَنِ اشْكُرْ لِلّهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ

ص:۱۴۳

۱- (۱) .شرح الرضى على الكافيه:۳۱۴/۲.

۲- (۲) .البقره:۲۶۹.

۳- (۳) .مصباح الشريعه:۱۹۸.

۴- (۴) .البقره:۲۵۱.

۵- (۵) .النساء:۵۴.

اَللّهَ غَنِیٌّ حَمِیدٌ) ، (۱)وقال تعالی: (وَ شَدَدْنا مُلْکَهُ وَ آتَیْناهُ الْحِکْمَهَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ) . (۲)

ویلاحظ فی کلامه تعالی عن آل إبراهیم أنه قرن الحکمه بالکتاب،وفی هذه دلاله علی أنّها ترقی إلی مستوی الکتاب فی السمو و الرفعه کما یلاحظ ذلک فی کثیر من الآیات.

ولـذلک،نجـد أنّه تعالی نسـبها-الحکمه-إلی ذاته المقدّسه کما أنه نسب القرآن الکریم إلی نفسه،فقال تعالی: (وَ کانَ اللّهُ عَزِیزاً حَکِیماً) (۳)أی:

«أنه غالباً مصدر أفعاله وأقواله علی أسلوب الحکمه». (۴)

ومن الأمثله علی ذلک،قوله تعالی (یَسْئَلُونَکَ ما ذا یُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَیْرٍ فَلِلْوالِدَیْنِ وَ الْأَقْرَبِینَ وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِیمٌ) . (۵)

قال العلامه الطباطبائی:

الآیه واقعه علی أسلوب الحکمه،فأنهم أنما سألوا عن جنس ما ینفقونه ونوعه،وکان هـذا السؤال کاللغو لمکان ظهور ما یقع به الإنفاق و هو المال علی أقسامه،وکان الأحق بالسؤال أنما هو من ینفق له،صرف الجواب إلی التعرض بحاله وبیان أنواعه لیکون تنبیهاً لهم بحق السؤال،والـذی ذکروه وجه بلیغ غیر أنهم ترکوا شیئاً،و هو أن الآیه مع ذلک متعرضه لبیان جنس ما ینفقونه،فأنها تعرضت لـذلک:أوّلاً ـ بقولهـا:من خیر،إجمالاـ وثانیاً بقولها: (وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِیمٌ) ،ففی الآیه دلاله علی أن الـذی ینفق به هو المـال کائنـاً مـا کان،من قلیل أو کثیر،وان ذلک فعل خیر و الله به علیم،لکنهم کان علیهم أن یسألوا عمن ینفقون لهم ویعرفوه،وهم الوالدان و الأقربون و الیتامی و المساکین وابن السبیل. (۶)

۱- (۱) .لقمان:۱۲.

۲- (۲) .ص:۲۰.

۳- (۳) .النساء:۱۵۸.

۴- (۴) .فتح القدیر:۵۱/۵.

۵- (۵) .البقره:۲۱۵.

۶- (۶) .المیزان فی تفسیر القرآن:۱۶۰/۲.

إذاً:وفی نهایه المطاف نستطیع أن نضع أیدینا علی أسلوب من أسالیب التبلیغ الذی شرّعه الله تعالی فی القرآن ورسمه للأنبیاء علیهم السلام وللمبلّغین من بعدهم.

٢.أسلوب الموعظه الحسنه

اشاره

الموعظه الحسنه هی الأسلوب الآخر الذی أمر الله تعالی أنبیاءه علیهم السلام بإتباعه فی طریق التبلیغ،وحدده تعالی منهجاً لإبلاغ دین الحقّ و الدعوه إلیه،وذلک لما للموعظه الحسنه من أثر دقیق وفاعل علی عاطفه الإنسان وأحاسیسه،وتوجیه مختَلَف طبقات الناس نحو الحقّ.

والموعظه هی:

التذکیر بالخیر مما یرق له القلب، (١)أو هی:زجر مقترن بتخویف، (٢)أو نصح وتذکیر بالعواقب. (٣)

هذا عند اللغویین،و أمّا المفسّرون فلا یختلف تعریفهم للموعظه عن تعاریف اللغویین کثیراً.

فمثلاً قال الشیخ الطوسی فی الموعظه هی:

ما یدعو بالرغبه،والرهبه إلی الحسنه بدلاً عن السیئه. (۴)وفی موقع آخر یقول الموعظه الحسنه هی:الوعظ الحسن و هو الصرف عن القبیح علی وجه الترغیب فی ترکه و التزهید فی فعله،وفی ذلک تلیین القلوب بما یوجب الخشوع. (۵)

وقال العلامه الطباطبائی:

١- (١) .کتاب العین:٢/٢٢٨.

٢- (٢) .مفردات غریب القرآن:۵٢٧.

٣- (٣) .الصحاح:٣/١١٨؛مجمع البحرین:۴/۵٢٢.

۴- (۴) .التبیان فی تفسیر القرآن:٢/۵٩٩؛تفسیر مجمع البیان:٢/٣٩۶.

۵- (۵) .المصدر:۶/۴۴٠.

هی البیـان الـذی تلین به النفس ویرق له القلب،لما فیه من صـلاح حال السامع من الغبر و العبر وجمیل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذلک. (۱)

أ)فرق الموعظه عن غیرها

قال الفخر الرازی:

ولا بدّ من الفرق بین البیان وبین الهدی وبین الموعظه؛لأن العطف یقتضی المغایره،فنقول فیه وجهان:

الأوّل:أن البیـان هو الـدلاله التی تفیـد إزاله الشـبهه بعـد أن کـانت الشـبهه حاصـله،فالفرق أن البیان عام فی أی معنی کان،و أما الهـدی فهو بیـان لطریق الرشـد لیسـلک دون طریق الغی،و أمـا الموعظه فهی الکلاـم الـذی یفیـد الزجر عمـا لاـ ینبغی فی طریق الدّین،فالحاصل أن البیان جنس تحته نوعان:أحدهما:الکلام الهادی إلی ما ینبغی فی الدّین و هو الهدی.

الثانی:الکلام الزاجر عما لا ینبغی فی الدّین و هو الموعظه.... (۲)

وقالوا فی الفرق بین الحکمه و الموعظه الحسنه:

إن (بِالْحِکْمَهِ) تستثمر البعد العقلی للإنسان، (وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ) تتعامل مع البعد العاطفی له. (۳)

ب)الحُسن شرط فی الموعظه

وفی ضوء مـا تقـدّم،نص إلی النقطه الجـدیره بالملاـحظه وهی:أن الله تبـارک وتعـالی أمر أنبیـاءه علیهم السـلام فی دعوه النـاس بالموعظه الحسنه حینما قال تعالی (ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) (۴)بمعنی:

۱- (۱) .المیزان فی تفسیر القرآن:۳۷۱/۱۲.

۲- (۲) .التفسیر الکبیر:۳۷۱/۳.فی تفسیر قوله تعالی: (هذا بَیانٌ لِلنّاسِ وَ هُدیً وَ مَوْعِظَهٌ لِلْمُتَّقِینَ) آل عمران:۱۳۸.

۳- (۳) .تفسیر الأمثل:۳۶۴/۸.

۴- (۴) .البیان وفن الخطابه:۱۹۷.

الموعظه الخالیه من أی نقص أو عیب،فهی القادره علی إدخال الناس فی دین الله وهدایتهم إلی الصراط المستقیم،وأحاطتهم بهاله الإنسانیه،و قد أفلح رسول الله صلّی الله علیه و آله فی دعوته فی ظل مواعظه الحسنه.

فإذا أراد المبلّغ الإسلامی الذی یتّبع خطی رسول الله صلّی الله علیه و آله أن یدعو الناس إلی الطریق الحقّ بواسطه الموعظه،فعلیه أن یتکلّم بما أمر به الله ویتّبع سلوک رسول الله صلّی الله علیه و آله،وأن تکون مواعظه حسنه خالصه لیتمکّن من أن یترک أثراً طیباً فی مستمعه ویهدیه إلی الصراط المستقیم و هو طریق الحقّ الذی لا عوج فیه.

ویقول العلامه الطباطبائی،فی خصوص تقیید الموعظه بالحسنه:

ولعل ما فی ذیل الآیه من التعلیل بقوله: (إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ) , یوضح وجه التقیید،فمعناه أنّه سبحانه أعلم بحال أهل الضلال فی دینه الحقّ،و هو أعلم بحال المهتدین فیه،فهو یعلم أن الذی ینفع فی هذا السبیل هو الحکمه و الموعظه الحسنه و الجدال الأحسن،لا غیرُ.

ومن هنا،یظهر أن حُسن الموعظه إنّما هو من حیث حُسن أثره فی الحقّ الذی یراد به بأن یکون الواعظ نفسه متعظاً بما یعظ ویستعمل فیها من الخلق الحَسن ما یزید فی وقوعها من قلب السامع موقع القبول،فیرق القلب ویقشعر به الجلد ویعیه السمع ویخشع له البصر. (۱)

وقال آخر:

إن تقیید (الْمَوْعِظَهِ) بقید (الْحَسَنَهِ) لعلّه إشاره إلی أن النصیحه و الموعظه أنّما تؤدی فعلها علی الطرف المقابل إذا خلیت من أی خشونه،أو استعلاء وتحقیر،التی تثیر فیه حس العناد و اللجاجه وما شابه ذلک.

فکم من موعظه أعطت عکس ما کان یؤمل بها بسبب أسلوب طرحها الذی یشعر الطرف المقابل بالحقاره والاهانه؟کأن تکون الموعظه أمام الآخرین ومقرونه بالتحقیر،أو یستشم منها رائحه الاستعلاء فی الواعظ،فتأخذ الطرف المقابل العزه بالإثم،ولا یتجاوب مع تلک الموعظه.

وهکذا یترتب الأثر الایجابی العمیق للموعظه إذا کانت (الْحَسَنَهِ) . (۲)

۱- (۱) .المیزان فی تفسیر القرآن:۳۷۲/۱۲.

۲- (۲) .تفسیر الأمثل:۳۶۵/۸.

ج)شروط أخرى لتأثير الموعظه

لقد خلق الله الإنسان بشكل جعله يتأثر بالإيحاء الخارجي ويتقبله،سواء أكان هذا الإيحاء صالحاً نافعاً له أو مضراً به،والموعظه هی نوع من الإيحاء الذی يلقيه الواعظ فی المستمع. (۱)

والموعظه ذات تأثير كبير فی تغيير أفكار الناس،وتبديل بناءهم العقائدی و الفكری،لذلك جعلها الله أحد أهم طرق وأساليب التبليغ،وجعل لها-لكی تؤثّر-شروطاً وضوابط،ومن أهمّها:

أولاً:أن يتوفّر فی فحوى كلام الواعظ عنصر التوعيه و التنبيه. (۲)

قال أمير المؤمنين عليه السلام فی أحد وصاياه:«الموعظه كهف لمن وعاها». (۳)ومن هذا المنطلق نحن مأمورون بالالتزام بالموعظه الحسنه و الكلمه الطيبه إذا أدركناها حتّی،و إن لم يعمل بها صاحبها،يقول الإمام الباقر عليه السلام:«خذوا الكلمه الطيبه ممن قالها و إن لم يعمل بها». (۴)

ثانياً:أن يقرن الواعظ موعظته الحسنه بالإخلاص:

قال الإمام الصادق عليه السلام:

<<أحسن الموعظه ما لا تجاوز القول حدّ الصدق،والفعل حدّ الإخلاص،فأن مثل الواعظ و المتعظ كاليقظان و الراقد فمن استيقظ عن رقده غفلته ومخالفته ومعاصيه صلح أن يوقظ غيره من ذلك الرقاد...». (۵)

فالواعظ المؤمن الذی يتحدّث بنيه مخلصه،هدفه هدايه الناس إلى الصراط المستقيم بالموعظه الحسنه وتأمين السعاده لهم،هذا المبلّغ الواعظ يترك-ممّا لا لبس فيه-أثراً فی نفوس المنزهين عن العناد من مستمعيه ويهديهم إلى سبيل الفلاح

۱- (۱) .البيان وفن الخطابه:۱۹۶.

۲- (۲) .البيان وفن الخطابه:۱۹۸.

۳- (۳) .من لا يحضره الفقيه:۳۹۰/۴.

۴- (۴) .بحار الأنوار:۱۵۹/۱۱۰.

۵- (۵) .مصباح الشريعه:۱۶۰.

والصلاح؛لأنّ الموعظه الحسنه هى أفضل هديه كما قيل:(نعم الهديه الموعظه)، (۱)يقدّمها الإنسان المؤمن لأخيه المؤمن.

ثالثاً:الاقتصاد فى الموعظه:

ومن الأمور التى ينبغى على المبلّغ أن يهتمّ بها فى الموعظه،وذلک عندما يريد تحذير الناس من المعصيه و الرذيله،فلكى تكون مؤثّره تؤثر فى المستمعين،قادره على إيقاظ الغافلين،متمكنه من إحياء القلوب الميته،أن يبدأ الحديث بذكر يوم القيامه وجزائه و العقاب الإلهى،ويورد بعض الآيات و الأحاديث التى تناسب البحث.وللتوضيح اذكر ما قاله وما وعظ به مؤمن من آل فرعون قومه حينما خاطبهم بأسلوب زاخر بالمراره و العاطفه،ومملوء بالموعظه و النصيحه،يبصرهم بالحياه وفنائها،والآخره وخلودها،وذلک ما حكاه الله فى قوله تعالى (وَ قالَ الَّذِی آمَنَ یا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِکُمْ سَبِیلَ الرَّشادِ) (۲):

و هو الإيمان بالله, وتوحيده, وإخلاص العباده له, و الإقرار بموسى عليه السلام،وقال لهم أيضاً على وجه الوعظ لهم و الزجر عن المعاصى (یا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَیاهُ الدُّنْیا مَتاعٌ) ،يعنى:انتفاع قليل،ثمّ يزول بأجمعه،ويبقى وزره وآثامه: (وَ إِنَّ الْآخِرَهَ هِیَ دارُ الْقَرارِ) (۳)أى:دار المقام. (۴)

هكذا ينبغى للمبلّغ أن يشرحها للمستمع ويوضح معانيها له ويدعوه إلى التدبر فيها ويشجعه على ذلک،عندها يستطيع الواعظ أن يؤثر فى المستمع النقى السريره ويردعه عن ارتكاب المعاصى.

ولكن الأمر الجدير بالذكر والاهتمام هنا هو أن يتجنب المبلّغ الإسهاب فى الكلام

۱- (۱) .عيون الحكم و المواعظ:۳۱.

۲- (۲) .غافر:۳۸.

۳- (۳) .غافر:۳۹.

۴- (۴) .التبيان فى تفسير القرآن:۷۹/۹ وسميت دار قرار لاستقرار الجنه بأهلها واستقرار النار بأهلها.

والموعظه،وذکر العذاب و النار؛لأنه یؤدی إلی یأس المستمع وقنوطه،و قد جاءت الکثیر من الروایات بهذا الشأن:

فعن الإمام علی علیه السلام أنه قال:

>>الفقیه کلّ الفقیه من لم یقنّط الناس من رحمه الله،ولم یؤیسهم من روح الله،ولم یؤمّنهم من مکر الله». (۱)

إذاً:یجب الاقتصاد فی الموعظه،و هو علی قسمین:

الأوّل:الاقتصاد فی عددها،وکثرتها،فلا یکثر من المواعظ،فیتحول تبلیغه کلّه إلی مواعظ،وإنما یتخول الناس بها بین الفینه و الفینه،حتّی یشتاق الناس إلیه ولا یملون حدیثه،کما جاء عن النبی صلّی الله علیه و آله:

>>أنه کان یتخوّل أصحابه بالموعظه کراهیه السآمه علیهم». (۲)

الثانی:الاقتصاد فی وقتها،فتکون الموعظه قصداً عدلاً،فإن کثره الکلام ینسی بعضَهُ بعضاً،فینبغی البعد عن الثرثره وتجنب الحشو وتکرار الأفکار،وإطاله المقدّمات،والاسترسال فی سرد الأدله و التفاصیل الممله ممّا یفقد الموعظه الکثیر من فوائدها وآثارها الایجابیه.

إذاً:فالموعظه الحسنه هی طریقه من طرق التبلیغ،وأسلوب فی الدّعوه،یحببها ولا ینفّر عنها،ویقرّب إلیها ولا یبعّد عنها،وییسرها ولا یعسّرها،و هو الأسلوب الذی یشعر المخاطَب أن دّور المخاطِب معه دّور الرفیق به،الباحث عمّا ینفعه ویسعده،الناصح له،کما قیل:«إنّ الموعظه نصیحه شافیه». (۳)

۳.أسلوب الجدل

اشاره

الطریق و الأسلوب الثالث الذی وضعه الله تبارک وتعالی أمام الأنبیاء علیهم السلام و المبلغین،

ص:۱۵۰

۱- (۱) .بحار الأنوار:۵۶/۲.

۲- (۲) .بدر الدین, العینی, عمده القارئ:۲۹۹/۲۲.

۳- (۳) .عیون الحکم و المواعظ:۳۱.

لتبليغ الرساله و الدين هو الجدل بالتى هى أحسن،وذلك حسب الترتيب فى قوله تعالى: (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) . (١)

والجدل هو:

المفاوضه على سبيل المنازعه و المغالبه وأصله جدلت الحبل،أى أحكمت فتله....ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كلّ واحد الآخر عن رأيه،وقيل الأصل فى الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجداله وهى الأرض الصلبه. (٢)

و قد يكون هذا الصراع عسكرياً،أو فكرياً،أو علمياً،أو عقائدياً،فيسعى الإنسان المجادل إلى إظهار واثبات حجته ورأيه،كما قيل أنّ:«الجدل هو مقابله الحجّه بالحجه». (٣)

أ)فرق الجدل عن غيره

وقال الشيخ الطبرسى:

الفرق بين الحجاج و الجدال،أن الحجاج يتضمّن أما حجّه،أو شبهه فى صوره الحجّه،والجدال هو فتل الخصم إلى المذهب بحجه،أو شبهه،أو إيهام فى الحقيقه؛لأنّ أصله من الجدل و هو شدّه الفتل،والحجه فى البيان الذى شهد بصحه المقال،و هو و الدلاله بمعنى واحد. (۴)

١- (١) .النحل:١٢۵.

٢- (٢) .مفردات غريب القرآن:٨٩.

٣- (٣) .مجمع البحرين:٣۵١/١؛النهايه فى غريب الحديث:٢۴٨/١.

۴- (۴) .تفسير مجمع البيان:٣١۵/٢،فى تفسير قوله تعالى: (يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيمَ وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراهُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلاّ مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ* ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اللّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) آل عمران:۶۵-۶۶.

فرق الجدل عن قسیمیه الحکمه و الموعظه الحسنه:

وقال الفخر الرازی فی تفسیر قوله تعالی: (ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ) :

اعلم أنه تعالی لما أمر محمد صلّی الله علیه و آله بأتباع إبراهیم علیه السلام بین الشّیء الذی أمر بمتابعته فیه،فقال: (ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ) .

واعلم انّه تعالی أمر رسوله صلّی الله علیه و آله أن یدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثه وهی الحکمه،والموعظه الحسنه،والمجادله بالطریق الأحسن،و قد ذکر الله تعالی هذا الجدل فی آیه أخری،فقال: (وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْکِتابِ إِلاّ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) ، (۱)ولما ذکر الله تعالی هذه الطرق الثلاثه وعطف بعضها علی بعضٍ،وجب أن تکون طرقاً متغایره متباینه،وما رأیتُ للمفسّرین فیه کلاماً ملخصاً یتّسم بالدقه.

وأعلم:أنّ الدّعوه إلی المذهب لا بدّ وأن تکون مبنیه علی حجّه وبینه،والمقصود من ذکر الحجّه،إما تقریر هذا المذهب وذلک الاعتقاد فی قلوب المستمعین،و إما أن یکون القصد إلزام الخصم وإفحامه.

أما القسم الأوّل:فینقسم أیضاً إلی قسمین:لأنّ الحجّه إما أن تکون حجّه حقیقیه یقینیه قطعیه مبرأه عن احتمال النقیض،و إما أن لا تکون کذلک،بل تکون حجّه تفید الظنّ الظاهر و الإقناع الکامل،فظهر بهذا التقسیم انحصار الحجج فی هذه الأقسام الثلاثه.

أوّلها:الحجّه القطعیه المفیده للعقائد الیقینیه،وذلک هو المسمّی بالحکمه،و هذه أشرف الدرجات وأعلی المقامات،وهی التی قال الله فی صفتها: (وَ مَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً) . (۲)

ص:۱۵۲

۱- (۱) .العنکبوت:۴۶.

۲- (۲) .البقره:۲۶۹.

وثانيها:الأمارات الظنّيه و الدلائل الاقناعيه،وهى:الموعظه الحسنه.

وثالثها:الدلائل التى يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم وإفحامهم،وذلك هو الجدل،ثمّ هذا الجدل على قسمين:

القسم الأوّل:أن يكون دليلاً مركباً من مقدمات مسلمه فى المشهور عند الجمهور،أو من مقدمات مسلمه عند ذلك القائل،و هذا الجدل هو الجدل الواقع على الوجه الأحسن.

القسم الثانى:أن يكون ذلك الدليل مركباً من مقدمات باطله فاسده إلّا أن قائلها يحاول ترويجها على المستمعين بالسفاهه و الشغب،والحيل الباطله،والطرق الفاسده،و هذا القسم لا يليق بأهل الفضل وإنما اللائق بهم هو القسم الأوّل،وذلك هو المراد بقوله تعالى: (وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) .

فثبت بما ذكرنا انحصار الدلائل و الحجج فى هذه الأقسام الثلاثه المذكوره فى هذه الآيه.

إذا عرفت هذا،فنقول:أهل العلم ثلاث طوائف:الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقيه و العلوم اليقينيه،والحديث مع هؤلاء لا تمكن إلّا بالدلائل القطعيه اليقينيه،وهى:الحكمه.

والقسم الثانى:الذى تغلب على طباعهم المشاغبه و المخاصمه لا طلب المعرفه الحقيقيه و العلوم اليقينيه،والمكالمه اللائقه بهؤلاء المجادله التى تفيد الإفحام و الإلزام،و هذان القسمان هما الطرفان.

فالأول:هو طرف الكمال.

والثانى:هو طرف النقصان.

و أما القسم الثالث:فهو الواسطه،وهم الذين ما بلغوا فى الكمال إلى حدّ الحكماء المحققين،وفى النقصان و الرذاله إلى حدّ المشاغبين المخاصمين،بل هم أقوام بقوا على الفطره الأصليه و السلامه الخلقيه،وما بلغوا إلى درجه الاستعداد لفهم الدلائل

الیقینیه و المعارف الحکمیه،والمکالمه مع هؤلاء لا تمکن إلّا بالموعظه الحسنه،وأدناها المجادله،وأعلی مراتب الخلائق الحکماء المحققون،وأوسطهم عامه الخلق،وهم أرباب السلامه وفیهم الکثره و الغلبه). (۱)

ب)فرق وتقسیم

جاء فی تفسیر الأمثل تحت عنوان:الجدال من وجهه النظر القرآنیه.

أن الجدال, و المراء موضوعان وردا کثیراً فی الآیات القرآنیه،وفی الأحادیث و الروایات الإسلامیه أیضاً.

وکتوطئه للبحث ینبغی أوّلاً أن نمیز أقسام الجدال:

الجدال الإیجابی و الجدال السلبی وما هو المقصود من کلّ واحد منهما،وعلائم کلّ واحد منهما،وأخیراً:أضرار الجدال السلبی،وکذلک عوامل الغلبه فی الجدال الإیجابی.

وفی هذا الصدد سنتناول البحث ضمن العناوین الآتیه:

أوّلاً:مفهوم الجدال و المراء:

الجدال،والمراء،والخصام ثلاث مفردات متقاربه من حیث المعنی،وفی نفس الوقت یوجد ثمه اختلاف بینها.

الجدال،یعنی فی الأصل اللغوی:لفّ الحبل،ثمّ أخذ یطلق بعد ذلک علی لفّ الطرف المقابل و النقاش الذی یتضمّن الغلبه.

والمراء،علی وزن:حجاب،ونعنی:الکلام فی شیء ما،فیه مریه أو شکّ.

أما الخصومه و المخاصمه،فتعنی فی الأصل:إمساک شخصین کلّ منهما للآخر من جانبه،ثمّ أطلقت بعد ذلک علی التشاجر اللفظی و الأخذ و الرّد فی الکلام،وکما یقول العلامه المجلسی:

۱- (۱) .التفسیر الکبیر:۱۳۸/۲ و۱۳۹؛المیزان فی تفسیر القرآن:۳۷۳/۱۲.

إنّ الجدال و المراء أكثر ما يستخدمان فى القضايا العلميه،فى حين تستخدم المخاصمه فى الأمور و المعاملات الدنيويه....

وقالوا أيضاً فى الفرق بينهما:أن الجدال فى القضايا العلميه،والمراء أعمّ من ذلک.

وقالوا أخيراً:أن المراء ذو طابع دفاعى فى قبال هجوم الخصم،بينما الجدال أعمّ من الدفاع و الهجوم. (1)

ثانياً:الجدال السلبى و الإيجابى:

يظهر من الآيات القرآنيه أنّ للفظ الجدال معان:واسعه،ويشمل كلّ أنواع الحديث و الكلام الحاصل بين الطّرفين،سواء كان ايجابياً أم سلبياً،ففى الآيه(125)من سوره النحل نقرأ أمر الخالق تبارک وتعالى لرسوله صلّى الله عليه و آله فى قوله تعالى: (وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) ،ونقرأ عن إبراهيم عليه السلام: (فَلَمّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَ جاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِی قَوْمِ لُوطٍ) (2)تشير إلى النّوع الإيجابى من المجادله.

ولكن أغلب الإشارات القرآنيه حول المجادله تشير إلى النّوع السلبى منها،كما نرى ذلک واضحاً فى سوره غافر،التى نحن بصددها،حيث أشارت إلى المجادله بمعناها السلبى خمس مرّات،قوله تعالى: (ما يُجادِلُ فِی آياتِ اللّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْکَ تَقَلُّبُهُمْ فِی الْبِلادِ) (3)وكذلک الآيات 5،و35،و56،و69 وفى كلّ الأحوال يتبين أن البحث و الكلام والاستدلال و المناقشه لأقوال الآخرين،إذا كان لإحقاق الحق وإبانه الطريق وإرشاد الجاهل،فهو عمل مطلوب يستحق التقدير،و قد يندرج أحياناً فى الواجبات. (4)

ص:155

1- (1) .قال أمير المؤمنين عليه السلام:«إياكم و المراء و الخصومه فأنهما يمرضان القلوب على الإخوان،وينبت عليهما النفاق». (الكافى:300/2)قال الراغب:الامتراء و الممارات المحاجه فيما فيه مريه،وهى التردد فى الأمر.(مفردات غريب القرآن:149)

2- (2) .هود:74.

3- (3) .غافر:4.

4- (4) .تفسير الأمثل:188/15-189.

ج)الجدال ممدوح ومذموم

قال الفخر الرازی:

من الناس من عاب الاستدلال و البحث و النظر و الجدال وأحتج بوجوه:

أحـدها:أنه تعالی قال: (وَ لا جِدالَ فِی الْحَجِّ) (۱)و هذا یقتضـی نفی جمیع أنواع الجدال،ولو کان الجدال فی الدّین طاعه وسبیلاً إلی معرفه الله تعـالی لمـا نهی عنه فی الحـج،بل علی ذلک التقـدیر کان الاشـتغال بالجـدال فی الحـج ضمّ طاعه إلی طاعه فکان أولی فی الترغیب فیه.

وثانیها:قوله تعالی: (وَ قالُوا أَ آلِهَتُنا خَیْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَکَ إِلاّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) . (۲)

عابهم کونهم من أهل الجدل،وذلک یدل علی أن الجدل مذموم.

وثالثها:قوله تعالی: (وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِیحُکُمْ) (۳)نهی عن المنازعه.

و أمـا جمهور المتکلّمین،فأنهم قالوا:الجـدال فی الـدّین طاعه عظیمه،واحتجوا علیه بقوله تعالی: (ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَـنَهِ وَ جـادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) ،وبقوله تعالی حکایه عن الکفار أنهم قالوا لنوح: (قالُوا یا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَکْثَرْتَ جِدالَنا) (۴)ومعلوم أنه ما کان ذلک الجدال إلّا لتقریر أصول الدّین.

إذا ثبت هذا فنقول:

لا بـدّ من التوفیق بین هذه النصوص،فنحمل الجدل المذموم علی الجدل فی تقریر الباطل،وطلب المال و الجاه،والجدل الممدوح علی الجدل فی تقریر الحقّ ودعوه الخلق إلی سبیل الله،والذبّ عن دین الله تعالی. (۵)

۱- (۱) .البقره:۱۹۷.

۲- (۲) .الزخرف:۵۸.

۳- (۳) .الأنفال:۴۶.

۴- (۴) .النحل:۱۲۵،هود:۳۲.

۵- (۵) .التفسیر الکبیر:۱۸۳/۵.

د)شروط الجدال الأحسن

إن مـن الضـروری علی المبلّغ أن یکسب الآـخرین من الخصـوم و المعانـدین إلی الإیمـان برسـالته،ویقربهم إلی عقیـدته،لاـ أن یحطمهم ویغلبهم،فلیست مهمّه المبلّغ هی مهمّه من ینشد الغلبه علی خصـمه لإشـباع نزوعه إلی التفوق وإحساسه بالعظمه،بل هی مهمّه الإنسان الذی یمارس إنسانیته بإعانه خصمه علی التحرّر من رواسب کفره وظلاله،والأخذ بیده نحو الصلاح.

ولهـذا کان الجدل بالتی هی أحسن هو الأسـلوب و الطریقه المثلی للوصول إلی ذلک الهدف وبلوغ تلکم الغایه،ولذا نلاحظ أن طرق الجدل التی تعتمد التماس نقاط ضـعف الآخر واسـتغلالها فی توجیه الضـربات المتلاحقه إلیه،بأسلوب عنیف لا یحترم ذات الآـخر وفکره،ولاـ تملـک أن تقـدم للعقیـده-أی:عقیـده کانت-مؤمناً یعیش الإیمان بروحه وعقله؛وذلک لأنّ هـذه الطرق تطعن کبریـاء الإنسـان وکرامتـه فی الصـمیم وتـوحی لـه بـأنه یقـف موقـف المغلـوب فی فکره وعقیـدته،وموقـف المهزوم فی میـدان الصـراع،ومن الطّبیعی جـداً أن یتغلب کبریاء الإنسان وعناده فی کثیر من الأحیان،علی رغبته فی الوصول إلی الحقّ،وهنا لا یمکن للموقف أن یقدم لنا سوی مزید من المناقشات اللفظیه و الهامشیه التی لا تقدم ولا تؤخر شیئاً فی الموضوع.

ومن هنـا،نجـد أنه لا بـدّ من أسـلوب وطریقه-فی الجـدل-تشـعر المخاطب بأنه رفیق فی رحله الوصول إلی الحقّ،وأنه محترم فی ذاته وتفکیره،حینئذٍ لا تقف الکبریاء عقبه فی الطریق؛لأن الإنسان لا یشـعر فی هذا الجو بالذل،والانکسار،والخسران،وإنما یشعر-بـدلاً من ذلـک-بـالعزه و الکرامه؛لأـنه علی طریـق کشـف الحقیقه و الوصول إلی سبیـل أفضـل،دون أن یکون فی الـبین مهزوم ومنتصر،أو غالب ومغلوب،و إنّما هو الهدف المشترک و السبیل الوحید.

ومن هنـا نقول:لکی یؤثر الطرف المجـادل معنویـاً علی الطرف الآـخر،علیه الاسـتفاده من الأسـالیب الآـتیه التی أشار إلیها القرآن الکریم بشکل جمیل،وهی:

۱.ینبغی عدم الإصرار علی الطرف المقابل بقبول الکلام علی أنه هو الحقّ،بل علی المجادل إذا استطاع أن یجعل الطرف المقابل یعتقد بأنه هو الذی توصل إلی هذه النتیجه،و هذا الأسلوب سیکون أکثر تأثیراً،وبعباره أخری:من المفید للطرف المقابل أن یعتقد أن النتیجه أو الفکره نابعه من أعماقه،وهی جزء من روحه،کی یتمسک بها أکثر ویذعن لها بشکل کامل.

و قد یکون هذا الأمر هو سرّ ذکر القرآن للحقائق المهمّه کالتوحید ونفی الشرک،وغیر ذلک علی شکل استفهام،کما أنه سبحانه وتعالی بعد أن ینتهی من استعراض وذکر أدله التوحید یقول: (أَ إِلهٌ مَعَ اللّهِ) . (۱)

۲.یجب الامتناع عن کلّ ما یثیر صفه العناد و اللجاجه لدی الطرف الآخر؛إذ یقول القرآن الکریم: (وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فَیَسُبُّوا اللّهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ کَذلِکَ زَیَّنّا لِکُلِّ أُمَّهٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلی رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَیُنَبِّئُهُمْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ) ، (۲)کی لا یصر هؤلاء علی عنادهم ویهینوا الخالق جلّ وعلا بتفاهه کلامهم.

۳.یجب مراعاه منتهی الإیضاح فی النقاش مع أی شخص،أو أی مجموعه،کی یشعر الطرف المقابل بأن المتحدث إلیه یبغی حقاً توضیح الحقائق لا غیر،فعندما یتحدث القرآن عن مساوئ الخمر و القمار،فهو لا یتجاهل المنافع الثانویه المادیه والاقتصادیه،التی یمکن أن یحصل علیها البعض منهما،فیقول تعالی: (قُلْ فِیهِما إِثْمٌ کَبِیرٌ وَ مَنافِعُ لِلنّاسِ وَ إِثْمُهُما أَکْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما) (۳)إن هذا الطراز من الحدیث یحمل آثاراً إیجابیه کبیره علی المستمع.

۴.یجب عدم الردّ بالمثل حیال المساوئ و الأحقاد التی قد تطفح من الخصم،بل

۱- (۱) .النمل:۶۲.

۲- (۲) .الأنعام:۱۰۸.

۳- (۳) .البقره:۲۱۹.

سلوک طریق الرأفه و الحب و العفو ما استطاع الإنسان إلی ذلک سبیلاً؛إذ إنّ الردّ بهذا الأسلوب الودود یؤثر کثیراً فی تلیین قلوب الأعداء المعاندین،کما یقول القرآن الکریم ویحثّ علی ذلک: (ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَداوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ) . (۱)

والخلاصه:

إنّنا عندما ندقق فی أسلوب نقاشات الأنبیاء علیهم السلام مع الأعداء و الظالمین و الجبّارین،کما یعکسها القرآن الکریم،أو کما تعکسها تلک المناظرات العقائدیه بین رسول الله صلّی الله علیه و آله[والأنبیاء علیهم السلام]وبین أعدائهم وخصومهم،ننتهی إلی دروس تربویه فی هذا المجال تطوی فی تضاعیفها أدق الأسالیب و الوسائل النفسیه و الفنیه التی تسهل النفوذ إلی أعماق الآخرین. (۲)

ه)أمثله من الجدل الأحسن

فی التاریخ و الروایات الإسلامیه آثار کثیره وقیمه عن مناظرات وجدال الأنبیاء علیهم السلام مع المعارضین،و قد قام العلامه الشیخ الطبرسی بجمع بعضها فی کتابه:الاحتجاج،وممّا جاء فیه:

قال أبو محمّد العسکری:قال الصادق علیه السلام:>>و أما الجدال بالتی هی أحسن فهو ما أمر الله تعالی به نبیه أن یجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحیاءه له،فقال الله حاکیاً عنه: (وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَ نَسِیَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ یُحْیِ الْعِظامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ) (۳)فقال الله فی الردّ علیه: (قُلْ یُحْیِیهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ* اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) (۴)فأراد الله من نبیه أن یجادل المبطل الذی قال:کیف یجوز أن یبعث هذه العظام وهی رمیم؟قال: (قُلْ یُحْیِیهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّهٍ) .

۱- (۱) .فصلت:۳۴.

۲- (۲) .تفسیر الأمثل:۱۹۴/۱۵ و۱۹۵.

۳- (۳) .یس:۷۸.

۴- (۴) .یس:۷۹ و ۸۰.

أفيعجز من أبتدأ به لا من شیء،أن یعیده بعد أن یبلی؟!

بل ابتداؤه أصعب عندکم من إعادته!ثمّ قال: (الَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً) ،أی:إذا أکمن النار الحاره فی الشجر الأخضر الرطب،ثمّ یستخرجها،فعرّفکم أنهم علی أعاده من بلی أقدر.

ثمّ قال: (أَ وَ لَیْسَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلی أَنْ یَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلی وَ هُوَ الْخَلاّقُ الْعَلِیمُ) ، (۱)أی:إذا کان خلق السموات و الأرض أعظم وأبعد فی أوهامکم و قدرکم أن تقدروا علیه من إعاده البالی،فکیف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندکم و الأصعب لدیکم،ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندکم من إعاده البالی؟!

قال الصادق علیه السلام:

«فهذا الجدال بالتی هی أحسن؛لأن فیها قطع عذر الکافرین،وإزاله شبههم.

و أما الجدال بغیر التی هی أحسن،فإن تجحد حقاً لا یمکنک أن تفرق بینه وبین باطل من تجادله وإنما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحقّ،فهذا هو المحرّم؛لأنک مثله جحد هو حقاً،وجحدت أنت حقاً آخر».

قال أبو محمد علیه السلام:«فقام إلیه رجل آخر،فقال:یا ابن رسول الله،أفجادل رسول الله؟».قال الإمام الصادق علیه السلام:

>>مهما ظننت برسول الله صلّی الله علیه و آله من شیء،فلا تظننّ به مخالفه الله تعالی،ألیس الله قد قال: (وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) (قُلْ یُحْیِیهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ) (۲)لمن ضرب الله مثلاً؟!أفتظن أن رسول الله صلّی الله علیه و آله خالف ما أمر الله بن،فلم یجادل بما أمره الله به،ولم یخبر عن أمر الله بما أمره أن یخبر به»؟!. (۳)

و قد روی عن الإمام الصادق علیه السلام أنه ذکرنا عنده الجدال فی الدّین،وأن رسول الله صلّی الله علیه و آله و الأئمّه علیهم السلام قد نهو عنه،فقال علیه السلام:>>لم ینه عنه مطلقاً،ولکنه نهی عن الجدال بغیر التی هی أحسن،أما تسمعون الله عز وجلّ یقول (وَ لا تُجادِلُوا

۱- (۱) .یس:۸۱.

۲- (۲) .یس:۶۹.

۳- (۳) .الاحتجاج:۱۴/۱.

أَهْلَ الْکِتابِ إِلاّ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) وقوله تعالی: (ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ)» .

فالجدال بالتی هی أحسن قد قرنه العلماء بالدین،والجدال بغیر التی هی أحسن محرّم،حرّمه الله تعالی علی شیعتنا،وکیف یحرم الله الجدال جمله،و هو یقول: (وَ قالُوا لَنْ یَدْخُلَ الْجَنَّهَ إِلاّ مَنْ کانَ هُوداً أَوْ نَصاری) (۱)وقال الله تعالی: (تِلْکَ أَمانِیُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ) ، (۲)فجعل علم الصدق و الإیمان بالبرهان،وهل یؤتی بالبرهان إلّا بالجدال بالتی هی أحسن». (۳)

إشکال وردّ:

ذکر بعضهم،أن المجادله بالتی هی أحسن لیست من الدّعوه فی شیء،بل الغرض منها شیء آخر مغایر لها و هو الإلزام و الإفحام.

قال:ولذلک لم یعطف الجدال فی الآیه علی ما تقدمه بل غیر السیاق وقیل: (وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) . (۴)

وفیه:

غفله عن حقیقه القیاس الجدلی،فالإفحام وان کان غایه للقیاس الجدلی،لکنه لیس غایه دائمیه،فکثیراً ما یتألف قیاس من مقدّمات مقبوله أو مسلّمه وخاصه فی الأمور العملیه و العلوم غیر الیقینیه،کالفقه و الأصول،والأخلاق،والفنون الأدبیه ولا یراد به الإلزام و الإفحام.

علی أن فی الإلزام و الإفحام دعوه کما أن فی الموعظه دعوه و إن اختلفت صورتها باختلاف الطرق،نعم تغییر السیاق لما فی الجدال من معنی المنازعه و المغالبه. (۵)

۱- (۱) .البقره:۱۱۱.

۲- (۲) .البقره:۱۱۱.

۳- (۳) .بحار الأنوار:۱۲۵/۲.

۴- (۴) .التفسیر الکبیر:۱۴۰/۲۰.

۵- (۵) .المیزان فی تفسیر القرآن:۳۷۴/۱۲.

إذاً:

فالحكمه،والموعظه الحسنه،والمجادله بالتی هی أحسن من طرق التکلیم و المفاوضه،فقد أمر بالدعوه بأحد هذه الأمور،فهی من أنحاء الدّعوه وطرقها.... (۱)

و)الأحسن شعار المبلّغ

إنّ الدّعوه إلی سلوک الأسلوب و الطریقه الأحسن فی مقام الجدل و الصراع الفکری،لیست بدعاً من القرآن الکریم،ولیست دعوه تقتصر علی بعض المجالات دون بعض،بل هی دعوه قرآنیه تخاطب کلّ مجال من مجالات الصراع فی الحیاه وتتصل بکل علاقه من علاقات الإنسان بأخیه الإنسان،فنحن نشاهد هذه الدّعوه بوضوح فی قوله تعالی: (ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَداوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ) وقوله تعالی: (وَ إِذا حُیِّیتُمْ بِتَحِیَّهٍ فَحَیُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللّهَ کانَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ حَسِیباً) وقوله تعالی: (وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ مِنْ رَبِّکُمْ) وقوله تعالی: (وَ قُلْ لِعِبادِی یَقُولُوا الَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّیْطانَ یَنْزَغُ بَیْنَهُمْ إِنَّ الشَّیْطانَ کانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِیناً) . (۲)

و قد جاء فی بعض التفاسیر:

معناه،قل لعبادی:یقل بعضهم لبعض أحسن ما یقال،مثل رحمک الله ویغفر الله لک. (۳)

وجاء فی بعضها:

المقاله و الکلمه التی هی أحسن من سائر المقالات و الکلمات،وهی فی الاعتقادات کلمه الشهادتین،وفی الاجتماعیات کلمه الإصلاح،وهکذا.... (۴)

۱- (۱) .المصدر:۳۷۱.

۲- (۲) .الآیات بترتیب:فصلت:۳۴؛النساء:۸۶؛الزمر:۵۵؛الإسراء:۵۳.

۳- (۳) .التبیان فی تفسیر القرآن:۶/۴۹۰.

۴- (۴) .تقریب القرآن إلی الأذهان:۳/۳۲۰.

وجاء فی تفسیر الأحسن:

الأحسن من حیث المحتوی و البیان،والأحسن من حیث التلازم بین الدلیل ومکارم الأخلاق و الأسالیب الإنسانیه،ولکن لماذا یستعمل هذا الأسلوب مع المعارضین؟

الجواب:إذا ترک الناس القول الأحسن وأتبعوا الخشونه فی الکلام و المجادله ف- (إِنَّ الشَّیْطانَ یَنْزَغُ بَیْنَهُمْ) ویثیر بینهم الفتنه و الفساد،فلا تنسوا: (إِنَّ الشَّیْطانَ کانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِیناً) .

ثانیاً:کلمه(عبادی)خطاب للمؤمنین،حیث تعلمهم الآیه أسلوب النقاش مع الأعداء،فقد یحدث فی بعض الأحیان أن یتعامل المؤمنون الجدد بخشونه مع معارضی عقیدتهم ویقولون لهم بأنهم من أهل النار و العذاب،وأنهم ضالون،ویعتبرون أنفسهم من الناجین،قد یکون هذا الموقف سبباً فی أن یقف المعارضون موقفاً سلبیاً إزاء دعوه الرسول صلّی الله علیه و آله. (۱)

إذاً:هذه هی الفائده من الأمر باعتماد الأحسن،وهی ما نبّه علیها تعالی بقوله: (إِنَّ الشَّیْطانَ یَنْزَغُ بَیْنَهُمْ) ،جامعاً للفریقین،أی متی صارت الحجّه مرّه ممزوجه بالبذاءه صارت سبباً لثوران الفتنه. (۲)

فهی ممّا یقضی علی دواعی الفتنه،ویجنّبنا التباغض و التباعد،لأنه هو السبیل لترکیز المجتمع فی علاقاته العملیه،علی أساس الألفه و المحبه و الخیر و الرحمه،ولأبعاده عن التناحر والاختلاف و التباغض و التحاقد؛لأنّ الشیطان قد یدخل فی خلفیات الکلمه وفی مدالیلها،وفی ایحائاتها وحساسیاتها،لیثیر العداوه و البغضاء بین الناس.

فالأحسن هو الطریق الذی سار علیه جمیع الأنبیاء علیهم السلام یقول السید الطباطبائی:

کان تمهید لقوله تعالی: (وَ آتَیْنا داوُدَ زَبُوراً) ، (۳)والجمله تذکر فضل داود علیه السلام بکتابه الذی هو زبور وفیه أحسن الکلمات فی تسبیحه وحمده تعالی،وفیه

ص:۱۶۳

۱- (۱) .تفسیر الأمثل:۲۹/۹.

۲- (۲) .التفسیر الکبیر:۳۵۵/۷.

۳- (۳) .الإسراء:۱۵۵.

تحریض للمؤمنین أن یرغبوا فی أحسن القول ویتأدبوا بالأدب الجمیل فی المحاوره و الکلام. (۱)

ومن الجمیل فی هـذا الصدد ما جاء فی تفسیر الأمثل،فی تفسیر قوله تعالی: (ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) ،حیث قال:(تشیر هذه الآیه إلی فلسفه وعمق هـذا البرنامـج[اختیار الأحسن]فی تعبیر قصیر،فتقول:إن هذا التعامل سیقود إلی (فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَداوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ) . (۲)

إن ما یبینه القرآن هنا مضافاً إلی ما یشبهه فی الآیه ۹۶ من سوره المؤمنین فی قوله تعالی: (ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) ،یعتبر من أهم وأبرز أسالیب الـدّعوه،خصوصاً حیال الأعـداء و الجهلاء و المعاندین،ویؤید ذلک آخر ما توصلت إلیه البحوث و الدراسات فی علم النفس؛لأـن کـلّ من یقوم بالسیئه ینتظر الرد بالمثـل،خـاصه أولئـک الـذین هم من هـذا النمط،وأحیاناً یکون جواب السیئه الواحده عده سیئات.

أمـا عنـدما یری المسـیء أن مـن أسـاء إلیـه لاـ یرد السـیئه بالسـیئه وحسـب،وإنمـا یقابلهـا بالحسـنه،عنـدها سـیحدث التغییر فی وجـوده،وسـیؤثر ذلـک علی ضـمیره بشـده فیوقظه،وسـتحدث ثوره فی أعمـاقه،سیخجل ویحس بالحقـاره وینظر بعین التقـدیر و الإکبار إلی من أساء إلیه.

وهنا ستزول الأحقاد و العداوات من الداخل وتترک مکانها للحب و المودّه.

ومن الضـروری،أن نشـیر هنـا إلی أن هـذا الأـمر لاـ یمثّـل قانونـاً دائمـاً،و إنّمـا هو صـفه غـالبه؛لأن هناک أقلیه تحاول أن تسـیء الاستفاده من هذا الأسلوب،فما لم ینزل بها ما تستحق من عقاب فأنها لا تترک أعمالها الخاطئه.

۱- (۱) .المیزان فی تفسیر القرآن:۱۲۰/۱۳،فی تفسیر قوله تعالی: (وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِیِّینَ عَلی بَعْضٍ) الإسراء:۱۵۵.
۲- (۲) .فصلت:۳۴.

ولکن فی نفس الوقت الـذی نسـتخدم العقوبه و الشـدّه ضـد هـذه الأـقلیه،علینا أن لا نغفل عن أن القانون المتحکم بالأکثریه هو قانون: (ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) .

لـذلک رأینـا أن رسول الإسـلام صـلّی الله علیه و آله،والقـاده من أئمه أهـل البیت علیهم السـلام کانوا یسـتفیدون دائماً من هـذا الأسلوب القرآنی العظیم،ففی فتح مکّه مثلًا کان الأعداء-وحتّی الأصدقاء-ینتظرون أن تسفک الدماء،وتؤخذ الثارات من الکفّار و المشـرکین و المنافقین الذین أذاقوا المؤمنین ألوان الأذی و العذاب فی مکّه وخارجها،من هنا رفع بعض قاده الفتح شـعار:الیوم یوم الملحمه،الیوم تستحلّ الحرمه،الیوم أذلّ الله قریشاً. (۱)

لکن مـا کـان من رسول الله صـلّی الله علیه و آله وتنفیـذاً لأخلاـقیه: (ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) آلا أن عفا عن الجمیع وأطلق کلمته المشهوره:<<اذهبوا فأنتم الطلقاء». (۲)

ثمّ أمر صلّی الله علیه و آله أن یستبدل الشعار الانتقامی بشعار آخر یفیض إحسانا وکرماً و هو:

<<الیوم یوم المرحمه،الیوم أعز الله فیه قریشاً». (۳)

لقـد أحـدث هـذا الموقف النبوی الکریم عاصـفه فی أرض مشـرکی مکّه،حتّی أنه-علی حـدّ وصف کتـاب الله تعالی: (وَ رَأَیْتَ النّاسَ یَدْخُلُونَ فِی دِینِ اللّهِ أَفْواجاً) (۴). (۵)

إذاً:فاختیار التی هی أحسن شـعار کلّ المبلّغین السائرین علی نهج الأنبیاء علیهم السـلام،حیث أنه:جامع یشـمل الأسالیب و الطرق الصـحیحه،والمناسـبه للتبـاحث،أجمـع،سواء کـان ذلـک فی الألفـاظ،أو المحتوی،وسواء کـان فی طریقه الکلاـم،أو الحرکـات و الإشارات المصاحبه له.

فعلی هذا،یکون مفهوم الجمله المتقدمه[التی هی أحسن]:أن ألفاظکم ینبغی أن

ص:۱۶۵

۱- (۱) .السیره الحلبیه:۲۲/۳.

۲- (۲) .الکامل فی التاریخ:۲۵۲/۲.

۳- (۳) .السیره الحلبیه:۲۲/۳.

۴- (۴) .النصر:۲.

۵- (۵) .تفسیر الأمثل:۴۰۶/۱۵ و۴۰۷.

تکون بطریقه مؤدبه،والکلام ذا مودّه،والمحتوی مستدلاً،وصوتکم هادئاً غیر خشن،ولا متجاوزاً لحدود الأخلاق،أو لهتک الحرمه.وکذلک بالنسبه لحرکات الأیدی و العیون و الحواجب التی تکمل البیان،ینبغی أن تکون هذه الحرکات ضمن هذه الطریقه المؤدبه...وکم هو جمیل هذا التعبیر القرآنی؛إذ أوجز عالماً من المعانی الدقیقه فی جمله قصیره؟

کلّ هذه الأمور لأجل أن الهدف من وراء النقاش و البحث لیس هو طلب التفوق ودحر الطرف الآخر،بل الهدف أن یکون الکلام نافذاً فی القلب،وفی أعماق الطرف الآخر....وخیر السبل للوصول إلی هذا الهدف هو هذا الأسلوب القرآنی. (۱)

وعلی ضوء هذا،نجد أن سلوک الأسلوب الأحسن فی مجالات التبلیغ،هو جزء من الأسلوب العام للسلوک الإنسانی الذی شرعه الإسلام فی الحیاه الاجتماعیه،وبشّر أتباعه وحاملیه بقوله تعالی: (فَبَشِّرْ عِبادِ * اَلَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) . (۲)

۴.أسلوب اللین و اللطف

من أهمّ الأسالیب التی ینبغی أن یتسلح بها المبلّغ هو أسلوب الرفق و اللین و اللطف و المحبه مع مخاطبیه؛لأنّ التبلیغ الممزوج بالعاطفه و الرأفه و اللین و المحبّه للناس هو أسلوب تبلیغ الأنبیاء علیهم السلام علی مرّ العصور.

فلا بدّ لنا هنا من دراسه أفضل أسالیب اللطف و اللین من أجل تحقیق اتصال هادئ وموفق،ینفذ إلی القلوب بمرونه؛لأن الأسلوب هو العنصر الحیوی فی تحریک الفکر و الشعور،نحو الارتباط بالقناعات الرسالیه ولهذا القرآن الکریم یدعو المبلّغین أن یلتزموا أسلوب اللین و التلطف فی الکلام،واختیار أفضل الکلمات فی أسلوب التخاطب،و هذا ما أمر الله تعالی به نبیه موسی علیه السلام حینما أمره بالذهاب إلی فرعون،

۱- (۱) .تفسیر الأمثل:۱۴۱۴/۱۲.

۲- (۲) .الزمر:۱۷ و۱۸.

ودعوته إلی طریق الحقّ،فقال تعالی: (اذْهَبا إِلی فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغی * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَیِّناً لَعَلَّهُ یَتَذَکَّرُ أَوْ یَخْشی) ، (۱)فالقول اللین:«هو القول الذی لا خشونه فیه». (۲)

وجاء فی التفسیر:

أن المراد بقوله تعالی: (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَیِّناً) ،المنع من أن یکلماه بخشونه وعنف و هو من أوجب آداب الدّعوه. (۳)

سؤالان:

یقول الفخر الرازی فی قوله تعالی: (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَیِّناً) :

فیه سؤالان:السؤال الأوّل:لم أمر الله تعالی موسی علیه السلام باللین مع الکافر الجاحد؟

والجواب:إن من عاده الجبابره إذا غلظ لهم فی الوعظ أن یزدادوا عتواً وتکبراً،والمقصود من البعثه حصول النفع لا حصول زیاده الضرر؛فلهذا أمر الله تعالی بالرفق.

السؤال الثانی:کیف کان ذلک الکلام اللین؟

ذکروا فیه وجوهاً:

أحدها:ما حکا الله تعالی بعضه فقال: (فَقُلْ هَلْ لَکَ إِلی أَنْ تَزَکّی* وَ أَهْدِیَکَ إِلی رَبِّکَ فَتَخْشی) ، (۴)وذکر أیضاً فی هذه السوره بعض ذلک،فقال: (فَأْتِیاهُ فَقُولا إِنّا رَسُولا رَبِّکَ...) إلی قوله: (وَ السَّلامُ عَلی مَنِ اتَّبَعَ الْهُدی) . (۵)

وثانیها:أن تَعِدّاه شباباً لا یهرم بعده،وملکاً لا ینزع منه إلّا بالموت،ویبقی له لذه المطعم و المشرب،والمنکح إلی حین موته.

وثالثها:کنّیاه و هو من ذوی الکنی الثلاث،أبو العباس،وأبو الولید،وأبو مرّه.[و هذا مروی عن إمامنا الکاظم علیهم السلام یقول فی تفسیر قوله تعالی: (فَقُولا لَهُ قَوْلاً

۱- (۱) .طه:۴۳ و۴۴.

۲- (۲) .تفسیر المنیر:۲۲۰/۱۶.

۳- (۳) .المیزان فی تفسیر القرآن:۱۵۵/۱۴.

۴- (۴) .النازعات:۱۸ و۱۹.

۵- (۵) .طه:۴۷.

لَيِّناً) :أي كنّياه. (۱)ومن الواضح أن المناداه بالكنيه عند العرب هو احترام وتكريم لشخصيه المنادى.]

ورابعها:حكى عن عمرو بن دينار قال:

بلغنى أن فرعون عمّر أربعمائه سنه وتسع سنين،فقال له موسى عليه السلام:«إن أطعتنى عمرت مثل ما عمرت فإذا مت فلك الجنه»...واعلم أنّ أحوال القلب ثلاثه:

أحدها:الإصرار على الحقّ.

وثانيها:الإصرار على الباطل.

وثالثها:التوقّف فى الأمرين.

و أنّ فرعون كان مصراً على الباطل و هذا القسم أردأ الأقسام،فقال تعالى: (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى) فيرجع من إنكاره إلى الإقرار بالحق،وان لم ينتقل من الإنكار إلى الإقرار لكنه يحصل فى قلبه الخوف فيترك الإنكار،و إن كان لا ينتقل من الإنكار إلى الإقرار فأن هذا خير من الإصرار على الإنكار. (۲)

وفيه (قَوْلاً لَيِّناً) دلاله على وجوب الرفق فى الدّعاء إلى الله،وفى الأمر بالمعروف،والنهى عن المنكر،ليكون أسرع إلى القبول،وأبعد من النفور. (۳)

إذاً:هكذا راح موسى عليه السلام إلى فرعون لكى يدعوه بلين ورفق ولطف،وأسلوب جميل مرغب فى القبول و الطاعه:

فابتدأ أسلوب دعوته بالهدايه العاطفيه،ثمّ تدرج إلى الهدايه العقليه و المنطقيه حتّى أرى فرعون الآيه الكبرى،و قد بين لنا القرآن الكريم أفضل طرق الدّعوه و الإرشاد،حيث ينبغى إحاطه من يراد هدايته بالرعايه و العطف،وتحسيسه بحسن نيه الداعى أو المرشد،ومن ثمّ تأتى مرحله الدليل المنطقى و الحوار العلمى. (۴)

ومن روائع أسلوب اللين:

۱- (۱) .بحار الأنوار:۱۳۴/۱۳.

۲- (۲) .التفسير الكبير:۵۲/۸ و۵۳.

۳- (۳) .زبده التفاسير:۲۴۲/۴.

۴- (۴) .تفسير الأمثل:۳۸۳/۱۹.

ومن أروع ما يدخل تحت أسلوب اللين و اللطف هو أن:

يدعو المبلّغ مخاطبيه بما يثير فيهم الرغبه فى الإصغاء إليه،ويلين قلوبهم ويفتحها لسماع قوله،كأن يناديهم برابطه الأبوه فيقول له:(يا أَبَتِ) أو يناديه أو يناديهم برابطه أخوه النسب،قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام فى مخاطبته لأبيه و هو يدعوه إلى الإيمان ونبذ عباده غير الله: (وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا * إِذْ قالَ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَ لا يُبْصِرُ وَ لا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً * يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا * يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا * يا أَبَتِ إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا) . (١)

ووجه الدلاله فى سياق هذه الآيات المباركه،هو أن إبراهيم عليه السلام حين أراد أن ينصح أباه،ويعظه ويدعوه إلى الإيمان بالله وعبادته وحده،تلطف معه بالقول مع المجادله معه برفق ولين وأدب،ودعوته إلى الحقّ مترفقاً به،متلطفاً معه،فلم يصف أباه بالجهل المفرط،ولا نفسه بالعلم الفائق،ولكنه قال:إن معى طائفه من العلم وشيئاً منه ليس معك،وذلك علم الدلاله على الطريق السوى الموصل إلى الله تعالى ورضوانه وثوابه،فاتبعنى ولا تستنكف من متابعتى ففيها الخير و النجاه لك.... (٢)

كما أن إبراهيم عليه السلام كان يخاطبه بكلمه (يا أَبَتِ) وظلّ يكرّر هذه الكلمه فى كلّ عباره يوجهها إليه،زياده فى التلطف مع أبيه وزياده فى لين القول معه.

وكذلك كان رسل الله يخاطبون أقوامهم بعباره:(يا قومى و إبراز علاقته-النبى صلّى الله عليه و آله-بهم حينما يصف نفسه،ويصفه القرآن الكريم بأنه (أَخُوهُمْ) ،قال تعالى عن هود عليه السلام: (وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ) ، (٣)أى:وأرسلنا إلى عادٍ (أَخاهُمْ هُوداً) أى:أخاهم فى النسب؛لأنه منهم فى قول النسابين.

١- (١) .مريم:٤١-٤٥.

٢- (٢) .الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل:١٩/٣.

٣- (٣) .الأعراف:٦٥.

وقیل:الناس کلهم أخوه فی النسب؛لأنهم ولد آدم وحواء. (۱)ثمّ فی مخاطبه هود لهم بکلمه (یا قَوْمِ) نوع من التلطف و اللین بالقول؛لأن هذا النداء أدعی إلی استجابتهم و الی تحسیسهم بأن الذی یخاطبهم هو واحد منهم فی النسب،وأنه لذلک یرید الخیر لهم. (۲)

ومن طریف ذلک ما وصی الله تعالی به نبیه موسی علیه السلام وهارون حیث قال تعالی: (فَأْتِیاهُ فَقُولا إِنّا رَسُولا رَبِّکَ) ، (۳)والجمیل هنا أنهما بدلاً أن یقولا:(ربنا)فأنهما قالا: (رَبِّکَ) لیثیروا عواطف فرعون وإحساساته تجاه هذه النقطه بأن له رباً،وأنهما رسولاه،ویکونان قد أفهماه بصوره ضمنیه أن ادعاء الربوبیه لا یصح من أی أحد،فهی مختصه بالله. (۴)

وکذلک فی قوله تعالی: (وَ إِذا سَأَلَکَ عِبادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ أُجِیبُ دَعْوَهَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فَلْیَسْتَجِیبُوا لِی وَ لْیُؤْمِنُوا بِی لَعَلَّهُمْ یَرْشُدُونَ) (۵):

ففیه أحسن بیان لما أشتمل علیه من المضمون،وأرق أسلوب وأجمله،فقد وضع أساسه علی التکلم وحده دون الغیبه ونحوها،وفیه دلاله علی کمال العنایه بالأمر،ثمّ قوله: (عِبادِی) ولم یقل:الناس وما أشبهه یزید فی هذه العنایه،ثمّ حذف الواسطه فی الجواب حیث قال: (فَإِنِّی قَرِیبٌ) ولم یقل:فقل إنه قریب.... (۶)

و أما نبینا الأکرم صلّی الله علیه و آله:

لقد أعد الله سبحانه وتعالی نبینا الأکرم محمد صلّی الله علیه و آله إعدادا طیباً یتناسب مع مهمّه الرساله وسیاسه التبلیغ،وصلاح الناس،وترغیبهم فی الإسلام،وذلک بتلیین قلب النبی صلّی الله علیه و آله وغرس خصله الرحمه فی قلبه،ومشاوره أصحابه،ومحبته الخیر لهم،

۱- (۱) .جمال الدین, القاسمی, محاسن التأویل:۱۶۷/۷.

۲- (۲) .د.عبد الکریم, زیدان, المستفاد من قصص القرآن:۵۲.

۳- (۳) .طه:۴۷.

۴- (۴) .تفسیر الأمثل:۷/۱۰.

۵- (۵) .البقره:۱۸۶.

۶- (۶) .المیزان فی تفسیر القرآن:۳۰/۲.

وإظهاره بالدعاء والاستغفار لهم،والعفو عنهم و التوكل على الله وطلب المعونه و النصر منه سبحانه وتعالى.

فقال تعالى واصفاً أياه: (فَبِما رَحْمَهٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) . (۱)

فكما هو واضح أن هذه الآيه الشريفه تشير إلى واحده من المزايا الأخلاقيه لنبينا صلّى الله عليه و آله،ألاّ وهى اللين مع الناس و الرحمه بهم،وخلوّه من الفظاظه و الخشونه.

فبين سبحانه وتعالى أن مساهله النبى صلّى الله عليه و آله إياهم ومجاوزته عنهم من رحمته تعالى،حيث جعله لين العطف حسن الخلق، (فَبِما رَحْمَهٍ) أى فبرحمه، (مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ) معناه أن لينك لهم مما يوجب دخولهم فى الدّين؛لأنك تأتيهم مع سماحه أخلاقك،وكرم سجيتك،بالحجج و البراهين. (وَ لَوْ كُنْتَ) يا محمد، (فَظًّا) ،أى:جافياً سيء،[أو كريه]الخلق، (۲)(غَلِيظَ الْقَلْبِ) أى:قاسى الفؤاد غير ذى رحمه ولا رأفه: (لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) أى:لتفرق أصحابك عنك ونفرّوا منك.

وقيل:

إنّما جمع بين الفظاظه و الغلظه وان كانتا متقاربتين[حيث كلتاهما يشير إلى معنى واحده و هو الخشونه،إلّا أن الغالب استعمال الأولى فى الخشونه الكلاميه،واستعمال الثّانيه فى الخشونه العمليه و السلوكيه] (۳)فنفى الجفاء عن لسانه،والقسوه عن قلبه، (فَاعْفُ عَنْهُمْ) ما بينك وبينهم. (۴)

۱- (۱) .آل عمران:۱۵۹.

۲- (۲) .مفردات غريب القرآن:۳۸۲.

۳- (۳) .تفسير الأمثل:۷۴۷/۲.

۴- (۴) .وقيل فى الفرق بينهما:الفظ،وغليظ القلب،أن الفظ:هو الذى يكون سيء الخلق.وغليظ القلب:هو الذى لا يتأثر قلبه عن شيء،فقد لا يكون الإنسان سيء الخلق،ولا يؤذى أحداً،ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم،فظهر الفرق من هذا الوجه.انظر:التفسير الكبير:۴۰۷/۳.

وفی الآیه أیضاً ترغیب للمؤمنین فی العفو عن المسیء،ونهیهم عن الفظاظه فی القول و الغلظه و الجفاء فی الفعل،وفیها أیضاً دلاله علی أن ما نقوله فی اللطف؛لأنه سبحانه نبه علی أنه لولا رحمته لم یقع اللین و التواضع ولو لم یکن کذلک لما أجابوه،فبین أن الأمور المنفره منفیه عنه وعن سائر الأنبیاء علیهم السلام ومن یجری مجراهم فی أنه حجّه علی الخلق. (۱)

إضافه إلی ذلک فأن:

فی هذه الآیه إشاره صریحه إلی إحدی أهم الصفات التی یجب توفرها فی أیه قیاده،ألا وهی العفو و اللین تجاه المتخلفین التائبین،والعصاه النادمین،والمتمردین العائدین،ومن البدیهی أن الذی یتصدی للقیاده،لو خُلّی عن هذه الخصله الهامّه،وأفتقر إلی روح السماحه،وأفتقد صفه اللین،وعامل من حوله بالخشونه و العنف و الفظاظه فسرعان ما یواجه الهزیمه،وسرعان ما تصاب مشاریعه وبرامجه بنکسات ماحقه،تُبِدّدْ جهوده،وتُذَرِّی مساعیه أدراج الریاح؛إذ یتفرق الناس من حوله،فلا یمکنه القیام بمهام القیاده ومسؤولیاتها الجسیمه. (۲)

إذاً:فلا بدّ أن یتحلّی المبلّغ الرسالی بما یریده الإسلام من سمات فی حرکه المبلّغ أو الداعیه،فتتعمق فی داخل ذاته رحمه ومحبه،ولطف ولین،ورأفه علی الناس،ووعیاً للظروف الموضوعیه المحیطه بهم،لیکون التعامل معهم من موقع الفهم الواعی لمشاکلّهم الحقیقیه ولنوازعهم الذّاتیه،فتتحرّک الرحمه فی نفس المبلّغ و الداعیه،فی ممارسته لأسلوب رسالته،فی دراسه کلّ المؤثرات،فیما یختاره من الکلمات اللطیفه و الأسالیب الحکیمه،لتصل الدّعوه إلی قلوب الناس فی الوقت الذی تصل فیه إلی عقولهم؛لأنّ قیمه الرساله فی حرکه الشخصیه الإسلامیه،تتمثّل فی تحولها إلی وعی للفکره فی عمق الذّات،والانتظام مع کلّ آفاقها وأفکارها.

ص:۱۷۲

۱- (۱) .تفسیر مجمع البیان:۸۶۹/۲.

۲- (۲) .تفسیر الأمثل:۷۴۸/۲.

وهکذا کان رسول الله صلّی الله علیه و آله فی أسلوب رسالته،الذی یمثّل أسلوب شخصیته فی خُلقه العظیم وقلبه الکبیر،فأستطاع من خلال ذلک أن یدخل الرساله إلی کلّ قلب وأن یطلق صوتها فی کلّ فم،وأن یحرک شریعته فی قلب کلّ مساحه من مساحات الحیاه....و هذا هو أحد أسرار نجاح المبلّغ فی تبلیغه،فلیس أن یستسلم لنوازعه الذّاتیه لیفرضها علی التبلیغ،بل ینبغی له أن یصوغ شخصیته صیاغه إسلامیه،تنبع من روح الإسلام وخلقه،کما تتحرّک مع فکره،ویترک مزاجه الشخصی لأجواء الفردیه التی تبتعد عن جو التبلیغ و العمل.

سؤال وجواب:

قد یسأل البعض:ألا یجرّنا اللین إلی التنازل عن مبادئ الرساله؟

والجواب:إنّ اللّین فی الکلام لا یعنی الابتعاد عن الخطّ الأصیل للرساله،ولا تنازل عن مبادئها الأساسیه،بل یعنی مواجهه الإنسان بالفکره و الطریقه التی لا تثیر حساسیته وعدوانیته،وذلک بالأسلوب الذی جَرَت علیه الآیات الشریفه ومسیره الأنبیاء علیهم السلام،و هذا هو معنی القول اللین،ألاّ تتنازل عن الفکره بکلّ عناصرها الحیه،ولکن بشرط أن تعالجها بالأسلوب الذی یجعلها تدخل الفکر،والروح،والشعور من أوسع أبوابه.

ولذلک نقول إن:

اللین و الرفق إنما یجوز إذا لم یفض إلی إهمال حق من حقوق الله،أما إذا أدی إلی ذلک لم یجز،قال تعالی: (یا أَیُّهَا النَّبِیُّ جاهِدِ الْکُفّارَ وَ الْمُنافِقِینَ وَ اغْلُظْ عَلَیْهِمْ) (۱)وقال للمؤمنین فی إقامه حدّ الزنا: (وَ لا تَأْخُذْکُمْ بِهِما رَأْفَهٌ فِی دِینِ اللّهِ) . (۲)

وهاهنا دقیقه أخری:

وهی أنه تعالی منعه من الغلظه فی هذه الآیه (...وَ لَوْ کُنْتَ فَظًّا غَلِیظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا

۱- (۱) .التوبه:۷۳.

۲- (۲) .النّور:۲.

مِنْ حَوْلِکَ) ، (۱)وأمره بـالغلظه فی قوله تعـالی: (وَ اغْلُظْ عَلَیْهِمْ) , فههنـا نهاه عن الغلظه علی المؤمنین،وهناک أمره بالغلظه مع الکافرین،فهو کقوله تعالی: (أَذِلَّهٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّهٍ عَلَی الْکافِرِینَ) . (۲)وقوله: (أَشِدّاءُ عَلَی الْکُفّارِ رُحَماءُ بَیْنَهُمْ) . (۳)

وتحقیق القول فیه،أن طرفی الإفـراط و التفریـط مـذمومان،والفضـیله فی الوسط،فورود الأمر بالتغلیظ تاره،وأخری بالنهی عنه،إنما کان لأجل أن یتباعد عن الإفراط و التفریط،فیبقی علی الوسط الذی هو الصراط المستقیم،فلهذا السّر مدح الله الوسط فقال تعالی: (وَ کَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّهً وَسَطاً) (۴). (۵)

إذاً:فعلی المبلّغ أن یتمرس ویتمرن علی اللیونه فی الکلام حتّی تصبح فیـه هـذه السـمه ملکه نفسیه،ویتطبع علی التلطـف فی الحدیث حتّی لا یستطیع بعده معاکسه هذه الصفه إلا بعسر.

یقول الإمام علی علیه السلام:>>عوّد لسانک لین الکلام». (۶)

ومن جمیل وصایاه هی ما وصّی به ابنه الإمام الحسن علیه السلام،حیث قال علیه السلام:

>>ولن لمن غالظک فأنه یوشک أن یلین لک». (۷)

۵.أسلوب التذکیر

اشاره

ثمّ من أهم الأسالیب التی ینبغی للمبلّغ اعتمادها هو أسلوب التذکیر؛وذلک لما له من استعاده الذکریات واستیحاء العبر فیها،و هو من أفضل أسالیب وطرق التربیه و التبلیغ

ص:۱۷۴

۱- (۱) .آل عمران:۱۵۹.

۲- (۲) .المائده:۵۴.

۳- (۳) .الفتح:۲۹.

۴- (۴) .البقره:۱۴۳.

۵- (۵) .التفسیر الکبیر:۴۰۸/۳.

۶- (۶) .غرر الحکم ودرر الکلم:۳۳۴.

۷- (۷) .بحار الأنوار:۱۶۸/۷۴.

التی اعتمدها الأنبیاء علیهم السلام و القرآن الکریم،فهو یذکّر بالنعم العامّه تاره کالصحه،والحیاه،والعمل،والإیمان...والنعم الخاصه تاره أخری کالعین،والفم،والعقل...وهکذا مئات بل ما لا یحصی من النعم،وذلک لکی تبقی عظمه الله حیه فی قلوب الناس فیندفعوا ذاتیاً لامتثال أوامره تعالی وترک نواهیه عز وجلّ.

والذکر،کما یقول الراغب:

تاره یقال ویراد به هیئه للنفس بها یمکن للإنسان أن یحفظ ما یقتنیه من المعرفه،و هو کالحفظ ألاـ أن الحفظ یقال اعتباراً بإحرازه،والذکر یقال اعتباراً باستحضاره،وتاره یقال لحضور الشّیء القلب أو القول.

ولذلک قیل الذکر ذکران:

ذکر بالقلب،وذکر باللسان،وکل واحد منهما ضربان،ذکر عن نسیان،وذکر لا عن نسیان،بل عن إدامه الحفظ.

وفی اللغه کلّ قول یقال له:ذکر،فمن الذکر باللسان قوله تعالی: (لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَیْکُمْ کِتاباً فِیهِ ذِکْرُکُمْ) ،وقوله تعالی: (وَ هذا ذِکْرٌ مُبارَکٌ أَنْزَلْناهُ) ،وقوله تعالی: (هذا ذِکْرُ مَنْ مَعِیَ وَ ذِکْرُ مَنْ قَبْلِی) ،وقوله تعالی: (أَ أُنْزِلَ عَلَیْهِ الذِّکْرُ مِنْ بَیْنِنا) ،أی القرآن،وقوله تعالی: (ص وَ الْقُرْآنِ ذِی الذِّکْرِ) ،وقوله تعالی: (وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ) ....ومن الذکر عن النسیان قوله تعالی: (فَإِنِّی نَسِیتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِیهُ إِلاَّ الشَّیْطانُ أَنْ أَذْکُرَهُ) ،ومن الذکر بالقلب و اللسان معاً قوله تعالی: (فَاذْکُرُوا اللّهَ کَذِکْرِکُمْ آباءَکُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِکْراً) ،وقوله تعالی: (فَاذْکُرُوا اللّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَ اذْکُرُوهُ کَما هَداکُمْ) . (۱)

وقوله تعالی: (أَ وَ لا یَذْکُرُ الْإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ) ، (۲)أی:أوّلاً یذکر الجاحد للبعث أوّل خلقه فیستدلّ بذلک علی إعادته.

۱- (۱) .الآیات بترتیب:الأنبیاء:۱۰؛الأنبیاء:۵۰.الأنبیاء:۲۴؛.ص:۸؛ص:۱؛الزخرف:۴۴؛الکهف:۶۳.البقره:۲۰۰؛البقره:۱۹۸.

۲- (۲) .مریم:۶۷.

والـذکری:کثره الـذکر،و هو أبلغ من الـذکر،قـال تعـالی: (رَحْمَهً مِنّا وَ ذِکْری لِأَولِی الْأَلْبابِ) (۱)وقوله تعالی: (فَإِنَّ الـذِّکْری تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِینَ) . (۲)

والتـذکره:ما یتـذکر به الشّـیء و هو أعمّ من الـدلاله و الأماره،قال تعالی: (فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْکِرَهِ مُعْرِضِینَ) ،وقوله تعالی: (کَلاّ إِنَّهُ تَـذْکِرَهٌ) ،أی القرآن،وذکرته کـذا قال تعالی: (وَ ذَکِّرْهُمْ بِأَیّامِ اللّهِ) ،وقوله تعالی: (فَتُـذَکِّرَ إِحْـداهُمَا الْأُخْری) ، (۳)قیل معناه تعید ذکره.

قـال بعض العلمـاء فی الفرق بین قوله تعالی: (فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ) ، (۴)وبین قوله تعالی: (اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ) ، (۵)أن قوله اذکرونی مخـاطبه لأصـحاب النبی صـلّی الله علیه و آله الـذین حصـل لهم فضل قوه بمعرفته تعالی فأمرهم بأن یـذکروه بغیر واسـطه،وقوله تعـالی: (اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ) ،مخاطبه لبنی إسـرائیل الـذین لم یعرفوا الله إلّا بآلائه،فأمرهـم أن یتبصـروا نعمته فیتوصـلوا بها إلی معرفته. (۶)

أ)الفرق بین التذکیر و التنبیه

وجاء فی الفرق بین التذکیر و التنبیه:

إن قولک ذکر الشّـیء یقتضـی أنه کان عالماً به ثمّ نسـیه فردّه إلی ذکره ببعض الأسـباب وذلک أن الذکر هو العلم الحادث بعد النسـیان علی مـا ذکرنـا،ویجـوز أن ینبـه الرجـل علی شـیء لـم یعرفـه قـط،ألاـ تری أن الله تعـالی ینبـه علی معرفته بالزلازل،والصواعق،وفهم من لم یعرفه البته فیکون ذلک تنبیهاً له کما یکون تنبیهاً لغیره،ولا یجوز أن یذکره ما لم یعلمه قط. (۷)

وقال الطبرسی فی قوله تعالی:

۱- (۱) .ص:۴۳.

۲- (۲) .الذاریات:۵۵.

۳- (۳) .الآیات بترتیب:المدثر:۴۹؛المدثر:۵۴؛إبراهیم:۵؛البقره:۲۸۲.

۴- (۴) .البقره:۱۵۲.

۵- (۵) .البقره:۴۰.

۶- (۶) .مفردات غریب القرآن:۱۷۹-۱۸۰.

۷- (۷) .العسکری, الفروق اللغویه:۱۲۱ و۱۲۲.

(إِنْ هُوَ إِلاّـ ذِكْرى لِلْعالَمِينَ) ، (۱)أی:تـذکیراً للعـالمین بمـا یلزمهم إتیانه واجتنابه. (۲)وجـاء فی الفرقـان فی معنی (إِلاّ ذِكْرى) قـال:ذکری لهـم عـن غفـوتهم فطریـاً،وعقلیاً،فـأن مـواد الهـدی مرتکزه فی الفطر و العقـول،ولاـ یعنی بعـث الرسـول کأصـل إلّا >>ذکری>> لمن استغفلوا عن دلائل الإیمان،ایقاضاً لأصول الهدی،ثمّ الفروع تتبناها وارده علی قضایا الفطر و العقول. (۳)

ب)الذکری تنفع المؤمنین

لقـد خصّص الله عز وجلّ نفع التـذکیر بالمؤمنین حین قال تعالی: (وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الـذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) ، (۴)وتخصیص الذکری بـالمؤمنین دلیـل علی أن الإنـذار یعمّهم وغیرهم،فالمعنی:أنزل إلیک الکتاب لتنـذر به الناس،و هو ذکری للمؤمنین خاصه؛لأنهم یتـذکرون بالآیـات،والمعـارف الإلهیه المـذکوره فیها مقام ربهم،فیزیـد بـذلک إیمانهم وتقر بها أعینهم،أما عامه الناس فأن هـذا الکتاب یؤثر فیهم أثر الإنـذار بما یشتمل علیه من ذکر سخط الله وعقابه للظالمین فی الـدار الآخره،وفی الدنیا بعذاب الاستئصال کما تشرحه قصص الامم السالفه. (۵)

یقول الفخر الرازی:

فإن قیل:لِمَ قید هذه الذکری بالمؤمنین؟قلنا:هو نظیر قوله تعالی: (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) . (۶)

والبحث العقلی فیه أن النّفوس البشریه علی قسمین:نفوس بلیده جاهلیه بعیده عن عالم الغیب غریقه فی طلب اللذات الجسمانیه و الشهوات الجسدانیه،ونفوس شریفه مشرقه بالانوار الإلهیه مستعدّه بالحوادث الروحانیه،فبعثه الأنبیاء

ص:۱۷۷

۱- (۱) .الأنعام:۹۰.

۲- (۲) .تفسیر مجمع البیان:۵۱۳/۴.

۳- (۳) .الفرقان فی تفسیر القرآن:۱۱/۲۲.

۴- (۴) .الذاریات:۵۵.

۵- (۵) .المیزان فی تفسیر القرآن:۸/۸؛تفسیر مجمع البیان:۵۱۳/۴،ومعنی التذکیر أن یأخذ فی الذکر شیئاً بعد شیء مثل التفقه و التعلم.(المصدر:۶۱۱).

۶- (۶) .البقره:۲.

والرسل علیهم السلام فی حق القسم الأوّل إنذار وتخویف،فأنهم لما غرقوا فی نوم الغفله ورقده الجهاله احتاجوا إلی موقظ یوقظهم،وإلی منبه ینبههم.

و أما فی حق القسم الثانی فتذکیر وتنبیه؛وذلک لأنّ هذه النّفوس بمقتضی جواهرها الأصلیه مستعدّه للانجذاب إلی عالم القدس والاتصال بالحضره الصمدیه،إلّا أنه ربّما غشیها غَواش من عالم الجسم فیعرض لها نوع ذهول وغفله،فإذا سمعت دعوه الأنبیاء وأتصل بها أنوار أرواح رسل الله تعالی تذکرت مرکزها وأبصرت منشأها،واشتاقت إلی ما حصل هناک من الروح،والراحه و الریحان،فثبت أنه تعالی أنما أنزل هذا الکتاب علی رسوله لیکون إنذارا فی حقّ طائفه وذکری فی حقّ طائفه أخری. (۱)

وهنا یأتی سؤال:کیف ینتفع المؤمنون من الذکری؟

والجواب یحتمل وجوه:

أحدها:أن یراد قوّه یقینهم کما قال تعالی: (لِیَزْدادُوا إِیماناً) ، (۲)وقال تعالی: (فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِیماناً) ، (۳)وقال تعالی: (زادَهُمْ هُدیً وَ آتاهُمْ تَقْواهُمْ) . (۴)

ثانیها:تنفع المؤمنین الذین بعدک،فکأنک إذا أکثرت التذکیر بالتکریر نقل عنک ذلک بالتواتر،فینتفع به من یجیء بعدک من المؤمنین.

ثالثها:هو أن الذکری إن أفاد إیمان کافر فقد نفع مؤمناً؛لأنه صار مؤمناً،وان لم یفد یوجد حسنه ویزاد فی حسنه المؤمنین فینتفعوا. (۵)

ج)نماذج من التذکیر بالنعم

أوّلاً:النعمه السیاسیه والاجتماعیه

نستطیع أن نشاهد النعمه السیاسیه والاجتماعیه فی قول الله تعالی: (وَ اذْکُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِیلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِی الْأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ یَتَخَطَّفَکُمُ النّاسُ فَآواکُمْ وَ أَیَّدَکُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَکُمْ مِنَ

۱- (۱) .التفسیر الکبیر:۱۹۶/۵.

۲- (۲) .الفتح:۴.

۳- (۳) .التوبه:۱۲۴.

۴- (۴) .محمد:۱۷.

۵- (۵) .المیزان فی تفسیر القرآن:۳۸۵/۱۸.

اَلطَّيِّباتِ لَعَلَّكَمْ تَشْـكَرُونَ) ،وأيضاً قوله تعالى: (وَ لَقَدْ نَصَـرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّهٌ فَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكَمْ تَشْكَرُونَ) ، (۱)وقوله تعالى: (وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها قُصُوراً وَ تَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللّهِ) . (۲)

ولتكون الذكرى اساساً للتفكير العملى الواعى الذى يدفعكم للسير فى نهجه القويم وخطّه المستقيم،كتعبير عن شكره،لما أولاكم من النعم السياسيه والاجتماعيه.

ثانياً:نعمه الإمداد الغيبى

وتتجلى هـذه النعمه العظيمه فى قوله تعـالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَهَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُم جُنُودٌ فَأَرْسَـلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها) . (۳)

ثالثاً:نعمه الرزق

نلاحـظ هـذه النعمه بوضوح فى قوله تعـالى: (يـا أَيُّهَا النّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ) . (۴)

وكـذلك نلاحـظ ذلك فى قوله تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ) . (۵)

رابعاً:نعمه التفضيل على الآخرين

بإمكاننا أن نقف على هذه النعمه الإلهيه فى قوله تعالى: (يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ

۱- (۱) .الأنفال:۲۶؛آل عمران:۱۲۳.

۲- (۲) .الأعراف:۷۴.

۳- (۳) .الأحزاب:۹.

۴- (۴) .فاطر:۳.

۵- (۵) .يونس:۳۱.

اَلَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکَمْ وَ أَنِّی فَضَّلْتُکَمْ عَلَی الْعالَمِینَ) . (۱)

وکما هو واضح أن الله تعالی حینما یذکّر الناس بنعمه التفضیل علی الآخرین،یرید تعالی أن یعمق فی نفوسهم الشعور بمسؤولیتهم الکبیره المتمثّله بالسیر علی خطّ ونهج الأنبیاء علیهم السلام.

خامساً:نعمه الوحده

هذه النعمه الإلهیه من أهم النعم التی أنعم الله بها علی المؤمنین،حیث أنها مصدر من مصادر قوتهم وعظمتهم،ولذلک أشار الله تعالی إلیها فی کثیر من الآیات الشریفه،مثلاً قوله تعالی: (وَ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ کُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِکُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً...) . (۲)

نشاهد فی هذه الآیه الکریمه کیف یذکر المولی عز وجلّ بالنعمه العظمی التی أنعم بها علی المؤمنین،وهی نعمه الوحده و التجمع بعد التفرق،والألفه بعد العداوه و الخصام،وقتل بعضهم بعضاً،وتسلط القوی علی الضعیف،فجعلهم أخوه فی الإیمان،فقال تعالی: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَهٌ) . (۳)

فصاروا کالبدن الواحد،وکالبنیان المرصوص،بعدما کانوا یغورون فی الکفر و الشرک،والإشراف علی حافه النار و الهلاک بسبب الشرک و الوثنیه،فصاروا عندها ساده البشر وأساتذه العالم،وأنقذهم الله بالإسلام من الدمار و الهلاک و التشتت و التفرق.

سادساً:نعمه القیاده

وتتجلّی هذه النعمه تماماً بقوله تعالی: (یا قَوْمِ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ جَعَلَ فِیکُمْ أَنْبِیاءَ) (۴)وجاء فی التفسیر:

۱- (۱) .البقره:۴۷.

۲- (۲) .آل عمران:۱۰۳.

۳- (۳) .الحجرات:۱۰.

۴- (۴) .المائده:۲۰.

جاءت هـذه الآيات لتثير لـدى اليهود دافع التوجه إلى الحقّ و السـعى لمعرفته أولاً،وإيقاظ ضـمائرهم حيال الأخطاء و الآثام التى ارتكبوها ثانياً،ولكى تحفزهم إلى السعى لتلافى أخطائهم و التعويض عنها،ويذكرهم القرآن فى الآيه الأولى بما قاله النبى موسى عليه السلام لأصحابه حيث يقول: (وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ) .

ولا يخفى أن عباره: (نِعْمَتَ اللّهِ) تشمل جميع الأنعُم الإلهيه،لكن الآيه استطردت فبينت ثلاثاً من أهمّ هذه النعم وهى:

أولهـا:نعمه ظهور الأنبيـاء عليهم السـلام وقاده كثيرين بين اليهود،والتى تعتبر أكبر نعمه وهبها الله لهم،فتقول الآيه: (إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ) , و قـد نقل أن فى زمن موسـى بن عمران عليه السـلام وحده كان يوجد بين اليهود سـبعون نبياً،وأن السـبعين رجلاً الذين ذهبوا مع موسى عليه السلام إلى جبل الطور كانوا كلّهم بمنزله الأنبياء.

وفى ظـلّ هـذه النعمه-نعمه وجـود الأنبيـاء-نجـا اليهود من هـاويه الشـريك و الوثنيه وعبـاده العجـل وتخلصوا من مختلف أنواع الخرافات و الأوهام و القبائح و الخبائث،لذلك أصبحت هذه النعمه اكبر النعم المعنويه التى أنعم الله بها على بنى إسرائيل. (۱)

هـذا وتوجـد فى طيات القرآن الكريم إشاره أخرى إلى هـذه النعمه العظيمه،كقوله تعالى: (أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفـاءَ مِنْ بَعْـدِ قَوْمِ نُـوحٍ وَ زادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَصْـطَهً فَـاذْكُرُوا آلاـءَ اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) . (۲)

وكـذلك قوله تعالى: (وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْـدِ عادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِى الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُـهُولِها قُصُوراً وَ تَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) . (۳)

فيقول تعالى: (فَاذْكُرُوا آلاءَ اللّهِ) ونعمائه وعظمته (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) من خلال هذه الذكرى التى تنير قلوبكم،وتبصـركم بكلّ خير ورحمه وإيمان،حيث أن الذكرى

۱- (۱) .تفسير الأمثل:۳/۶۶۰.

۲- (۲) .الأعراف:۶۹.

۳- (۳) .الأعراف:۷۴.

عنصر مهم وعامل من عوامل الوعی الذی یستثیر فیهم العناصر الطیبه الأصیله التی یمکن أن تجعل منهم أناس طیبین،تنبض قلوبهم بالرحمه،وتعیش حیاتهم للمسؤولیه،وتتحرک خطواتهم-من خلال الوعی و التذکر-فی اتجاه الله وکل خیر.

هذا من ناحیه،ومن ناحیه أخری نجد أن الله سبحانه وتعالی یأمر أنبیاءه علیهم السلام أن یذکّروا بأیامه تعالی التی داولها بین الناس بما فیها من خیر و أمان،وعذاب وانتقام،کی یعوها ویتعظوا بها،ومن ذلک قوله تعالی: (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسی بِآیاتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَکَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ وَ ذَکِّرْهُمْ بِأَیّامِ اللّهِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِکُلِّ صَبّارٍ شَکُورٍ) ، (۱)فنجد أن نبی الله موسی علیه السلام:

یذکّر قومه أیام الله فی الأمم الماضیه ممّن فنیت أشخاصهم وخمدت أنفاسهم وعفت آثارهم وانقطعت أخبارهم،فلا یعلمهم بحقیقه حالهم تفصیلاً إلّا الله کقوم نوح وعاد وثمود و الذین من بعدهم. (۲)

فمن هذا التذکیر نستلهم العظه و العبره،کما جاء فی التفسیر:

أنه یمکننا أن نستفید من الآیه الکریمه عده أمور:

۱.علی الناس الاعتبار و الإیقاظ بأیام الله تعالی-أی:الوقائع العظیمه التی وقعت فیها-وتذکر نعم الله علیهم.

وذلک جمع بین الترغیب و الترهیب و الوعد و الوعید،فالترغیب و الوعد:أن یذکّرهم النبی موسی علیه السلام أو غیره ما أنعم الله علیهم وعلی من قبلهم ممن آمن بالرسل،فی سائر ما سلف من الأیام.

والترهیب و الوعید:أن یذکّرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممّن کذّب الرسل،ممن سلف من الأمم فیما سلف من الأیام،مثل ما نزل بعاد وثمود وغیرهم من العذاب،لیرغبوا فی الوعد فیصدّقوا،ویحذروا من الوعید فیترکوا التکذیب.

۲.إن فی ذلک التذکیر و التنبیه دلائل لمن کان صباراً شکوراً.

ففی حاله المحنه و البلیه یصبر،وفی حاله المنحه و العطیه یشکر. (۳)

۱- (۱) .إبراهیم:۵.

۲- (۲) .المیزان فی تفسیر القرآن:۲۲/۲.

۳- (۳) .تفسیر المنیر:۲۱۲/۱۳.

د)الهدف من ذكر النعم

لا بدّ فی نهایه هذا البحث-التذکیر-أن نَذْکُر الهدف الإلهی من ذکر نعمه الکبیره علینا،وما هی الغایه من تکرار التذکیر بها،فنقول:

لا حاجه للتنبیه علی أن ذکر النعم الإلهیه الوارده فی القرآن الکریم لا یقصد منها إلقاء المنّه أو کسب الوجاهه وما شابه ذلک،فشأن الباری أجل وأسمی من ذلک،و هو الغنی ولا غنی سواه ولکن ذکرها جاء ضمن أسلوب تربوی مبرمج یهدف لإیصال الإنسان إلی أرقی درجات الکمال الممکنه من الناحیتین المادیه و المعنویه.

وأقوی دلیل علی ذلک ما جاء فی أواخر کثیر من الآیات....من عبارات و التی تصبّ-مع کثرتها وتنوعها-فی نفس الاتجاه التربوی المطلوب.

فبعد ذکر نعمه تسخیر البحار،فی قوله تعالی: (وَ هُوَ الَّذِی سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْکُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِیًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْیَهً تَلْبَسُونَها وَ تَرَی الْفُلْکَ مَواخِرَ فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ) (۱)یقول تعالی: (وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ) .

وبعد أن قام بتبیین نعمه الجبال و الأنهار و السبل،کما فی قوله تعالی: (وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ وَ أَنْهاراً وَ سُبُلًا لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ) ، (۲)یقول تعالی: (لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ) .

وبعد تبیین أعظم النعم المعنویه،نعمه نزول القرآن،فی قوله تعالی: (لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلی جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْیَهِ اللّهِ وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ) (۳)یقول تعالی: (لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ) .

وبعد ذکر نعمه آلات المعرفه الإلهیه السمع و البصر و الفؤاد فی قوله تعالی: (وَ اللّهُ أَخْرَجَکُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ لا تَعْلَمُونَ شَیْئاً وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَهَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ) ، (۴)یقول تعالی: (لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ) .

۱- (۱) .النحل:۱۴.

۲- (۲) .النحل:۱۵.

۳- (۳) .الحشر:۲۱.

۴- (۴) .النحل:۷۸.

وبعد الإشاره إلی إكمال النعمه الإلهیه فی قوله تعالی: (وَ اللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمّا خَلَقَ ظِلالاً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرابِیلَ تَقِیكُمُ الْحَرَّ وَ سَرابِیلَ تَقِیكُمْ بَأْسَكُمْ كَذلِكَ یُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَیْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) (۱)یقول تعالی: (لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) .

وبعد ذكر جمله أمور فی مجال العدل و الإحسان ومحاربه الفحشاء و المنكر و الظلم،فی قوله تعالی: (إِنَّ اللّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِیتاءِ ذِی الْقُرْبی وَ یَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْیِ یَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) . (۲)یقول تعالی: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .

ویقول تعالی بعد نعمه النصر،فی قوله تعالی: (وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ، (۳)یقول تعالی: (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

والحقیقه أن القرآن الكریم قد أشار إلی خمسه أهداف ممّا ذكر فی الموارد أعلاه،وهی:

۱.الهدایه؛۲.التسلیم للحق؛۳.الشكر؛۴.التفكر؛۵.التذكّر.

ومما لا شك فیه أن الأهداف الخمسه مترابطه فیما بینها ترابطاً وثیقاً فالإنسان یبدأ بالتفكر،و إذا نسی تذكّر،ثمّ یتحرك فیه حسن الشكر لواهب النعم علیه،فیفتح الطریق إلیه لیهتدی،وأخیراً یسلم لأوامر مولاه،وعلیه فالأهداف الخمسه حلقات مترابطه فی طریق التكامل،و إذا سلك السالك ضمن الضوابط المعطاه لحصل علی نتائج مثمره وعالیه،وثمه ملاحظه،هی أن ذكر النعم الإلهیه بشكلیها الجمعی و الفردی إنما یراد بها بناء الإنسان الكامل. (۴)

إذاً:یجب علی المبلّغ أن یلتزم بأسلوب التذكیر فی تبلیغه،لیتذكر من یتذكر،ویرتدع عن غیه وإعراضه من شاء أن یرتدع.

۱- (۱) .النحل:۸۱.

۲- (۲) .النحل:۹۰.

۳- (۳) .آل عمران:۱۲۳.

۴- (۴) .تفسیر الأمثل:۳۷۲/۸.

قال تعالى: (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى * وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * اَلَّذِى يَصْلَى النّارَ الْكَبْرى * ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى) . (۱)

فالتذكير واجب رسالى لا يسقط القيام به وتأديته و إن تفاقمت أخطار المُعْرِضِين وازدحمت حشودهم وتزايدت قواهم الماديه وأحقادهم،بل هو الأسلوب الناجح-لو استعمل بدقّه وذكاء-فى تفتيت قوى الباطل وتمزيق شملهم وتغيير معادلات أعدادهم وقواهم.

۶.أسلوب القصص و التاريخ

اشاره

إنّ أسلوب القصّه من أهمّ الأساليب التى استخدمها الأنبياء عليهم السلام فى مجال التبليغ و الدعوه إلى الله،فخاطبوا بها كلًا من العقل و الشعور الإنسانى،فهى من أروع ما يعين على الإقناع،ويقرب الغرض إلى الأذهان،ويوضح المعنى المطلوب،وأصبحت القصّه فى العصور الأخيره أدباً وفناً قائماً برأسه،يستعين بها دعاه الأفكار الحديثه،لتلقين العامّه وإقناعهم وان كانت من وضع الخيال،والسّر أن فى طبيعه الإنسان غريزه حبّ الاستماع إلى القصّه فيلتذ بها؛وذلك لإشباع غريزه حب الاطّلاع،أو لغير ذلك من غرائزه،و قد يعتبرها شاهداً أو دليلًا باعتبارها تجربه واقعيه.

و قد جاءت القصص بصوره متسقه بديعه فى سور القرآن الكريم على وجه من الشموليه له من الدلالات الموحيه ما يحفّز الناظر فى كتاب ا لله وحياه الأنبياء عليهم السلام إلى دراستها دراسه واعيه مستوعبه....

أ)القصه

أوّلاً:مفهوم القصه

قبل الدخول فى التفاصيل لابد من الإشاره إلى معنى القصه.

ص:۱۸۵

۱- (۱) .الأعلى:۹-۱۳.

القصه فی اللغه:

تتبع الأثر،یقال:قصصت الشّیء إذا تتبعت أثره شیئاً بعد شیء،قال تعالی: (فَارْتَدّا عَلی آثارِهِما قَصَصاً) ، (۱)وقوله تعالی: (وَ قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّیهِ) ، (۲)وترد بمعنی:البیان و الخبر.ولذا یقال:القصص:الأخبار المتتابعه.قال تعالی: (لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) ، (فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ) ، (وَ قَصَّ عَلَیْهِ الْقَصَصَ) ، (نَقُصُّ عَلَیْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) ، (فَلَنَقُصَّنَّ عَلَیْهِمْ بِعِلْمٍ) ، (یَقُصُّ عَلی بَنِی إِسْرائِیلَ) ، (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ) . (۳)

علی أن لکلّ من:القصّه و النبأ،والخبر،والمثل،مفاهیم مختلفه فی السیاق القرآنی،ربما تداخلت مدلولاتها،وأهم ما یمیز بینها عنصری:الزمن بین المضی والاستقبال،ثمّ الواقعیه و التحقق.... (۴)

وفی الحقیقه کثیراً ما یرد النبأ بمعنی القصص،کما فی قوله تعالی: (وَ کُلاًّ نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ) ، (۵)وقوله تعالی: (نَتْلُوا عَلَیْکَ مِنْ نَبَإِ مُوسی وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) . (۶)

وللقصه مفهوم عصری مؤداه أنّها:

حکایه نثریه طویله تستمدّ من الخیال أو الواقع أو منهما،وتبنی علی قواعد معینه من الفنّ الکتابی. (۷)

أما القصّه فی المفهوم القرآنی،فلها من الخصائص و السمات العامّه ما تتمیز به عن القصص التی هی من وضع البشر.

ص:۱۸۶

۱- (۱) .الکهف:۶۴.

۲- (۲) .القصص:۱۱.

۳- (۳) .مفردات غریب القرآن:۴۰۴.لسان العرب:۷۴/۷.

۴- (۴) .انظر ماده الخبر،والنبأ،والمثل،فی مفردات الراغب.

۵- (۵) .هود:۱۲۰.

۶- (۶) .القصص:۳.

۷- (۷) .المعجم الوسیط:۹۰۳/۲.

ولقـد درس البـاحثون القصّه القرآنيه من جوانبهـا المختلفه،الجانب اللغوى البلاغى،والجانب الفنى التصويرى،والجانب النفسـى-أى:السيكولوجى-والجانب التاريخى....

و هـذه الجوانب وغيرهـا تنضوى جميعاً تحت المفهوم الـدعوى الاشـمل للقصّه فى كتـاب الله،وتمثـل وجهـاً من وجوه الإعجـاز القرآنى.

و قـد حوى القصـص القرآنى فى أطوائه جوانب عديـده فى:العقيـده،والشـريعه،والتاريـخ،والسـنن الرّبـانيه،ومختلف العلوم وشتّى المعارف،ممّا تتطلبه الحياه الإنسانيه المثلى،وتنهض عليه الحضارات الراقيه وتقيم عليه دعائمها وعناصر ازدهارها ونمائها.

والإنسان اجتماعى الطّبع،توحشه الوحـده ويسـتأنس بالجماعه،ولقد أعطى الذاكره التى تعى الأحداث ومجرياتها،وتحتفظ بالكثير المفيد من صور الحياه ومشاهد الطبيعه،ثمّ منح العقل المميز الذى يسـتلهم العبر ويستخرج العلل ويقيس الأمور بأشباهها،ويصل-بهدايه الرسالات السّماويه-إلى تجنب سبل الشر و الفساد....

ولئن كان الإنسان على هذا النمط الفريد فى مواهبه و قدراته وسـجاياه،لم يكن غريباً أن يشتمل الكتاب العزيز على القصص التى تسـتجيب لحاجـات هــذا المخلـوق المكرّم،الفطريـه،والعــاطفيه،والعقليـه،وتســتثير فيـه كـوامن الحسّ ليصــل إلى معرفـه سـر الحياه،والهدف من الوجود من هذه الأرض،والى أين المصير بعد الموت....

والـذى يتأمّل من القصـص القرآنى بوعى وتدبر يقف خاشـعاً أمام كلام الله العليم الخبير،و هو يقص أخبار الدعاه من المرسـلين وأتباعهم،ويبسط الأساليب التى اسـتخدموها و الوسائل التى انتقوها لمختلف حالات المدعوين،ويعرض فى أسـلوب معجز كيف وصـلوا إلى تحقيق أهـداف الـدّعوه من أقرب الطرق وبأيسـر السـبل،كلّ ذلک عبر الأحقاب المتطاوله لتاريـخ البشـريه،وأنت إذا أَجَلْتَ بصيرتک فى القصص القرآنى،وقفت على جلال الموضوع،وكمال العرض،واتساق التركيب....

ومن أهم دلائل اهتمام القرآن بأسلوب القصّه فى تبليغ الدّعوه:

ص:١٨٧

أ.ورودها منسوبه إلی ربّ العزه و الجلال فی قوله: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) ، (۱)وقوله تعالی: (کَذلِکَ نَقُصُّ عَلَيْکَ مِنْ أَنْباءِ ما قَدْ سَبَقَ) ، (۲)وقوله تعالی: (إِنِ الْحُکْمُ إِلاّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ) . (۳)

ب.أمر الله سبحانه نبيه أن يقصّ علی الناس ما أُوحی إليه،کما فی قوله عز وجلّ،بعد أن ذکر طرفاً من أخبار بنی إسرائيل: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَکَّرُونَ) ، (۴)أی:قصص الذين کفروا وکذبوا أنبياءهم. (۵)

ومن هنا جعل بعض العلماء القصص من مرادفات کلمه:(الدّعوه)ومثلها الوعظ،والإرشاد،والتبليغ،والبيان؛إذ أمر بها إمام المرسلين و قدوه الداعين محمّد صلّی الله عليه و آله.

ج.القصّه مَعْلم بارز من معالم القرآن الکريم لتوضيح الحقائق وتبيين السبل،کما فی سوره النمل: (إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلی بَنِی إِسْرائِيلَ أَکْثَرَ الَّذِی هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) . (۶)

د.القصّ-بالمفهوم العام-کان من مهمات الرسل عليهم السلام،ولذا قال تعالی: (يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِکُمْ رُسُلٌ مِنْکُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْکُمْ آياتِی وَ يُنْذِرُونَکُمْ لِقاءَ يَوْمِکُمْ هذا) ، (۷)وقال تعالی: (يا بَنِی آدَمَ إِمّا يَأْتِيَنَّکُمْ رُسُلٌ مِنْکُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْکُمْ آياتِی فَمَنِ اتَّقی وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ) . (۸)

ه.حياه الأنبياء عليهم السلام-والقصص وتصويرها-فی موضع القدوه و الأسوه،ولقد أمر

۱- (۱) .يوسف:۳.

۲- (۲) .طه:۹۹.

۳- (۳) .الأنعام:۵۷.

۴- (۴) .الأعراف:۱۷۶.

۵- (۵) .زاد المسير:۲۹۱/۳.

۶- (۶) .النمل:۷۶.

۷- (۷) .الأنعام:۱۳۰.

۸- (۸) .الأعراف:۳۵.

الله خاتم المرسلين بالاقتداء بهم،بعد أن سرد طرفاً من أخبارهم فقال تعالى: (أُولئِکَ الَّذِینَ هَدَی اللّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ) (۱). (۲)

وأحداث القصص القرآنی تدور فی محیط الدّعوه إلی الله،وإلی تحریر العقیده وتصفیتها من العبودیه لغیر الله،وتوجیهها إلی عباده الإله الواحد الخالق ربّ العالمین،ولذلک کانت دعوات الأنبیاء هی الشخصیه الغالبه فی قصص القرآن. (۳)

وهنا یکمن الفرق بین القصص القرآنی وغیره من القصص.

حیث یختلف القصص القرآنی عن غیره من القصص فی ناحیه أساسیه هی:ناحیه الهدف و الغرض الذی جاء من أجله؛ذلک لأنّ القرآن الکریم لم یتناول القصّه؛لأنها عمل(فنّی)مستقل فی موضوعه وطریقه التعبیر فیه،کما أنّه لم یأتِ بالقصه من أجل التحدّث عن أخبار الماضین وتسجیل حیاتهم وشؤونها فحسب-کما یفعل المؤرّخون-وإنما کان عرض القصّه فی القرآن الکریم مساهمه فی الأسالیب العدیده التی سلکها لتحقیق أهدافه وأغراضه الدینیه،التی جاء بها الکتاب الکریم،وبعث الأنبیاء علیهم السلام من أجلها،بل یمکن أن نقول:إنّ القصّه هی من أهمّ هذه الأسالیب.

فالقرآن الکریم رساله دینیه قبل کلّ شیء تهدف بصوره أساسیه إلی عملیه التغییر الاجتماعی بجوانبها المختلفه؛لذا فلا بدّ لنا-حین نرید أن ندرس القصّه القرآنیه-أن نضع أمامنا هذا الهدف القرآنی العام لنتعرف من خلاله علی الأسلوب الذی اتبعه القرآن الکریم فی عرضه القصّه القرآنیه مساهمه منه فی تحقیق هذا الهدف.

ثانیاً:أهداف القصص القرآنی

لقد وردت القصّه فی القرآن الکریم لتساهم فی عملیه الکمال الإنسانی بجوانبها

۱- (۱) .الأنعام:۹۰.

۲- (۲) .الدّعوه إلی الله تعالی:۱۴۳ و۱۴۴.

۳- (۳) .عبد الکریم, الخطیب, القصص القرآنی:۴۳،بتصرف طفیف.

المتعدّده فهی-بالإضافه إلی تحقیق أسس الدّعوه،من توحید الله،وتصحیح المفاهیم الخاطئه حول الإلوهیه و الربوبیه،والنبوه ومتعلقاتها،وتقریر البعث و النشور،والحساب و الجزاء،وإقامه شرع الله بین الناس-ترمی إلی أهداف خاصه،تعنی بالمبلغین و الدعاه و المدعوین،ثمّ الإنسانیه جمعاء.

و قد جَمَعَت آیتان فی کتاب الله أهداف القصص فی القرآن الکریم،نوّهت الأولی عن أهداف وخصائص قصص المرسلین،وأوضحت الأخری أهداف القصص بوجه عام،قال تعالی: (وَ کُلاًّ نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ وَ جاءَکَ فِی هٰذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَهٌ وَ ذِکْری لِلْمُؤْمِنِینَ) ، (۱)وقال بعد قصّه یوسف علیه السلام و المجتمع المصری آنذاک: (لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ ما کانَ حَدِیثاً یُفْتَری وَ لکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَ تَفْصِیلَ کُلِّ شَیْ ءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَهً لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ) ، (۲)والآیتان مکیتان تتحدد منهما أهداف القصّه, وهی:

۱.الدلاله علی صدق رسول الله صلّی الله علیه و آله:وأن ما جاء به کلام الله،وکان هذا من أکبر أهداف القصص،لا سیما الغیبیه منها،کما قال تعالی: (وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِیِّ إِذْ قَضَیْنا إِلی مُوسَی الْأَمْرَ وَ ما کُنْتَ مِنَ الشّاهِدِینَ * وَ لکِنّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَیْهِمُ الْعُمُرُ وَ ما کُنْتَ ثاوِیاً فِی أَهْلِ مَدْیَنَ تَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِنا وَ لکِنّا کُنّا مُرْسِلِینَ * وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَیْنا وَ لکِنْ رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ) . (۳)

۲.التثبیت:وما أحوج[المبلّغین]والدعاه إلیه،وما أجداه،و قد تولّاه ربّ العزه و الجلال،وقال أبو حیان فی قوله تعالی: (وَ کُلاًّ نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ) : (۴)

۱- (۱) .هود:۱۲۰.

۲- (۲) .یوسف:۱۱۱.

۳- (۳) .القصص:۴۵ و۴۶.

۴- (۴) .هود:۱۲۰.

أی:نقوّی ونثبت الفؤاد،هو بما جری للأنبیاء علیهم السلام ولأتباعهم المؤمنین،وما لقوا من مکذبیهم من الأذی،ففی هذا کله أسوه بهم؛إذ المشارکه فی الأمور الصعبه تهون ما یلق الإنسان من الأذی،ثمّ الإعلام بما جری علی مکذبیهم من العقوبات المستأصله بأنواع من العذاب...فیه طمأنینه للنفس وتأنس بأن یصیب الله من کذب الرسول صلّی الله علیه و آله بالعذاب کما جری لمکذبی الرسل،والتثبیت هنا شامل للدعاه کلهم و هو مبثوث فی قصص الرسل کلهم،یوحی بذلک لفظ[کُلاًّ]علی اعتبار أنّه مفعول به أو بدل أو خبر أو نکره،فعلی أی وجه حمل أدّی من الشمولیه ما ذکرنا. (۱)

وکان تکرار القصّه الواحده فی سور مختلفه بصور متنوعه تسلیه لرسول الله صلّی الله علیه و آله وللدعاه من بعده.

۳.العبره:وهی الدلاله التی یعبر عنها بالعلم، (۲)وهی المقصد الأسمی لقصص القرآن،ولیس ینتفع به إلّا أولو الألباب.

والعبره کی تتحقّق علی أتّم وجوهها تستلزم:

أ.الحذر من الوقوع فیما وقع فیه المکذبون.

ب.الانتفاع من دراسه الأحداث بوعی،وتلافی السلبیات و الحرص علی الإیجابیات.

ج.استنباط الحکم و الأسالیب الوارده فی القصّه و التفریع علیها وفق متطلبات العصر،وکل هذا یحتویه قصص القرآن: (وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِیهِ مُزْدَجَرٌ) . (۳)

۴.إقامه المجتمع المسلم،و هو کذلک من أهداف القرآن العظیم،و قد وردت عوامل بناء شخصیه الإنسان مفصله فی القرآن المجید نظریاً،وفی قصصه تطبیقیاً،قال تعالی: (...وَ تَفْصِیلَ کُلِّ شَیْ ءٍ) ، (۴)وأنّها لأرقی العوامل التی عرفها الإنسان وأصدقها

۱- (۱) .الصحاح:۲۷۴/۵.

۲- (۲) .الصحاح:۳۵۶/۵.

۳- (۳) .القمر:۴.

۴- (۴) .یوسف:۱۱۱.

وأبقاها لقوله عز وجلّ: (هُدىً وَ رَحْمَهً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ، (١)وقوله: (وَ جاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَهٌ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ) . (٢)

ولقد كانت قصص القرآن من روافد تصحيح المفاهيم فى الإلوهيه،والنبوه،والبعث،وتكوين فكره صحيحه،وتصوّر مستقيم عن الحياه الدنيا و الآخره.

وثمّه أهداف أخرى سوى ما تقدّم كتعليم أدب الحوار،وأدب الدّعوه،وعرض وتحليل أمراض أولى الأهواء و النزعات المنحرفه،وأساليب تربيه الأمم و الأفراد و الدعاه....

وعلى العموم،فالقصّه فى القرآن جاءت:

لأجل الموعظه والاعتبار،لا لبيان التاريخ،ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عن الغابرين،وإنّه ليحكى من عقائدهم الحقّ و الباطل،ومن تقاليدهم الصادق و الكاذب،ومن عاداتهم النافع و الضار،لأجل الموعظه والاعتبار،فحكايه القرآن لا تعدّوا موضع العبره،ولا تتجاوز مواطن الهدايه،ولا بدّ أن يأتى فى العباره أو السياق وأسلوب النظم ما يدل على استحسان الحسن واستهجان القبيح. (٣)

إذاً:نجد أن القصّه القرآنيه تكاد تستوعب فى مضمونها وهدفها وأسلوبها جميع الأغراض الرئيسيه التى جاء من أجلها القرآن الكريم.

ثالثاً:القصه القرآنيه ومناهج الدّعوه

تخاطب مناهج الدّعوه الإنسان بكيانه كله،عواطفه،وأحاسيسه،ومشاعره،وعقله،ومداركه،وفطرته....

وموقع القصّه القرآنيه من هذه المناهج موقع هام ذو أثر كبير؛ذلك لأنّه القصّه تخاطب كيان الإنسان مخاطبه المناهج إياه.

١- (١) .الأعراف:٥٢.

٢- (٢) .هود:١٢٠.

٣- (٣) .تفسير المنار:٣٩٩/١؛الدّعوه إلى الله:١٥٨-١٦٠.

ثمّ إن كانت القصّه ألصق بالمنهج العاطفی حتّی عُدت من روافده وأسالیبه؛فذاک لأنها تعتمد علی أسلوب الحکایه التی تتضمن أشخاصاً وحواراً أو مشکله ثمّ حلاًـفلیس ثمّ ما هو علی وتیره واحده،بل تجد الأسلوب الخبری ینقلب فجأه إلی إنشائی و العکس،ویرد نهی واستفهام،ثمّ تمنی وترج فتعجب....وکلّ أولئک یجعل النفس تستشرف فتتهیأ لمعرفه النتائج ومترتبات الأمور،ومن ثمّ تعی فتستبصر.

هذا من جانب الأسلوب وتلونه وتنوع العرض واختلاف المؤثرات.

والقصّه إضافه إلی هذا تصویر لمجتمع ما بکل خصائصه ومکوناته وخلجاته وتصوراته....وهی بعد ذلک مخاطبه لمجتمع آخر یحمل نفس الملامح و السمات و الطبائع،ویتجه نفس الاتجاهات(فالمماثله)و(التطابق)نقطه إلتقاء بین المجتمعین وان فصل بینهما بون تاریخی،ولذا قال تعالی: (وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَیْکُمْ آیاتٍ مُبَیِّناتٍ وَ مَثَلاً مِنَ الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِکُمْ وَ مَوْعِظَهً لِلْمُتَّقِینَ) ، (۱)ومثلاً،أی:شبهاً من حالهم بحالکم أیها المکذبون. (۲)

إذاً:فأسلوب القصّه هو أسلوب الإبلاغ غیر المباشر،أو قل مخاطبه مجموعه بهدف إسماع غیرها من باب إیاک أعنی واسمعی یا جاره،فقد روی عن الإمام الصادق علیه السلام أنه قال:

>>نزل القرآن بأیاک أعنی وأسمعی یا جاره». (۳)

وعلیه،فمن الطّبیعی أن یؤثر أسلوب القصّه تأثیراً کبیراً فی المجتمع،بحیث أن کثیر من الناس قد یرسم طریقه علی وفقها،بسبب ما تثیره فیه من وعی وإحساس

ص:۱۹۳

۱- (۱) .النّور:۳۴.

۲- (۲) .زاد المسیر:۳۹/۶؛الدّعوه إلی الله تعالی:۱۵۴.

۳- (۳) .أصول الکافی:۶۳۱/۲.

خاص فی معرفه الحقّ و الخیر وأهله،وتشخیص الباطل و الشر وأهله،و هذا ما نصت علیه کثیر من الآیات الشریفه،کقوله تعالی: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَیْکَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ) ، (۱)وقوله تعالی: (إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) ، (۲)وقوله تعالی: (إِنِ الْحُکْمُ إِلاّ لِلّهِ یَقُصُّ الْحَقَّ) . (۳)

رابعاً:نموذج من القصص القرآنی

قصه الملکه بلقیس:

وکانت فی تاریخ القرآن ألوان من القصص المثیره المحرّکه لمشاعر الإیمان،والتی تعدّ من حوافز العقیده،لصلتها المباشره بالفیض الإلهی،والإراده الربانیه،وأحداث قصه الملکه بلقیس مثلٌ یحتذی من الدبلوماسیه الرشیده،وإعمال الفکر و الأناه،والظفر بتحقیق النتائج السلمیه،وصون البشریه من إراقه الدماء،وحفظ الأنفس؛لأن البعد عن الأهواء و الشهوات وعن الغطرسه یؤدّی إلی اتخاذ موقف الحکمه و السداد.

و قد قال تعالی واصفاً قصه بلقیس مع سلیمان علیه السلام: (قالَتْ یا أَیُّهَا الْمَلَأُ إِنِّی أُلْقِیَ إِلَیَّ کِتابٌ کَرِیمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَیْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ * أَلاّ تَعْلُوا عَلَیَّ وَ أْتُونِی مُسْلِمِینَ * قالَتْ یا أَیُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِی فِی أَمْرِی ما کُنْتُ قاطِعَهً أَمْراً حَتّی تَشْهَدُونِ * قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّهٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِیدٍ وَ الْأَمْرُ إِلَیْکِ فَانْظُرِی ما ذا تَأْمُرِینَ * قالَتْ إِنَّ الْمُلُوکَ إِذا دَخَلُوا قَرْیَهً أَفْسَدُوها وَ جَعَلُوا أَعِزَّهَ أَهْلِها أَذِلَّهً وَ کَذلِکَ یَفْعَلُونَ * وَ إِنِّی مُرْسِلَهٌ إِلَیْهِمْ بِهَدِیَّهٍ فَناظِرَهٌ بِمَ یَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمّا جاءَ سُلَیْمانَ قالَ أَ تُمِدُّونَنِ بِمالٍ فَما آتانِیَ اللّهُ خَیْرٌ مِمّا آتاکُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِیَّتِکُمْ تَفْرَحُونَ * اِرْجِعْ إِلَیْهِمْ فَلَنَأْتِیَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّهً وَ هُمْ صاغِرُونَ) ، (۴)ارجع أیها المبعوث إلیهم بهدیتهم،فأننا سنأتیهم بجنود أشداء لا طاقه لهم بقتالهم،ولنخرجنهم

۱- (۱) .الکهف:۱۳.

۲- (۲) .آل عمران:۶۲.

۳- (۳) .الأنعام:۵۷.

۴- (۴) .النمل:۲۹-۳۷ وفی سوره النمل قصص خمسه من الأنبیاء علیهم السلام تمثل ثلثی السوره تقریباً.

من بلدتهم أذلّه،وهم مهانون مدحورون أن لم يأتوا مسلمين منقادين لربّ العالمين.

إسلام بلقيس وزيارتها لسليمان عليه السلام:

حينما ردّ سليمان عليه السلام هدّيه بلقيس،أدركت أنّه نبى مرسل من الله،وليس ملكاً طامعاً بالسلطه و النفوذ وجمع الأموال،فبادرت لإعلان إسلامها،وقبولها دعوه سليمان عليه السلام،فأقبلت إليه مع حرسها،معظّمه سليمان،متابعه له فى الإسلام،فأعلن سليمان بهجته وسروره بقدوم بلقيس وأشراف قومها،ثمّ بادر إلى الاستعانه بالجنّ لرفده بأخبارهم وأحوال وفدهم.وكان إحضار سريرها من اليمن إلى بلاد الشام معجزه نبويه باهره،تدل على صدق نبوه سليمان عليه السلام،وتأييد الله له،ممّا أدهش بلقيس وتأكدت مصداقيه النبوه،وصحه الموقف الذى اتخذته،قال الله تعالى واصفاً هذا الحدث العظيم فى تاريخ الدعوات إلى الله تعالى: (قالَ يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ * قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِکَ وَ إِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْکَ طَرْفُکَ فَلَمّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قالَ نَكِّرُوا لَها عَرْشَها نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ * فَلَمّا جاءَتْ قِيلَ أَ هكَذا عَرْشُكِ قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَ أُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وَ كُنّا مُسْلِمِينَ * وَ صَدَّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِى الصَّرْحَ فَلَمّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّهً وَ كَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها قالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ قالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) ، (۱)هكذا استغاثت أوّلاً بربّها بالاعتراف بالظلم؛إذ لم تعبد الله من بدء أو من حين رأت هذه الآيات،ثمّ شهدت بالإسلام لله مع سليمان.

ونلاحظ فى قوله تعالى: (وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلّهِ) , التفات بالنسبه إليه تعالى من الخطاب إلى الغيبه ووجه الانتقال من إجمال الإيمان بالله.إذ قالت:

۱- (۱) .النمل:۳۸-۴۴.

(رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی) ،إلی التوحید الصریح فإنها تشهد أنّ إسلامها لله مع سلیمان،فهو علی نهج إسلام سلیمان و هو التوحید،ثمّ تؤکد التصریح بتوصیفه تعالی برب العالمین،فلا رب غیره تعالی لشیء من العالمین،و هو توحید الربوبیه المستلزم لتوحید العباده الذی لا یقول به مشرک. (۱)

والذی یلفت النظر فی هذه القصّه وغیرها من القصص القرآنی أنها احتوت علی کثیر من الدروس،والمفاهیم،والعلوم،والعبر،وهی أعمق تأثیراً وأدعی للإستجابه و الإذعان،فهی بذلک أحسن القصص قال تعالی: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَیْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَیْنا إِلَیْکَ هذَا الْقُرْآنَ...) ، (۲)ولذلک حدثت محاولات کثیره للقضاء علی القصص القرآنی،وإبعاد الناس عن الاستماع إلیه،ومن تلک المحاولات....

خامساً:الاستهزاء بالقصص القرآنی

کان البعض یحاول حرف الناس عن القصص القرآنی،بأتباع أسلوب الاستهزاء بالقصص القرآنی،فنزل قوله تعالی: (وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِیثِ لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ یَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ) ، (۳)وقال بعض المفسّرین:

أنّ الآیه نزلت فی النظر بن الحارث،فقد کان تاجر یسافر إلی إیران،وکان یحدث قریش بقصص الإیرانیین وأحادیثهم،وکان یقول:إذا کان محمد یحدثکم بقصص عاد وثمود فإنی أحدثکم بقصص رستم،وأسفندیار،وأخبار کسری،وسلاطین العجم،فکانوا یجتمعون حوله ویترکون استماع القرآن،ف (لَهْوَ الْحَدِیثِ) قد یکون المراد منه القصص الخرافیه و الأساطیر التی تؤدّی إلی انحراف الناس عن الصراط المستقیم. (۴)

۱- (۱) .المیزان فی تفسیر القرآن:۳۶۷/۱۵؛التفسیر الوسیط:۱۸۷۳/۲-۱۸۷۶.

۲- (۲) .یوسف:۳.

۳- (۳) .لقمان:۶.

۴- (۴) .تفسیر الأمثل:۱۳/۱۳.

بهذا الأسلوب كان يستهزئ بقصص القرآن ولكن سرعان ما تبددت جهودهم وخاب سعيهم وكانت العاقبه للمتقين.

وفی نهایه المطاف لا بدّ من قول أن الذی یعْتَبِر فی القصص هم أصحاب العقول و البصائر،وفی هذا قال تعالی: (لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ) . (۱)

فهی مرآه یستطیعون من خلالها أن یروا عوامل النصر و الهزیمه،الهناء و الحرمان،السعاده و الشقاء،العز و الذله،والخلاصه کل ما له قیمه فی حیاه الإنسان،وما لیس له قیمه.

وهی مرآه لکل تجارب المجتمعات السابقه و الرجال العظام،ومرآه نشاهد فیها ذلک العمر القصیر للإنسان کیف یطول بمقدار عمر کلّ البشر،ولکن أولی الألباب وذوی البصائر فقط باستطاعتهم أن یشاهدوا العبر فی صفحه المرآه العجیبه هذه. (۲)

ب)التاریخ

اشاره

فی کثیر من الأحیان یستخدم الأنبیاء علیهم السلام أسلوب التذکیر و الدعوه إلی النظر فی التاریخ،وضروره التسلح بمنظار تاریخی،یکشف القوانین الاجتماعیه التی وضعها الله للحیاه،ومنها أن الحقّ ینتصر،وأن رسالات الله ما هی إلّا توضیحات لتلک السنن،فیدعوهم للإیمان علی هذا الأساس وبهذا الأسلوب لیفکّروا ویتأملوا ویقتنعوا،فیهتدی بها المتقون،ویتخذون منها،عبراً نافعه لأنفسهم.

ولذلک یذکرنا القرآن الکریم بهذه الحقائق علی هذا الأسلوب فیقول تعالی: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِکُمْ سُنَنٌ فَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُکَذِّبِینَ * هذا بَیانٌ لِلنّاسِ وَ هُدیً وَ مَوْعِظَهٌ لِلْمُتَّقِینَ) . (۳)

۱- (۱) .یوسف:۱۱۱.

۲- (۲) .تفسیر الأمثل:۳۲۰/۷.

۳- (۳) .آل عمران:۱۳۷ و۱۳۸.

السُّنَنُ جمع:سنّه،وهی:الطریقه المجعوله لیقتدی بها،ومن ذلک سنّه رسول الله صلّی الله علیه و آله قال سلیمان بن قبه:

أن الأولی بالطف من آل هاشم تأسوا فسنّوا للکرام التأسیا

وأصل السنه:الاستمرار فی جهه،یقال:سنّ الماء إذا صبّه.والسنان لاستمرار الطعن به،والسنن استمرار الطریقه و العاقبه). (۱)

النظر فی تاریخ الماضین وآثارهم

یعتبر القرآن الکریم ربط الماضی بالحاضر،والحاضر بالماضی أمر ضروری لفهم الحقائق؛لأنّ الارتباط بین هذین الزمانین-الماضی و الحاضر-یکشف عن مسؤولیه الأجیال القادمه،ویوقفها علی واجبها،ولهذا قال سبحانه: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِکُمْ سُنَنٌ فَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُروا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُکَذِّبِینَ) ؛وذلک لأنّ للتاریخ أهمیه حیویه عند کل أمّه من الأمم؛لأن التاریخ یعکس الخصوصیات الأخلاقیه و الأعمال الصالحه وغیر الصالحه،والأفکار التی کانت سائده فی الأجیال السابقه،کما یکشف عن علل سقوط المجتمعات أو سعادتها،ونجاحها و فشلها فی العصور الغابره المختلفه.

ومجمل القول:أن التاریخ مرآه الحیاه الروحیه و المعنویه للمجتمعات البشریه،و هو لذلک خیر مرشد محذر للأجیال القادمه.

ولهذا نجد القرآن الکریم یدعو المسلمین إلی السیر فی الأرض،والنظر بإمعان وتدبر فی آثار الأمم و الشعوب التی سادت ثمّ بادت؛إذ یقول: (فَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُروا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُکَذِّبِینَ) ،إنّ آثار الماضی خیر عبره للقادمین،وبالنظر فیها والاعتبار بها یمکن للناس أن یعرفوا المسیر الصحیح للسلوک و الحیاه.

إنّ الآثار المتبقیه فی مختلف بلدان العالم من الأمم و العهود السابقه ما هی-فی الحقیقه-إلّا وثائق التاریخ الحیه و الناطقه،بل هی قادره علی أن تُعطینا

۱- (۱) .تفسیر مجمع البیان:۸۴۱/۲.

من الحقائق و الأسرار أكثر ممّا يعطينا التاريخ المدوّن.

أجل،إنّ خرائب قصور الطغاه وبقايا آثار عظيمه مثل الأهرام،وبرج بابل،وقصور كسرى،وآثار الحضاره المندثره لقوم سبأ،ومئات من نظائرها الأخرى من هذه الآثار المنتشره فی شتی أنحاء هذا الكوكب تنطوی-رغم صمتها-علی ألف حديث وحديث،وألف كلمه و كلمه.

ولقد لخصّ أحد الأدباء هذه الحقيقه فی بيت شعری؛إذ قال:

إنّ آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلی الآثار

إنّ مطالعه سطر واحد من هذه التواريخ الحيه الناطقه تعادل-فی الحقيقه-مطالعه كتاب ضخم فی مجال التاريخ،و أنّ ما تبعثه تلك المطالعه فی النفس و الروح البشريه لا يقاس به شیء مهما عظم أمره؛ذلك لأننا عندما نقف أمام آثار الماضين تتمثل أمامنا تلك الآثار،وكأنّها قد استعادت حياتها،ودبّ فيها الروح،وكأنّ العظام النخره قد خرجت من تحت الأرض حيه،وكأن كلّ شیء قد عاد إلی سيرته الأولی،وكأنّ جميع الأشياء تنطق وتتحدّث،ثمّ إذا أعدنا النظر وجدناها صامته ميته منسيه،و هذه المقايسه بين هاتين الحالتين ترينا غباء أولئك المستبدون الذين يرتكبون آلاف الجرائم،وأفظع الجنايات للوصول إلی الشهوات العابره،واللذائذ الخاطفه.

ولهذا يحثّ ا لقرآن المسلمين علی السير فی الأرض،والنظر إلی آثار الماضين المدفونه تحت التراب أو الباقيه تحت الأرض بأمّ أعينهم،وأن يتخذوا من كلّ ذلك العظه و العبره وما أكثر العبر.

و هذا هو ما يسميه القرآن الكريم بالسير فی الأرض،والذی تأمر به الآيات العديده ومن ذلك قوله تعالی: (قُلْ سِيرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الْمُجْرِمِينَ) ، (١)وقوله

١- (١) .النمل:۶٩.

تعالى: (أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَتَکُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ یَعْقِلُونَ بِها) ، (۱)وقوله تعالى: (قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) ، (۲)وغیرها من الآیات الشریفه.

إنّ هذه الآیه تقول بأنّ السیر فی الأرض و النظر فی آثار الماضین یفتح العقول و العیون،وینیر القلوب و الأفئده،ویخلص الإنسان من الجمود و الرکود.

و قد أشار الإمام علی أمیر المؤمنین علیه السلام إلى هذه الحقیقه فی کلمات وخطب عدیده منها قوله علیه السلام:

فاعتبروا بما أصاب الأمم المستکبرین من قبلکم من بأس الله وصولاته،ووقائعه ومثلاته واتعظوا بمثاوی خدودهم،ومصارع جنوبهم واستعیذوا بالله من لواقع الکبر کما تستعیذونه من طوارق الدهر....

واحذروا!ما نزل بالأمم قبلکم من المثلات بسوء الأفعال،وذمیم الأعمال،فتذکروا فی الخیر و الشر أحوالهم،واحذروا!أن تکونوا أمثالهم فإذا تفکرتم فی تفاوت حالیهم فألزموا کل أمر لزمت العزّه به شأنهم وزاحت الأعداء لهم عنهم،ومدت العافیه به علیهم،وانقادت النعمه له معهم،ووصلت الکرامه علیه حبلهم من الأجتناب للفرقه و اللزوم للمآلفه و التحاض علیها،والتواصی بها،واجتنبوا کلّ أمر کسر فقرتهم وأوهن منتهم،من تضاغن القلوب،وتشاحن الصدور وتدابر النفوس،وتخاذل الأیدی.... (۳)

ومن کلّ هذا نعرف أن القرآن الکریم یضع التاریخ فی موضعه التربوی الذی یستطیع الإنسان من خلاله أن یعرف الأسس التی کانت ترتکز علیها حرکته،والقوانین الطبیعیه التی تحکم أحداثه وظواهره فی المحاولات الاجتماعیه و السیاسیه و الحربیه....وبذلک لا یعود التاریخ قصّه للمتعه و اللهو وقتل أوقات الفراغ؛لأنّ الله جعل حرکته مظهراً لفکره فی مفرداته وأسلوبه وحرکته فی الواقع.

۱- (۱) .الحج:۴۶.

۲- (۲) .العنکبوت:۲۰.

۳- (۳) .نهج البلاغه:خطبه:۱۹۲؛تفسیر الأمثل:۷۰۳/۲-۷۰۶.

٧.أسلوب التمثيل و التشبيه

اشاره

إنّ أسلوب ضرب المثل و التشبيه من أهمّ الأساليب التى يتمكن المبلّغ من خلالها أن يقرب الموضوع إلى ذهن المستمع ويصّور له هدفه،فضرب المثل أسلوبا حياً من أساليب تمثل الفكره بطريقه حيه موحيه؛لأنّ الناس يتمثلون المحسوسات أكثر مما يتمثلون المعقولات،الأمر الذى يجعل تشبيه مدلول المعقول بالمحسوس سبيلاً لتقديم المعقول إلى الذهن.و هذا ما درج القرآن على استعماله فى تقديم أكثر من فكره فى أكثر من موقع،بأوضح الأساليب وأقربها إلى الوعى،بهدف إيصالها:

فما أكثر المواضيع و المفاهيم المشكله و المعقده التى لا يمكن حلها كما هو مطلوب بطول الكلام،والشرح و التوضيح،إلّا أنها تتضح للمستمع تماماً حتّى لا يبقى فيها مجال للغموض و الإبهام بمثال واحد فقط. (١)

وضرب المثل:

هو من ضرب الدارهم،و هو ذكر شيء أثره يظهر فى غيره،قال تعالى: (ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا) ، (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) ، (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ) ، (٢)والتمثيل أكثر من التشبيه؛لأن كل تمثيل تشبيه،وليس كلّ تشبيه تمثيل. (٣)

أ)الهدف من ضرب الأمثال و التشبيهات

يهدف المثل القرآنى إلى إيصال الإنسان إلى ساحه الخير من خلال ربطه بصور الخير،وسوق خياله إلى صور الخير فيستمرّ تحريكها مع واقعه الحى،و هو ما نجده فى الآيات الشريفه،قال تعالى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ) .... (۴)

١- (١) .البيان وفن الخطابه:٢١۴.

٢- (٢) .مفردات غريب القرآن:٢٩٥.

٣- (٣) .المصدر:۴۴٥.

۴- (۴) .العنكبوت:۴٣.

أی:هذا المثل ونظائره نجیء به لتقریب ما هو بعید عن الإفهام،ولمعرفه قبح ما هم علیه من الأوثان،وحسن معرفه الله وتوحیده: (وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ) ،المتدبرون فی حقائق الأشیاء علی ما ینبغی،فإن الأمثال و التشبیهات دلائل وطرق إلی المعانی المحتجبه لإبرازها وکشف أسرارها حیث أنها بغیر الأمثال لا تبرز ولا تظهر ولا تتصور من غیر العالم و الجهله لا یصلون إلی فهمها. (۱)

وجاء فی التفسیر:

إن الأمثال و التشبیهات،وبخاصه تشبیه المعقول بالمحسوس،فیها ذکری وعظه وعبره،وإفهام وإیقاظ للمشاعر و الضمائر،ولفت الأنظار،وشدّ الانتباه إلیه. (۲)

إذاً:فأسلوب ضرب المثل من الأسالیب العامّه التی یتداولها المبلّغون فی الإقناع،والهدایه،والإرشاد،والتوجیه للناس.

ب)أهمیه المثال فی التبلیغ وبیان الحقائق

لمعرفه أهمیه أسلوب التمثیل فی التبلیغ لا بدّ من التعرف علیه عند العقلاء،یقول الرازی:

أعلم أنّ ضرب الأمثال من الأمور المستحسنه فی العقول ویدل علیه وجوه:

أحدها:إطباق العرب و العجم علی ذلک أما العرب فذلک مشهور عندهم و قد تمثلوا بأحقر الأشیاء[فقالوا]فی التمثیل فی الذباب:أجرأ من الذباب و...،و أما العجم فیدل علیه کتاب کلیله ودمنه،وأمثاله.

وثانیها:أن ضرب الأمثال فی أنجیل عیسی علیه السلام بالأشیاء المستحقره،قال:لا تثیروا الزنابیر فتلدغکم ولا تخاطبوا السفهاء فیشتموکم،فظهر أن الله تعالی ضرب الأمثال بهذه الأشیاء الحقیره؛و أما العقل،فلأن من طبع الخیال المحاکاه و التشبه فإذا ذکر المعنی وحده أدرکه العقل ولکن مع منازعه الخیال،و إذا ذکر معه الشبه أدرکه العقل مع معاونه الخیال،ولا شک أن الثانی یکون أکمل وأیضاً فنحن نری الإنسان یذکر معنی ولا یلوح له کما ینبغی فإذا ذکر المثال اتضح

۱- (۱) .الجدید فی تفسیر القرآن:۳۳۲/۵.

۲- (۲) .المنیر:۲۴۷/۱۳.

وصار مبيناً مکشوفاً،و إن کان التمثیل یفیـد زیاده البیان و الوضوح،وجب ذکره فی الکتاب الذی لا یراد منه إلّا الإیضاح و البیان. (۱)

وجاء فی التفسیر:

إنّ الأمثله المناسبه لها دور حساس:وعظیم فی التوضیح والاقتناع و الإفهام.المثال المناسب قد یقرب طریق الفهم إلی الأذهان بحیث نستعیض به عن الاقتحام فی الاستدلالات الفلسفیه المعقده،وأهم من ذلک،نحن لا نستطیع أن نستغنی عن الأمثله المناسبه فی تعمیم ونشر الموضوعات العلمیه الصعبه بین عامه الناس،ولا یمکننا أن ننکر دور المثال فی إسکات الأفراد المعاندین اللجوجین المتعنتین.

علی کلّ حال،تشبیه المعقول ب-المحسوس أحد الطرق المؤثره فی تفهیم المسائل العقلیه،علی أن یکون المثال مناسباً،وإلّا،فهو مضلّ وخطر. (۲)

قد أشکل علی ضرب الأمثال فی القرآن الکریم بالأمور البسیطه:

قال الکافرون کیف یضرب خالق الأرض و السموات الأمثال بالهوام و الحشرات،کالبعوض و الذباب و العنکبوت؟ (۳)

والرد یأتی من نفس القرآن الکریم،بقوله تعالی: (وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما یَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ) . (۴)

فأهمیه المثال وظرافته لا تکمن فی کبره وصغره،بل تظهر أهمیته فی انطباق المثال علی المقصود،فقد یکون صغر الشیء الممثل به أکبر نقطه فی قوته. (۵)

فلیس الکبیر أولی بأن یضرب مثلاً کالفیل و البعیر،إذا کان الألیق بحال الممثل له تمثیله بالحقیر کالذباب و العنکبوت.

فإذا کان المراد تقبیح عباده الکفره للأصنام وعدولهم عن عباده الرحمن

۱- (۱) .التفسیر الکبیر:۳۶۲/۱ و۳۶۳.

۲- (۲) .تفسیر الأمثل:۱۳۷/۱.

۳- (۳) .التفسیر الکبیر:۵۸/۹.

۴- (۴) .العنکبوت:۴۳.

۵- (۵) .تفسیر الأمثل:۳۹۷/۱۲.

صلح أن يضرب المثل بالذباب فى عدم اقتدارهم على دفع المضرّه عنهم،وفى بيت العنكبوت فى وهن عقائدهم الباطله،وضعف أصولهم الفاسده وفى هذا المقام كلما كان المضروب به المثل أضعف كان المثل أقوى وأحكم. (۱)

ولكن تلك الأمثال التى ضربها الحق تعالى للناس تحتاج إلى فكر يتعرف طبيعتها،والى عقل يكتشف آفاقها،لتتسع الفكره فى وعى الإنسان،ليرتفع إلى مواطن السمو فى رحاب العقيده الصافيه، (وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ) ،الذين يبتعدون عن الفهم السطحى الساذج للقضايا،وينفذون إلى عمقها،فيفهمون منها مالا يفهمه العامه من الناس،الذين يأخذون منها شيئاً ويأخذ أهل العلم منها أشياء كثيره.

و هذه حقيقه بلاغيه من أساليب التعبير الفنى فى اللغه العربيه،فإن كل شخص يأخذ المعنى من الخصائص التى تتصل بدائره ثقافته:

فالأمثال المضروبه فى القرآن الكريم عامه تقرع أسماع عامه الناس،لكن الإشراف على حقيقه معانيها ولب مقاصدها خاصه لأهل العلم ممن يعقل حقائق الأمور ولا يتجمد على ظواهرها و الدليل على هذا المعنى قوله تعالى: (وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ) دون أن يقول:وما يؤمن بها أو ما فى معناه. (۲)

ج)من أمثال القرآن

اعتمد القرآن الكريم فى كثير من الحالات-لتقريب الحقائق إلى الأذهان وخصوصاً المعنويه-على أسلوب التمثيل و التشبيه،وذلك التمثيل و التشبيه المقصود بشىء محسوس ومقبول لدى المستمعين،فمثلاً- حينما أراد تعالى أن يبين حاله أفول الإنسان وسيره نحو الموت مثّل له وشبّهه بحياه النبات،فقال تعالى: (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياهِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَ كانَ

۱- (۱) .تفسير ملاّ صدرا:۱۹۵/۲.

۲- (۲) .الميزان فى تفسير القرآن:۱۳۲/۱۶.

اَللّهُ عَلى كُلِّ شَیْ ءٍ مُقْتَدِراً) ، (۱)فهذا المثل القرآنی:

«ضُرِب لتمثیل الحیاه الدنیا بما یقارنها من الزینه السریعه الزوال».

والهشیم فعیل بمعنی مفعول من الهشم،و هو علی ما قال الراغب کسر الشیء الرخوه کالنبات،وذرا یذرو ذرواً أی فرق،وقیل:أی جاء به وذهب.

والمعنی:واضرب لهؤلاء المتولّهین بزینه الدنیا المعرضین عن ذکر ربهم مثل الحیاه الدنیا کماء أنزلناه من السماء و هو المطر فاختلط به نبات الأرض فرف نضاره وبهجه،وظهر بأجمل حلیه،فصار بعد ذلک هشیماً مکسراً متقطعاً تعبث به الریاح تفرقه وتجی به وتذهب وکان الله علی کل شیء مقتدراً. (۲)

نعم فهکذا یصور القرآن حیاه الإنسان ویشبهها بحیاه النبات؛فإن دوره حیاه النّبات وموته تتکرّر أمام أعیننا فی کل سنه مرّه،فإذا کان عمر الإنسان(۶۰)سنه،فإن هذا المشهد یتکرّر(۶۰)مره.

فلو ذهبنا فی الربیع إلی البساتین و المزارع نشاهد تلک المناظر الجمیله التی یدل کل ما فیها علی الحیاه،ولکن لو ذهبنا فی الخریف إلی نفس تلک الأماکن فسوف نری الموت قد نشب أظفاره فی کلّ مکان،وهکذا مثل حیاه الإنسان،کما مثلها وشبهها القرآن الکریم من أجل توضیح الصوره،وتحویلها فی وعی الإنسان إلی حاله حسیه وجدانیه،وذلک خلال تحریک تفاصیل الفکره مع حرکه تفاصیل الصوره فی الواقع الخارجی.

وهکذا لما أراد المولی سبحانه وتعالی أن یشجّع الناس ویحفزهم علی الإنفاق فی سبیل الله،وأراد أن یبین لهم ما فی هذا الأنفاق من برکه ونماء،وشبه لهم ذلک بحبه الحنطه التی یزرعها الفلاح فتنبت سبع سنابل،وکلّ سنبله تحتوی علی مائه حبه أو أکثر،أی:أنّ الحبّه الواحده تضاعفت إلی(۷۰۰)حبه،قال تعالی: (مَثَلُ الَّذِینَ یُنْفِقُونَ

۱- (۱) .الکهف:۴۵.

۲- (۲) .المیزان فی تفسیر القرآن:۳۱۸/۱۳.

أَمْوالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ کَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِی کُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ وَ اللّهُ یُضاعِفُ لِمَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ) . (۱)

وکذلک نبینا الأکرم صلّی الله علیه و آله حینما أراد أن یبین للناس موقع أهل بیته علیهم السلام من الدین،والهدایه إلی الحقّ شبههم بسفینه نوح علیه السلام التی انحصرت النجاه فیها یؤمئذ،فقال صلّی الله علیه و آله:

>>مثل أهل بیتی مثل سفینه نوح من رکبها نجا ومن تخلف عنها غرق». (۲)

وهکذا فی الحدیث المروی عن ابن مسعود قال:

خط النبی صلّی الله علیه و آله خطاً مربعاً،وخط خطاً فی الوسط خارجاً منه،وخط خططاً صغاراً إلی هذا الذی فی الوسط من جانبه الذی فی الوسط وقال صلّی الله علیه و آله:>>هذا الإنسان،و هذا أجله محیط به-أو قد أحاط به-و هذا الذی هو خارج أمله،و هذه الخطط الصغار الأعراض فأن أخطأه هذا نهشه هذا وأن أخطأه هذا نهشه هذا». (۳)

وکذلک قوله صلّی الله علیه و آله فی مجال التربیه:

>>مثل المؤمنین فی توادهم وتراحمهم وتعاطفهم کمثل الجسد إذا اشتکی منه عضو تداعی له سائر الجسد بالسهر و الحمی». (۴)

فیکشف هذا التمثیل عن أسمی درجات الارتباط و التعاضد فی المجتمع الإسلامی.

۸.أسلوب المقارنه و المقایسه

اشاره

أسلوب المقارنه و المقایسه من أهمّ الأسالیب التوضیحیه الأقناعیه،التی تکشف عن الحقیقه وتبین القیم،ولذلک ینبغی للمبلّغ أن یتسلح به،فإذا أراد أن یذکر شیء أو شخص أو حاله معینه-ینبغی-أن یذکر(ضدّه)حتی یتبین الحسن من القبیح،والخیر من الشر،والحق من الباطل....

ص:۲۰۶

۱- (۱) .البقره:۲۶۱.

۲- (۲) .الحدائق الناظره:۳۶۰/۹.

۳- (۳) .صحیح البخاری:۱۷۱/۷.

۴- (۴) .صحیح مسلم:۲۰/۸.

فالمقارنه هی اجتماع شیئین فی معنی معین وتمییز الفرق بینهما،قال الراغب:

قرن:الاقتران کالازدواج فی کونه اجتماع شیئین أو أشیاء فی معنی من المعانی،قال تعالی: (أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِکَهُ مُقْتَرِنِینَ) ، (۱)یقال قرنت البعیر بالبعیر جمعت بینهما. (۲)

أو کما جاء فی تاج العروس:

قارن الشیء مقارنه وقرآناً:أقترن به وصاحبه،وقارنته قراناً صاحبته. (۳)

فالمقارنه إذاً هی:أجراء موازنه بین شیئین أو شخصین أو أشیاء أو أشخاصّ.

کما جاء فی المعجم الوسیط:

قارن الشیء بالشی:وازن به،وقارن بین الشیئین أو الأشیاء وازن بینها ویقال الأدب المقارن أو التشریع المقارن وهی محدثه. (۴)

وفی عصرنا الحاضر أصبح أسلوب المقارنه من الأسالیب المتبعه لمعرفه الأفضل من الأشیاء و الأشخاص و الفنون و العلوم.

فالأشیاء تعرف بنظائرها،وتتمیز بأضدادها،قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

<<وأعلموا أنکم لن تعرفوا الرشد حتی تعرفوا الذی ترکه،ولن تأخذوا بمیثاق الکتاب حتی تعرفوا الذی نقضّه،ولن تمسکوا به حتی تعرفوا الذی نبذه». (۵)

فیمکن من خلال استخدام أسلوب المقارنه فی جمیع القضایا الدینیه والاجتماعیه،والاقتصادیه،والثقافیه،وغیرها-فمثلاً عندما یذکر العدل وحسنه یذکر مقابله الجور وقبحه،وعندما یذکر فوائد ومحاسن الصدق و الأمانه و الوفاء یذکر مقابله أضرار ومساوئ الکذب و الخیانه و الغدر،وعندما یرید أن یدافع عن أحد ویحمده یذکر

ص:۲۰۷

۱- (۱) .الزخرف:۵۳.
۲- (۲) .مفردات الراغب القرآن:۴۰۱.
۳- (۳) .تاج العروس:۴۵۰/۱۸.
۴- (۴) .المعجم الوسیط:۷۳۰.
۵- (۵) .نهج البلاغه،خطبه ۱۴۷.

محاسنه،ثمّ يذكر مقابله مساوئ أعدائه،و إذا أراد أن يرغّب في العمل الصالح فمن المستحسن أن يذكر نتيجه ذلك العمل وعاقبته،ثمّ يذكر ما يقابله،و قد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب مراراً وتكراراً في آيات عديده.

منها قوله تعالى: (فَأَمّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى * وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى * وَ أَمّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنى * وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى) . (۱)

وقوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ * وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ) ، (۲)وكذلك قوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَ النُّورُ) (۳)وقوله تعالى: (أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ) . (۴)

المقارنه الواعيه بين الماضي و الحاضر

بإمكان المبلّغ أن يوصل رسالته و الفكره التي يحملها من خلال المقارنه بين الماضي و الحاضر،كأن يقارن-مثلًا-بين حاله الناس قبل ظهور الإسلام وبعده،فيقارن بين الحياه التي كانوا يحيونها،حيث كانت علاقاتهم خاضعه للعوامل الذاتيه المنطلقه من المصالح و الأنانيات و النوازع الشريره،التي تؤدّي بالإنسان إلى أن يعيش روح العداوه و البغضاء تجاه إخوانه إذا اصطدمت مصالحه بمصالحهم،أو مشاعره بمشاعرهم،فيتحرّك نحو التقاتل و التباغض،و....وبين الحياه التي يعيشونها بعد الإسلام،حيث بدئوا يشعرون بالرابطه الوثيقه التي تحكم علاقاتهم الروحيه والاجتماعيه من خلال العقيده الواحده و المصالح المشتركه،والهدف الواحد،والمسيره الواحده،و هذا ما بينه القرآن الكريم بقوله تعالى: (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ

۱- (۱) .الليل:۵-۱۰.

۲- (۲) .الزلزله:۷ و۸.

۳- (۳) .الرعد:۱۶.

۴- (۴) .يوسف:۳۹.

عَلَيْكَمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْـداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكَمْ فَأَصْـبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَـفا حُفْرَهٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَـذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) . (١)

قال المفسّرون: (فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) :

أى فى عصـر جاهليتكم حيث كان الغزو و القتل و السـلب و النزاع الدائم فجمع قلوبكم على ما أنعم به عليكم من الإسلام وعلى نـبى الرحمه و المحبه محمـد صـلّى الله عليه و آله: (فَأَصْـبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوانـاً) ؛إذ جمع الله بينكم بالأـخوه فيه، (وَ كُنْتُمْ عَلى شَـفا حُفْرَهٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَـذَكُمْ مِنْها) (٢)فى جـاهليتكم التى كـانت تؤدى بكم إلى النار لولا تخليص الله لكم منها بأن منّ عليكم بـدينه ونبيه وكتابه: (كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ، (٣)أى:مثل[هـذه المقارنه و المقايسه و]هذا البيان الذى تلاه عليكم فهو يظهر لكم الدلائل و الحجج الساطعه حتى تهتدوا إلى طريق الحق و الثواب. (۴)

وقال الشيخ الطوسى:

معنـاه مـا كـان بين الأـوس و الخزرج من الحروب الـتى تطـاولت مـائه وعشـرين سـنه إلى أن ألـف بين قلـوبهم بالإسـلام،وزالت الأحقاد. (۵)

إذاً:فالآـيه الكريمه تـدعوا الواعين من الأـمّه إلى الـدخول فى عمليه مقـارنه واعيه بين علاقات الماضـى و الحاضـر،ليعرفوا النتائج الإيجابيه و السلبيه،فيعمقّوا الإيجابيات التى تفرضها العلاقات الجديده،ويخففوا السلبيات المتحركه فى حياتهم من خلال علاقات الماضـى....هذا ما أراده الله تعالى للأمّه أن تعيه جيداً لتفهم أن الحاله الماضيه كانت تضع المجتمع على حافه الهاويه التى تشتعل وتتأجج بالنار التى

١- (١) .آل عمران:١٠٣.

٢- (٢) .آل عمران:١٠٣.

٣- (٣) .آل عمران:١٠٣.

۴- (۴) .إرشاد الأذهان فى تفسير القرآن:۶٨/١.

۵- (۵) .التبيان فى تفسير القرآن:۵۴۶/٢.

تحرقهم فی الـدنیا و الآخره،وأن المسـیره الجدیده فی خطه العقیده الجدیده تعتبر عملیه إنقاذ من ذلک کله،لیعیش الناس روحیه الأخوه فی علاقاتهم،والسعاده فی مصیرهم وآخرتهم.

وجـاء فی معنی قوله تعـالی: (وَ الَّذِینَ هـاجَرُوا فِی اللّهِ مِنْ بَعْـدِ مـا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِی الـدُّنْیا حَسَـنَهً وَ لَأَجْرُ الْـآخِرَهِ أَکْبَرُ لَوْ کـانُوا یَعْلَمُونَ) . (۱)

إنّ القرآن الکریم یسـتخدم أسـلوب المقایسه و المقارنه کأهمّ أسـلوب للتربیه و التوجیه،فما یرید الله أن یعرضه للناس یطرح معه ما یقابله لتتشخص الفروق ویستوعب الناس معناه بشکل أکثر وضوحاً.

فنری فی الآیات السابقه الحـدیث عن المشـرکین ومنکری یوم القیامه فی قوله تعالی: (وَ أَقْسَـمُوا بِاللّهِ جَهْـدَ أَیْمانِهِمْ لا یَبْعَثُ اللّهُ مَـنْ یَمُـوتُ بَلی وَعْـداً عَلَیْهِ حَقًّا وَ لکِنَّ أَکْـثَرَ النّـاسِ لاـ یَعْلَمُـونَ) ، (۲)وینقـل الحـدیث فی الآیـات مورد البحث إلی المهاجرین المخلصین،لیقارن بین المجموعتین ویبین طبیعتهما.

فیقول تعالی: (وَ الَّذِینَ هاجَرُوا فِی اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِی الدُّنْیا حَسَنَهً وَ لَأَجْرُ الْآخِرَهِ أَکْبَرُ لَوْ کانُوا یَعْلَمُونَ) . (۳)

وکذلک فی قوله تعالی: (إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّکْرَ وَ خَشِیَ الرَّحْمنَ بِالْغَیْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَهٍ وَ أَجْرٍ کَرِیمٍ) . (۴)

کان الحـدیث فی الآیات السابقه عن مجموعه لا تملک أی اسـتعداد لتقبل الإنـذارات الإلهیه ویتساوی عندهم الإنذار وعدمه،أما هـذه الآیـات فتتحـدث عن فئه أخری هی علی النقیض من تلـک الفئه،وذلک لکی یتضـح المطلب بالمقارنه بین الفئتین کما هو أسلوب القرآن. (۵)

۱- (۱) .النحل:۴۱.

۲- (۲) .النحل:۳۸.

۳- (۳) .تفسیر الأمثل:۱۹۳/۸.

۴- (۴) .یس:۱۱.

۵- (۵) .تفسیر الأمثل:۱۴۰/۱۴.

وفی قوله تعالی: (هـذا ذِکْرٌ وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِینَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنّاتِ عَـدْنٍ مُفَتَّحَهً لَهُمُ الْأَبْوابُ * مُتَّکِئِینَ فِیها یَدْعُونَ فِیها بِفاکِهَهٍ کَثِیرَهٍ وَ شَرابٍ * وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ * هذا ما تُوعَدُونَ لِیَوْمِ الْحِسابِ * إِنَّ هذا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ) : (۱)

آیات هـذه السوره انتقلت بنا إلی شـکل آخر من الحـدیث؛إذ أخذت تقارن بین المتقین و العصاه المتجبّرین،وتشـرح مصـیر کل منها یوم القیامه.... (۲)

ثمّ یقول تعالی: (هذا وَ إِنَّ لِلطّاغِینَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ یَصْـلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ * هذا فَلْیَذُوقُوهُ حَمِیمٌ وَ غَسّاقٌ * وَ آخَرُ مِنْ شَـکْلِهِ أَزْواجٌ * هـذا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَکُمْ لا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صالُوا النّارِ * قالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِکُمْ أَنْتُمْ قَـدَّمْتُمُوهُ لَنا فَبِئْسَ الْقَرارُ * قالُوا رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِی النّارِ) . (۳)

الآیـات السـابقه اسـتعرضت النعم السـبعه وغیرهـا من النعم التی یغـدقها البـاری عز وجـلّ علی عباده المتقین؛أما آیات بحثنا فإنّها تسـتخدم أسـلوب المقارنه الذی کثیراً ما استخدمه القرآن الکریم،لتوضح المصیر المشئوم و العقوبات المختلفه التی ستنال الطغاه و العاصـین،وفی هذا قال تعالی: (هذا وَ إِنَّ لِلطّاغِینَ لَشَرَّ مَآبٍ *[فالمتقون لهم (حُسْنُ مَآبٍ) ولهؤلاء العاصـین الطغاه (لَشَرَّ مَآبٍ)]. (۴)

وهکـذا فی قوله تعـالی: (وَ الَّذِینَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ أَنْ یَعْبُـدُوها وَ أَنابُوا إِلَی اللّهِ لَهُمُ الْبُشْـری فَبَشِّرْ عِبادِ * اَلَّذِینَ یَسْـتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَـنَهُ أُولئِکَ الَّذِینَ هَـداهُمُ اللّهُ وَ أُولئِکَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ * أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَیْهِ کَلِمَهُ الْعَـذابِ أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِی النّارِ * لکِنِ الَّذِینَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِیَّهٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَعْدَ اللّهِ لا یُخْلِفُ اللّهُ الْمِیعادَ) . (۵)

استخدم القرآن الکریم مره أخری أسلوب المقارنه فی هذه الآیات،إذ قارن بین

۱- (۱) .ص:۴۹-۵۴.

۲- (۲) .تفسیر الأمثل:۵۳۵/۱۴.

۳- (۳) .ص:۵۵-۶۱.

۴- (۴) .تفسیر الأمثل:۵۴۳/۴.

۵- (۵) .الزمر:۱۷-۲۰.

عباد الله الحقيقيين و المشركين المعاندين الذين لا مصير لهم سوى نار جهنم. (۱)

فالهـدف هو إثاره هـذا النموذج-أصـحاب النار-فی مقابل النموذج الآخر،و هو-عباد الله-الآمن الذی اسـتطاع بتقواه أن يدفع عن نفسه العـذاب بعمله المتحرک فی خـط إيمـانه،ليعيش الإنسـان-دائماً-فی هاجس المقارنه بين هؤلاء وهؤلاء،کعنصـر أساس من عناصر التصوّر الواعی للمستقبل الذی يحدد للإنسان موقفه فی الحاضر.

۹.أسلوب التركيز على المسلّمات و المشتركات

اشاره

فی الحقيقه أسلوب التركيز على الحقـائق المسـلمه و النقـاط المشتركه هو من الأسـاليب المسـتمدّه من المنهـج العـام للأسـلوب الإسلامی الذی يؤکّد علی نقاط اللقاء فی رحله الوصول إلی الحقيقه،ولا يؤکّد علی نقاط الخلاف إلّا فی نهايه المطاف.

وعليه،فلا بـدّ للمبلّغين و الـدعاه إلی الله فی حرکتهم نحو الهـدف الکبير،أن يتلمسوا المجالات المتفقه و المشترکه فی العقيـده و الأسلوب و الحياه التی تربط المسلم بالآخرين وتربطهم به،لتقربهم إليه،ولتوحی لهم بأن هناک مرحله من الطريق يمکن أن تمثل وحده السبل،وذلک کفيل بإلغاء الکثير من التعقيدات،وتجميد الکثير من الحساسيات،وتقريب الکثير من الأفکار....

فيمکن للمبلّغ أن يتحرک بهـذا الأسـلوب ويمـارسه مع اختلاـف الأديـان الموجوده فی الساحه الـدينيه،واختلاف المـذاهب التی تعيش فی السـاحه الإسـلاميه،واختلاف المبادئ و الأفکار السياسـيه والاجتماعيه و الفلسـفيه فی الساحه الفکريه العامه،ليصل إلی النتائج الحاسمه بأفضل طريق وأروع أسلوب....

و قـد أمر القرآن الکريم بذلک من خلال قوله تعالی: (قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ

۱- (۱) .تفسير الأمثل:۴۷/۱۵.

دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ) ، (۱)يقول الفخر الرازى إنّ:

القرآن الكريم عدل فى هذا المقام إلى الكلام المبنى على رعايه الإنصاف،وترك المجادله،وطلب الإفحام و الإلزام،ومما يدل عليه،أنه خاطبهم هاهنا بقوله تعالى: (يا أَهْلَ الْكِتابِ) و هذا الاسم من أحسن الأسماء وأكمل الألقاب،حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله،ونظيره،ما يقال لحافظ القرآن يا حامل كتاب الله،وللمفسر يا مفسر كلام الله،فأن هذا اللقب يدلّ على أنّ قائله أراد المبالغه فى تعظيم المخاطب وفى تطييب قلبه؛وذلك إنّما يقال عند نزول الإنسان مع خصمه عن طريقه اللجاجه إلى طريقه طلب الأنصاف.

أما قوله تعالى: (إِلى كَلِمَهٍ سَواءٍ بَيْنَنا) فالمعنى:هلموا إلى كلمه فيها إنصاف من بعضنا البعض،لا ميل فيه لأحد على صاحبه،والسواء هو العدل و الإنصاف؛وذلك لأن حقيقه الإنصاف،إعطاء النصف،فأن الواجب فى العقول ترك الظلم على النفس وعلى الغير،وذلك لا يحصل إلّا بإعطاء النصف،فإذا أنصف وترك ظلمه أعطاه النصف فقد سوى بين نفسه وبين غيره وحصل الاعتدال،و إذا ظلم وأخذ أكثر مما أعطى زال الاعتدال فلما كان من لوازم العدل و الأنصاف التسويه جعل لفظ التسويه عباره عن العدل.

ثمّ قال الزجاج: (سَواءٍ) نعت للكلمه يريد:ذات سواء،فعلى هذا قوله (كَلِمَهٍ سَواءٍ) ،أى:كلمه عادله مستقيمه مستويه،فإذا آمنا بها نحن وأنتم كنا على السواء والاستقامه. (۲)

فالمبلغ هنا يتّجه:

إلى النقاط المشتركه بين الإسلام وأهل الكتاب،وبهذا يعلمنا القرآن درساً،مفاده:أنكم إذا لم توفقوا فى حمل الآخرين على التعاون معكم فى جميع أهدافكم،فلا ينبغى أن يقعد بكم اليأس عن العمل،بل اسعوا لإقناعهم بالتعاون معكم فى تحقيق الأهداف المشتركه بينكم،كقاعده للانطلاق إلى تحقيق سائر

۱- (۱) .آل عمران:۶۴.

۲- (۲) .التفسير الكبير:۲۵۱/۳ و۲۵۲.

أهدافکم المقدسه (قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَهٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً) .

والملفت للنظر أن الآیه الشریفه تؤکد موضوع التوحید فی ثلاث تعابیر مختلفه،فأولاً ذکرت (أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ) ،وفی الجمله الثانیه (وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً) ،وفی المره الثالثه قالت: (وَ لا یَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ) . (۱)

فهی تدعو إلی اللقاء علی قاعده وأرضیه فکریه عقیدیه مشترکه نلتزمها معاً،وعلی أساس واقعی للتفاهم،وعلی وحده المبدأ من دون الدخول فی التفاصیل التی تثیر النزاع فی الجزئیات هنا وهناک؛لأنّ القضایا المسلّمه لدی کلّ فریق یمکن أن تتدخل لتحسم الخلاف فی القضایا المتنازع فیها،فهی تدعونا إلی (إِلی کَلِمَهٍ سَواءٍ بَیْنَنا) ،فنحن نؤمن بالوحدانیه کما تؤمنون،وبذلک نلتقی معاً فی نطاق عباده الله الواحد فلا نشرک فی العقیده ولا نشرک فی العباده.

قال تعالی: (وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْکِتابِ إِلاّ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَ قُولُوا آمَنّا بِالَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْنا وَ أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ وَ إِلهُنا وَ إِلهُکُمْ واحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) . (۲)

وهکذا کان رسول الله صلّی الله علیه و آله فی رحله التبلیغ و الدعوه،وهکذا خاطب العالم.

رسائل النبی إلی رؤساء العالم

اشاره

لقد ورد فی التاریخ:عندما استقر الإسلام نسبیاً فی أرض الحجاز،أرسل رسول الله صلّی الله علیه و آله رسائل إلی عدد من کبار رؤساء العالم فی ذلک العصر،وفی بعض هذه الرسائل استند إلی هذه الآیه الداعیه إلی التوحید-المبدأ المشترک بین الأدیان السماویه-ولأهمیه الموضوع ندرج بعضاً من تلک الرسائل:

۱- (۱) .تفسیر الأمثل:۵۳۷/۲.

۲- (۲) .العنکبوت:۴۶.

أولاً:رساله إلى المقوقس

(۱)

بسم الله الرحمن الرحيم،من محمد بن عبد الله،إلى المقوقس عظيم القبط،سلام على من اتبع الهدى،أما بعد فإنی أدعوک بدعايه الإسلام،أسلم تسلم،يؤتک الله أجرک مرتين،فإن توليت فإنّما عليک إثم القبط: (۲)(قُلْ يـا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَهٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلّا نَعْبُدَ إِلَّا اللّهَ وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ) . (۳)

ثانياً:رساله إلى قيصر الروم

بسم الله الرحمن الرحيم،من محمّد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم،سلام على من اتبع الهدى،أما بعد،فإنی أدعوک بدعايه الإسلام،أسلم تسلم يؤتک الله أجرک مرتين،فإن توليت فإنما عليک إثم الأريسيين: (۴)(قُلْ يـا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَهٍ سَواءٍ بَيْنَنـا وَ بَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلَّا اللّهَ وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ) . (۵)

۱۰.أسلوب التدرج

اشاره

نهج القرآن الكريم و الأنبياء عليهم السلام أسلوب التدرج فی عمليه الإصلاح،والقضاء على الانحرافات و المنكرات الموجوده فی الأمه،و هو أفضل أسلوب للقضاء على تلک العادات والانحرافات المستحكمه فی المجتمعات.

والتدرج،وكما قال الراغب درج:

الدرجه نحو المنزله،لكن يقال للمنزله درجه إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد

ص:۲۱۵

۱- (۱) .المقوقس:حاكم مصر قبل هرقل ملک الروم،وكان نصرانياً.

۲- (۲) .الأقباط:أقوام كانت تقطن مصر.

۳- (۳) .مكاتيب الرسول:۹۷/۱.

۴- (۴) .الأريسيون:هم العنصر الروحی و العمال.

۵- (۵) .تاريخ مدينه دمشق:۹۳/۲.

على البسيط كدرجه السطح و السلم،ويقال:فلان يتدرّج فى كذا،أى:يتصعد فيه درجه درجه. (۱)

و هذا ما أعتمده الأنبياء عليهم السلام و القرآن الكريم،فقد:

جاءت الشريعه الإسلاميه الغرّاء محققه لمصالح الناس،متمشيه مع تطاول الزمن،صالحه لكل زمان ومكان،وكان من رحمه الله تبارك وتعالى بعباده أن سنّ لهم سنّه التدرج فى الأحكام،لتبقى النفس على أتم الاستعداد لتقبل تلك التكاليف الشرعيه،فلا تشعر بملل أو ضجر،لا تحس بمشقهٍ أو شده،ولتظلّ الشريعه الغرّاء-كما أرادها الله-شريعه سمحه سهله،ولا عسر فيها،ولا تعقيد،ولا شطط فيها،ولا إرهاق.... (۲)

وحكمه التدرج معجزه من معجزات القرآن و الإسلام،فإذا كان علماء النفس و الطب و الصحه يبنون معالجاتهم للأمراض و المشكلات متدرجين فى ذلك ومراعين استعداد الإنسان وظروفه،فالإسلام سبق العلم الحديث بما يزيد على أربعه عشر قرناً فى معالجه النفس البشريه من أمراضها.... (۳)

أمثله التدرج

اشاره

لو تتبعنا سيره الأنبياء عليهم السلام و القرآن الكريم نجد أمثله كثيره وواضحه على اعتمادهم أسلوب التدرج فى إصلاح المجتمع،ومن تلك الأمثله:

أوّلاً:مراحل بيان تحريم الخمر

إنّ الإسلام استخدم لتطبيق الكثير من أحكامه أسلوب التغيير التدريجى-فليس هناك من سبيل لتطهير المجتمع من جذور مفسده اجتماعيه،أو خلقيه متجذره فى أعماق المجتمع واقتلاعها من الجذور أفضل من هذا الأسلوب،وأجدى من

۱- (۱) .غريب مفرادت القرآن:۱۶۷.

۲- (۲) .تفسير آيات الأحكام:۱۰۹/۱.

۳- (۳) .د.بسام, الصباغ, الدعوه و الدعاه بين الواقع و الهدف:۶۰.

هذا الطریق،و هو أن یهیأ الأفراد تدریجاً،ثمّ یتم الإعلان عن الحکم النهائی. (۱)

ومن الأمور المتأصّله بالمجتمع هی شرب الخمر،لذلک عالجها القرآن تدریجاً:

ویستفاد من بعض الروایات،أنه حتی بعد تحریم الخمر فأن الإقلاع عنها کان شاقاً علی بعض المسلمین،حتی قالوا:(ما حرّم علینا شیء أشدّ من الخمر). (۲)

ومن الواضح أنّ الإسلام لو أراد أن یحارب هذا البلاء الکبیر الشامل بغیر أن یأخذ الأوضاع النفسیه والاجتماعیه بنظر الاعتبار لتعذر الأمر وشق تطبیق التحریم،لذلک اتخذ أسلوب التدرّج فی بیان واثبات الحرمه, بهدف إعداد الأفکار و الأذهان و النفوس للابتعاد عن هذه الآفه, واستئصالها من جذورها،جاء فی الکافی و التهذیب بإسنادهما عن أبی جعفر-محمد الباقر علیه السلام:

>>ما بعث الله نبیاً قط إلّا وفی علم الله أنه إذا أکمل دینه کان فیه تحریم الخمر،ولم تزل الخمر حراماً و إنّما ینقلون من خصله إلی خصله،ولو حمل ذلک علیهم حمله لقطع بهم دون الدین،قال:وقال أبو جعفر علیه السلام:لیس أحد أرفق من الله عز وجلّ،فمن رفقه تبارک وتعالی،أنه نقلهم من خصله إلی خصله،ولو حمل علیهم حمله لهلکوا». (۳)

فهی العاده التی کانت قد تأصلت فی نفوسهم،وعروقهم،ففی أول الأمر وردت إشارات فی الآیات المکیه تستقبح شرب الخمر،کما فی قوله تعالی: (وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِیلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَکَراً وَ رِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَةً لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ) . (۴)

فهنا،تعنی:الشراب المسکر الذی کانوا یستخرجونه من التَّمْر و العنب،قد وضع حیال الرزق الحسن،فاعتبره شراباً غیر طیب بخلاف الرزق الحسن،إلّا أن تلک العاده الخبیثه-عاده معاقره الخمره-کانت أعمق من أن تستأصل بهذه الإشارات،ثمّ أن

۱- (۱) .تفسیر الأمثل:۲۴۵/۳.

۲- (۲) .الدر المنثور:۳۱۵/۲.

۳- (۳) .الکافی:۳۹۵/۶.

۴- (۴) .النحل:۶۷.

الخمر كانت تؤلف جانباً من دخلهم الاقتصادی؛لذلک عندما هاجر المسلمون إلی المدینه وأسسوا أولی الحکومات الإسلامیه،نزلت آیه ثانیه أشد فی تحریم الخمر من الأولی،لکی تهیأ الأذهان أکثر إلی التحریم النهائی،تلک الآیه هی قوله تعالی: (یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَیْسِرِ قُلْ فِیهِما إِثْمٌ کَبِیرٌ وَ مَنافِعُ لِلنّاسِ وَ إِثْمُهُما أَکْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما...) ، (۱)فهاهنا إشاره إلی منافع الخمر الاقتصادیه لبعض المجتمعات،کالمجتمع الجاهلی،مصحوبه بإشاره إلی أخطارها الکبیره ومضارها التی تفوق کثیراً منافعها الاقتصادیه.

ثمّ یقول تعالی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاهَ وَ أَنْتُمْ سُکاری حَتّی تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ...) ، (۲)یأمر الله المسلمین أمراً صریحاً بأن لا یقیموا الصلاه وهم سکاری حتی یدرکوا ما یقولونه أمام الله.

واضح أن هذا لم یکن یعنی أن شرب الخمر فی غیر الصلاه جائز،بل هی مسأله التدرج فی تحریم الخمر مرحله مرحله-أی:أن هذه الآیه کأنها تلتزم الصمت ولا تقول شیئاً صراحه فی غیر مواقع الصلاه.

إنّ تقدم المسلمین فی التعرف علی أحکام الإسلام واستعدادهم الفکری لاستئصال هذه المفسده الاجتماعیه الکبیره التی کانت متعمقه فی نفوسهم،أصبحا سبباً فی نزول آیه صریحه تماماً فی تحریم الخمر حتی سدت الطریق أمام الذین کانوا یتصیدون الأعذار و المسوغات،و هذه الآیه هی موضوع البحث.وهی قوله تعالی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَیْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّیْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ) (۳)وان ما یلفت النظر أنّ تحریم الخمره یعبّر عنه فی هذه الآیه بصوره متنوعه:

۱- (۱) .البقره:۲۱۹.

۲- (۲) .النساء:۴۳.

۳- (۳) .المائده:۹۰.

۱.الآیه تبدأ بمخاطبه المؤمنین:یا أیها الذین آمنوا أی إن عدم الصدع بهذا الأمر لا ینسجم مع روح الإیمان.

۲.استعمال (إِنَّمَا) التی تعنی الحصر و التوکید.

۳.وضعت الخمر و القمار إلی جانب الأنصاب،وهی قطع أحجار لا صوره لها کانت تُتّخذ کالأصنام، (۱)للدلاله علی أنّ الخمر و القمار لا یقلان ضرراً عن عباده الأصنام،ولهذا جاء فی الحدیث الشریف أن رسول الله صلّی الله علیه و آله قال:<<شارب الخمر کعابد الوثن». (۲)

۴.الخمر،والقمار،وعباده الأصنام،والأستقسام بالأزلام(ضرب من الیانصیب)کلها قد أعتبرها القرآن رجساً وخبثاً (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَیْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ) .

فهذه الأعمال القبیحه تعدّ کلها من أعمال الشیطان،أی:من عمل الشیطان.

۵.وأخیراً یصدر الأمر القاطع الواجب الأتباع:فاجتنبوه،ولابد من التنویه بأن تعبیر فاجتنبوه،مفهوماً أبعد،إذ أن الاجتناب یعنی الابتعاد والانفصال وعدم الاقتراب،مما یکون أشد وأقطع من مجرد النهی عن شرب الخمر.

۶.وفی الختام یقول سبحانه و تعالی إنّ ذلک: (لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ) ،أی:لا فلاح لکم بغیر ذلک.

۷.وفی الآیه التالیه لها یعدد بعضاً من أضرار الخمر و القمار،التی یرید الشیطان أن یوقعها بهم: (إِنَّما یُرِیدُ الشَّیْطانُ أَنْ یُوقِعَ بَیْنَکُمُ الْعَداوَهَ وَ الْبَغْضاءَ فِی الْخَمْرِ وَ الْمَیْسِرِ وَ یَصُدَّکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللّهِ وَ عَنِ الصَّلاهِ) . (۳)

۸.وفی ختام هذه الآیه یتقدم باستفهام تقریری:فهل أنتم منتهون؟أی:بعد هذا التوکید و التوضیح،ثمه مکان لخلق المبرّرات أو للشک و التردد فی تجنب هذین الإثمین الکبیرین؟

ص:۲۱۹

۱- (۱) .تفسیر الأمثل:۱۴۱/۴.

۲- (۲) .تفسیر نور الثقلین:۶۹/۱.

۳- (۳) .المائده:۹۱.

۹.فی الآیه الثالثه التی تؤکد هذا الحکم،یأمر الله تعالی المسلمین بقوله: (وَ أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا) .ثمّ یتوعد المخالفین بالعقاب،وأن مهمّه رسول الله هی الإبلاغ: (فَإِنْ تَوَلَّیْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلی رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِینُ) (۱). (۲)

ثانیاً:تحریم الرّبا

ومن الأمثله القرآنیه الأخری الدالّه علی أسلوب التدرج هی تحریم الربا فی مراحل:

معروف أن أسلوب القرآن فی مکافحه الانحرافات الاجتماعیه المتجذره فی حیاه الناس یعتمد معالجه الأمور خطوه فخطوه،فهو أولاً ـ یهیئ الأرضیه المناسبه،ویطلع الرأی العام علی مفاسد ما یطلب محاربته ومکافحته،ثمّ بعد أن تتهیأ النفوس لتقبل التحریم النهائی یعلن عن التحریم فی صیغته الثانویه النهائیه[وینتج هذا الأسلوب خاصه إذا کان ذلک الأمر الفاسد مما استشری فی المجتمع،وکانت رقعه انتشاره واسعه.

و قد کان هذا الأمر مبعثاً للکثیر من المآسی الاجتماعیه،ولهذا استخدم القرآن فی تحریم هذه الفعله النکراء أسلوب المراحل،فحرم الربا فی مراحل أربع:

۱.یکتفی بتوجیه نصح أخلاقی حول الربا؛إذ قال تعالی: (وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ رِباً لِیَرْبُوَا فِی أَمْوالِ النّاسِ فَلا یَرْبُوا عِنْدَ اللّهِ وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ زَکاهٍ تُرِیدُونَ وَجْهَ اللّهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) . (۳)

بهذا الأسلوب یکشف عن خطأ الذین یتصورون أنّه الربا یزید من ثروتهم،فی حین أن أعطاء الزکاه و الأنفاق فی سبیل الله هو الذی یضاعف الثروه حقیقه.

۲.یشیر ضمن انتقاد عادات الیهود وتقالیدهم الخاطئه الفاسده إلی الربا کعاده سیئه من تلک العادات؛إذ یقول تعالی: (وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَکْلِهِمْ أَمْوالَ

۱- (۱) .المائده:۹۲.

۲- (۲) .تفسیر الأمثل:۱۳۹/۴؛المیزان فی تفسیر القرآن:۱۱۷/۶.

۳- (۳) .الروم:۳۹.

اَلنّاسِ بِالْباطِلِ وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً) . (۱)

۳.یـذکر فی الآیه الحاضـره،قوله تعالی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَأْکُلُوا الرِّبَوا أَضْـعافاً مُضاعَفَهً وَ اتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ) (۲)حکم التحریم بصراحه،ولکنه یکتفی بالإشاره إلی نوع واحد من أنواع الربا،و هو النوع الشدید و الفاحش منه فقط.

۴.وأخیراً أعلنَ فی قوله تعالی: (الَّذِینَ یَأْکُلُونَ الرِّبا لا یَقُومُونَ إِلاّ کَما یَقُومُ الَّذِی یَتَخَبَّطُهُ الشَّیْطانُ مِنَ الْمَسِّ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَیْعُ مِثْلُ الرِّبـا وَ أَحَـلَّ اللّهُ الْبَیْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبـا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَهٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهی فَلَهُ مـا سَـلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَی اللّهِ وَ مَنْ عـادَ فَأُولئِکَ أَصْـحابُ النّـارِ هُمْ فِیهـا خالِدُونَ ... فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَکُمْ رُؤُسُ أَمْوالِکُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ) ، (۳)عن المنع الشامل و الشدید عن جمیع أنواع الربا،واعتباره بمنزله إعلان الحرب علی الله سبحانه وتعالی. (۴)

ثالثاً:التدرج فی نزول القرآن

ومن الأـمثله اللطیفه و العمیقه الأـخری التی ترد هو النزول التـدریجی للقرآن الکریم, ومن ذلـک مـا ورد فی قوله تعـالی: (وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لاـ نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَهً واحِـدَهً کَـذلِک لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْنـاهُ تَرْتِیلًا) ، (۵)صحیح أنه کان للقرآن نزولان طبقاً للروایات،بل لظاهر بعض الآیات:

أحدهما:نزول دفعی،و هو یعنی:نزول بالمرّه فی لیله القدر علی قلب النبی صلّی الله علیه و آله.

والآخر:نزول تدریجی،هو یعنی:نزول القرآن فی ثلاث وعشرین سنه.

۱- (۱) .النساء:۱۶۱.

۲- (۲) .آل عمران:۱۳۰.

۳- (۳) .البقره:الآیه ۲۷۵ و الآیه ۲۷۹.

۴- (۴) .تفسیر الأمثل:۲/۶۸۷-۶۸۸.

۵- (۵) .الفرقان:۳۲.

ولکن بلا شک أن النزول المعترف به الذی کان النبی و الناس یتفاعلون معه دائماً هو:النزول التدریجی للقرآن.و هذا النزول بالذات صار سبباً استفهامات الأعداء،لماذا لم ینزل القرآن مره واحده ویجعل دفعه واحده بین أیدی الناس،حتی یکونوا أکثر إطلاعا وتفهماً،فلا یبقی مکان للشک و الریبه.

ولکن-کما رأینا-فان القرآن أجابهم جواباً قصیرا وجامعاً وبلیغاً من خلال جمله: (کَذٰلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤٰادَکَ) ،فکلما تأملنا فیها أکثر تتجلی آثار النزول التدریجی للقرآن أوضح.

۱.لا شکّ أن التشریعات إذا کانت تتنزل بشکل تدریجی تبعاً للحاجات،ویکون لکل مسأله شاهد ومصداق عینی،فستکون مؤثره جداً من ناحیه(تلقِّی الوحی)وکذلک(إبلاغ الناس).

و قد أکّدت مبادئ التربیه فی محلّها أن الشخص الذی یراد تربیته ینبغی أن یؤخذ بیده خطوه خطوه،فینظم له لکل یوم برنامج،علیه أن یسلکه من المرحله الأدنی التی شرعها منها إلی المراحل الأعلی و البرامج التی تتدرج بهذه الکیفیه تکون أکثر مقبولیه وأعمق أثراً.

۲.أن هؤلاء المعترضین غافلون أساساً عن أن القرآن لیس کتاب عادی یبحث فی موضوع أو علم معین،بل هو منهج حیاتی للأمه التی تغیرت به،واستلهمت منه فی جمیع أبعاد الحیاه ولا تزال.

فکثیر من آیات القرآن الکریم نزلت فی مناسبات تأریخیه،مثل معرکه:بدر وأُحد،والأحزاب وحُنین،وبذلک سُنّت التشریعات والاستنتاجات من هذه الحوادث،وتری هل یصح أن تُکْتَب هذه مرّه واحده وتُعرَض علی الناس؟

بعباره أخری:أن القرآن الکریم عباره عن مجموعه من أوامر ونواهٍ،أحکام وقوانین،تاریخ وموعظه،ومجموعه من الخطط ذات المدی الطویل أو القصیر فی مواجهه الأحداث التی کانت تبرز أمام مسیر الأمه الإسلامیه،کتاب-کهذا-یبین

وینفذ جمیع مناهجه حتی قوانینه الکلیه عن طریق الحضور فی میادین حیاه الأمه،لا یمکن أن ینَظّم ویدَوّن دُفعه واحده.

لأن هذا من قبیل أن یقوم قائد عظیم بکتابه ونشر جمیع بیاناته وإعلاناته وأوامره ونواهیه-التی یصدرها فی المناسبات المختلفه-دفعه واحده من أجل تسییر الثوره،تری هل یعتبر هذا العمل عقلائیاً؟

۳.لا ـ شک،أنه إذا کان مقرر لمناهج الإسلام أن تنزل جمیعها دفعه واحده،فقد کان من اللازم أن تطبق دفعه واحده أیضاً؛لأن النزول بدون تطبیق یفقد النزول قیمته،ومن المعلوم أن تطبیق جمیع المناهج أعمّ من العبادات کالزکاه،والجهاد،ورعایه جمیع الواجبات،والامتناع عن المحرمات دفعه واحده عمل ثقیل جداً قد یؤدّی إلی فرار فئه کبیره من الإسلام،وبهذا یتبین أن النزول التدریجی وبالتالی التطبیق التدریجی أفضل،لاعتبارات وجهات کثیره.

وبعباره أخری:أنّ أی واحد من هذه التشریعات فی صوره النزول التدریجی سیتم هضمه واستیعابه بصوره جیده،وفی حاله تعرضه لبعض الاستفهامات یمکن طرحها و الإجابه عنها. (۱)

و إذا أردنا أن نطلق الآیه فی حرکیه التبلیغ و العمل فی سبیل الله،فنستطیع استبدال تدریجیه النزول للآیات بتدریجیه تحریک الآیات فی مواقع العمل و الجهاد وفی منطلقات الدعوه بطریقه دقیقه،نوزع فیها الآیات علی المسیره،فتکون هذه الآیه فی نقطه هنا،ونقطه هناک،وتکون هذه السوره فی هذه المرحله،وتلک السوره فی المرحله الأخری،لیکون القرآن ثقافه الأمه فی کل مواقع السیر،حتی یعرفوا الفکره فی مواقع الحرکه،فلا تبتعد المسیره عن آفاق الإسلام فی فکره وشریعته.

وهناک أمثله کثیره فی القرآن الکریم ومنها ماجاء،بعد السؤال و الجواب فی قوله

۱- (۱) .تفسیر الأمثل:۲۴۷/۱۱-۲۴۸.

تعالى: (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ) ، (۱)جاءت عباره أفلا تذكرون،وبعد السؤال الثانى وإجابته،فى قوله تعالى: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ) . (۲)

جاءت عباره: (أَ فَلا تَتَّقُونَ) ،وبعد السؤال الثالث وإجابته فى قوله تعالى: (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْ ءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأَنّى تُسْحَرُونَ) . (۳)

جاءت عباره: (فَأَنّى تُسْحَرُونَ) ،و هذه عبارات تنبيه شديده للكفار واستنكار لما هم عليه من باطل بشكل متدرج ومرحله بعد أخرى،و هو أسلوب متعارف ينسجم مع الأساليب المعروفه فى التعليم و التربيه المنطقيه،فإذا احتاج المربّى إلى إدانه شخص،يبدأ أولاً بتنبيهه بلطف،ثمّ بحزم،وبعد ذلك يعنفه!. (۴)

و قد استخدم هذا الأسلوب كلّ الأنبياء عليهم السلام فى مسيراتهم التبليغيه،ولو أردنا ذكر كل الأمثله و النماذج لطال بنا المقام،فقد استخدمه الخليل إبراهيم عليه السلام مع قومه وأبيه،فيخاطب أبيه أولاً ب-: (لِمَ تَعْبُدُ) ،ثمّ يقول: (فَاتَّبِعْنِى) ،ثمّ يقول (لا تَعْبُدِ) ،ثمّ يقول(إنى أخشى أن تكون للشيطان وليا)وهكذا فى بيان ربوبيه الله تدرَّج من الكوكب و النجم،إلى القمر،إلى الشمس،إلى ربوبيه الله،وهكذا،الحال بالنسبه إلى الكليم موسى عليه السلام مع فرعون وبنى إسرائيل،وهكذا:

أوصى النبى صلّى الله عليه و آله أصحابه بالتدرج مع المدعوين فى دعوتهم إلى الإسلام،فحين أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن داعياً ووالياً وقاضياً أوصاه قائلا:>>إنك ستأتى قوماً أهل كتاب فأدعهم إلى شهاده أن لا إله إلّا الله،وأنى رسول الله فان هم

۱- (۱) .المؤمنون:۸۴ و۸۵.

۲- (۲) .المؤمنون:۸۶ و۸۷.

۳- (۳) .المؤمنون:۸۸ و۸۹.

۴- (۴) .تفسير الأمثل:۴۹۵/۱۰.

أطـاعوا لـذلک فـأعلمهم أن الله افترض علیهم خمس صـلوات فی کـل یوم ولیله،فـأن هم أطاعوا لـذلک فأعلمهم أن الله افترض علیهم صـدقه تؤخـذ من أغنیـائهم فترد فی فقرائهم،فـأن هم أطاعوا لـذلک فإیاک وکرائم أموالهم،واتق دعوه المظلوم فأنها لیس بینهـا وبین الله حجاب»،فعلّم الرسول صـلّی الله علیه و آله معاذاً أن یبـدأ من العقیـده؛لأن العقیـده تـدفع صاحبها إلی العبادات من صلاه وزکاه..ولو استعرضنا الکثیر من عادات الجاهلیه لوجدنا أن الإسلام لم یحرمها دفعه واحده. (۱)

إذاً:فعلی المبلّغ أن یفقه أسـلوب التدرج بأن یتدرج مع المدعوین،بإقامه الدلائل،وإلقاء الحجج،وأن یجعله شعاراً له،تأسیاً واقتداءاً وأتباعاً للأنبیاء علیهم السلام وللقرآن الکریم.

۱۱.أسلوب الاستفهام

اشاره

من الأسالیب التبلیغیه المهمه هو أسلوب الاستفهام و السؤال و الجواب.

الاسـتفهام:یسأل به عن جنس ذات الشیء ونوعه،وعن جنس صفات الشیء ونوعه،و قد یسأل به عن الأشخاص و الأعیان فی غیر الناطقین. (۲)

ومن هـذا المنطلق نجـد أنّ القرآن الکریم یـثیر الکـثیر من المسائـل علی صوره:السؤال والاسـتفهام،لینـتزع جوابه من داخـل فکر المخاطب،فهو أسلوب تربوی قرآنی مؤثر.فهناک کثیر من المسائل و الحقائق المتعلقه و المرتبطه بالقضایا الدینیه،أو الاخلاقیه،أو الاجتمـاعیه،یطرحهـا القرآن الکریم فی قالب التساؤل والاسـتفهام تارکاً للسامع أن یختار هو بمعونه من فکره،وانطلاقاً من تحلیله وتقویمه.

إنّ لهذا الأسـلوب الذی لا بدّ أن نسـمیه بالأسلوب التربوی غیر المباشر أثرا بالغاً فی تحقیق الأهداف المرجوه من البرامج التربویه وتأثیرها فیمن یراد توجیههم وتربیتهم؛وذلک

۱- (۱) .الدعوه و الدعاه بین الواقع و الهدف:۶۱ و۶۲.

۲- (۲) .مفردات غریب القرآن:۴۷۹.

لأنّ الإنسان-فى الأغلب-يهتم أكثر بما توصل إليه بنفسه من النتائج و الأفكار و الآراء وما انتهى إليه بفكره من التفاسير و التحاليل فى القضايا المختلفه،فإذا طُرحت عليه قضيه بصوره قطعيه وصبغه جازمه،قاومها أحياناً،ولعلّه ينظر إليها كما ينظر إلى أى فكره غريبه،ولكن عندما يطرح عليه الأمر فى صوره التساؤل الذى يطلب منه الجواب عليه حسب قناعته الشخصيه،ثمّ يسمع ذلك الجواب من قُراره فؤاده،فأنه لا يسعه حينئذٍ أن يقاوم هذا الجواب ويعاديه،بل ينظر إليه نظر العارف به،ولن تعود لديه-حينئذ- تلك الفكره الغريبه البعيده،بل تكون الفكره القريبه إلى قلبه،المأنوسه إلى فؤاده،إنّ هذا الأسلوب من التوجيه و الإرشاد مؤثراً غايه التأثير،من هذا المنطلق استفاد القرآن الكريم من هذا الأسلوب التربوى الرائع المؤثر فى مواضع عديده،منها قوله تعالى: (أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ) ، (۱)وقوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) ، (۲)وقوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُماتُ وَ النُّورُ) . (۳)

وكذلك قوله تعالى: (وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللّهِ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ قالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ، (۴)وقال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم: (قالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ) ، (۵)(لما تفو هوا بقولهم: (ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ) وسمعه إبراهيم عليه السلام لم يشتغل بالدفاع فلم يكن قاصداً لذلك من أول،بل استفاد من كلامهم لدعوته الحقه فخصمهم بلازم قولهم وأتم الحجه عليهم فى كون أصنامهم غير مستحقه للعباده أى غير آلهه.

۱- (۱) .السجده:۱۸.

۲- (۲) .الزمر:۹.

۳- (۳) .الرعد:۱۶.

۴- (۴) .فصلت:۳۳.

۵- (۵) .الأنبياء:۶۶ و۶۷.

فما حصل تفریع قوله: (قالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا یَنْفَعُکَمْ شَیْئاً وَ لا یَضُرُّکُمْ) , إن لازم کونهم لا ینطقون أن لا یعلموا شیئاً ولا یقدرون علی شیء،ولازم ذلک أن لا ینفعوکم شیئاً ولا یضروکم،ولازم ذلک أن تکون عبادتهم لغواً؛إذ العباده إما لرجاء خیر أو لخوف شرّ،ولیس عندهم شیء من ذلک فلیسوا بآلهه.

فأجابهم نبی الله إبراهیم علیه السلام جواباً أفحمهم،وجعلهم فی دوّامه من حیره لم یجدوا منها مخرجاً قال: (قالَ بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ کانُوا یَنْطِقُونَ) (۱) ، (۲)لقد هزت کلمات النبی إبراهیم علیه السلام الوثنیین وأیقظت ضمائرهم النائمه الغافله،وأزاح الرماد عن شعله النار فأضاءها،وأنار فطرتهم التوحیدیه من خلف حجب التعصب و الجهل،فی لحظه سریعه استیقظوا من هذا النوم العمیق ورجعوا إلی فطرتهم ووجدانهم،[و]کما یقول القرآن: (فَرَجَعُوا إِلی أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّکُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ) . (۳)

فقد ظلمتم أنفسکم ومجتمعکم الذی تنتمون إلیه،وکذلک ساحه الله واهب النعم المقدسه. (۴)

ویوجد هناک استفهام إنکاری،کما فی قوله تعالی: (أَ نُلْزِمُکُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها کارِهُونَ) ، (۵)و هو استفهام بمعنی الإنکار. (۶)

وقوله تعالی: (أَمْ لَکُمْ کِتابٌ فِیهِ تَدْرُسُونَ) ، (۷)و (أَمْ لَکُمْ أَیْمانٌ عَلَیْنا بالِغَهٌ إِلی یَوْمِ الْقِیامَهِ) ، (۸)وقوله تعالی: (أَ فِی اللّهِ شَکٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) . (۹)

۱- (۱) .الأنبیاء:۶۳.

۲- (۲) .المیزان فی تفسیر القرآن:۳۰۱/۱۴.

۳- (۳) .الأنبیاء:۶۴.

۴- (۴) .تفسیر الأمثل:۱۹۲/۱۰.

۵- (۵) .هود:۲۸.

۶- (۶) .تفسیر المنیر:۵۹/۱۲.

۷- (۷) .القلم:۳۷.

۸- (۸) .القلم:۳۹.

۹- (۹) .إبراهیم:۱۰.

و قد استخدم الأنبياء و القرآن الكريم أسلوب الاستفهام بعدّه طرق،ومن تلك الطرق و الأبواب،يمكن الإشاره إلى الموارد الآتيه:

أ)الاستفهام وإثاره العواطف

لقد استعمل القرآن الكريم إثاره العواطف عن طريق أسلوب الاستفهام لتربيه البشر فقال تعالى: (أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) . (۱)

ولكى يجنّب[الإنسان]الإنفاق رئاءً ومنّهً يستفيد القرآن الكريم من عاطفه الإنسان تجاه الأطفال الصغار و الضعاف،حيث يقول تعالى: (أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّهٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ أَصابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّهٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) . (۲)

إنّ هذا المعنى يبين حاله العجز،والطفوله،والضعف،والاحتراق،والفقر وهى مما يثير العواطف. (۳)

ب)الاستفهام وإيقاظ الضمير

يؤمن الإنسان ببعض القضايا بصوره فطريه وطبيعيه دون أى تلقين أو تبليغ،و قد أشار الله تعالى إلى هذه الحقيقه فى أواخر كثير من الآيات بقوله: (وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ؛لذا فإن على المبلّغ أن يستمد من ضمير الناس واعتقاداتهم الباطنيه قال تعالى: (وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ) ؛ (۴)لأن وجدانهم لا يسمح لهم بأن يجيبوا بغير ذلك كما قال تعالى: (وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللّهُ) . (۵)

۱- (۱) .الحجرات:۱۲.

۲- (۲) .البقره:۲۶۶.

۳- (۳) .القرآن و التبليغ:۱۷۰.

۴- (۴) .العنكبوت:۶۱.

۵- (۵) .العنكبوت:۶۳.

لاحظوا هذه الآيه الشريفه وكيف أن الله سبحانه يدعوا الوجدان الإنسانى إلى الحكم: (وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً) ، (١)أى:هلا تجعلون وجدانكم حاكماً ليعترف بأنّ هذا عمل مذموم. (٢)

ج)الاستفهام وإيقاظ العقول و الفطره

العقلاء من كل مجتمع هم أهل الفكر ويبحثون عن الدليل المنطقى و العقلى فى كل ظاهره،و قد بين القرآن الكريم طريقه العقلاء....ودعا الناس إلى التفكر،قال تعالى: (أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ * أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ) ، (٣)(أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ * أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ) (٤)(أَ فَرَأَيْتُمُ النّارَ الَّتِى تُورُونَ * أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ) ، (٥)نعم يسأل القرآن الكريم أصحاب العقول بآيات كثيره لكى يوقعهم على المحك إذ لا مفر عن الإجابه بالإيجاب،فيسأل الله عز وجلّ عباده فيقول: (أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ) ، (٦)أى هل من الممكن عقلاً-أن يخلق موجود غير الله عز وجلّ هذا الكون العظيم؟فمن قال:نعم فإنه لا-يملك عقلاً-سليماً،ويسأل عن النبوه: (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) ، (٧)ويسأل عن المعاد: (أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ) ، (٨)(أَ فَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) ، (٩)ويسأل عن الإمامه: (أَ فَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّى) ، (١٠)و أما نبى الله لوط عليه السلام فإنه خاطب

ص:٢٢٩

١- (١) .النساء:٢١.

٢- (٢) .القرآن و التبليغ:ص١٧٢.

٣- (٣) .الواقعه:٦٣ و ٦٤.

۴- (۴) .الواقعه:٦٨ و ٦٩.

۵- (۵) .الواقعه:٧١ و ٧٢.

۶- (۶) .النمل:٦٠.

٧- (٧) .الطور:٣٢.

٨- (٨) .المؤمنون:١١٥.

٩- (٩) .ق:١٥.

١٠- (١٠) .يونس:٣٥.

قومه الذين اعتادوا العمل الجنسی الشنیع: (وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَهَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ) . (۱)

أی:أن هذا العمل لو کان عقلائیاً لفعلته مجموعه إنسانیه واحده قبلکم علی الأقل.

إن بعض القضایا ینبغی إبلاغها علی شکل سؤال یتوجه إلی الفطره الإنسانیه،وذلک بأن یقال:أن الفطره الإنسانیه لو لم تکن میته فأن الحکم صحیح یقیناً. (۲)

ومن أمثله ذلک ما خاطب به یوسف صاحبی السجن،لیثیر تفکیرهم وتأملهم فقال لهم: (أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ) . (۳)

وهناک استفهام توبیخی فی خطاب إبراهیم لقومه،قال: (أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ) ، (۴)إلّا أنه لم یلح فی توبیخهم وتقریعهم لئلا یلجوا فی عنادهم. (۵)

ویوجد هناک استفهام تقریری-لأخذ الإقرار من المقابل-و هو کما ورد فی قوله تعالی: (قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلْ لِلّهِ كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَهَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَهِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) . (۶)

فبالإشاره إلی مبدأ التوحید یواصل القول عن المعاد بطریقه رائعه،هی طریقه السؤال و الجواب،والسائل و المجیب کلاهما واحد،و هو من الأسالیب الأدبیه الجمیله،یتکون الاستدلال هنا علی المعاد من مقدمتین:

أوّلاً:یقول: (قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) .ثمّ یقول مباشره:أجب أنت بلسان فطرتهم وروحهم (قُلْ لِلّهِ) فبموجب هذه المقدّمه یکون کلّ عالم الوجود ملکاً لله وبیده وتدبیره.

۱- (۱) .الأعراف:۸۰.

۲- (۲) .القرآن و التبلیغ:۱۸۶ و۱۸۷.

۳- (۳) .یوسف:۳۹.

۴- (۴) .الأنبیاء:۶۷.

۵- (۵) .تفسیر الأمثل:۱۹۳.

۶- (۶) .الأنعام:۱۲.

ثانیاً:إنّ الله هو وحده مصدر کلّ رحمه و هو الذی أوجب علی نفسه الرحمه،أیمکن لرب هذا شأنه أن یقطع سلسله حیاه البشر نهائیاً بالموت فیوقف التکامل واستمرار الحیاه؟

[بل]هذه الرحمه نفسها توجب أن یرتدی الإنسان لباس حیاه جدیده بعد موته فی عالم أوسع،لذلک یقول بعد هاتین المقدمتین: (لَیَجْمَعَنَّکُمْ إِلی یَوْمِ الْقِیامَهِ لا رَیْبَ فِیهِ) ،إن الآیه تبدأ بالاستفهام التقریری الذی یراد به انتزاع الإقرار من السامع،ولما کان هذا الأمر مسلماً به بالفطره،کما کان المشرکون یسلمون بأنّ مالک عالم الوجود لیس الأصنام،بل الله،فإنّ الجواب یرد مباشره،و هذا أسلوب جمیل فی عرض مختلف المسائل.

وهکذا نجد إبراهیم علیه السلام لما أراد أن یدعو أباه دعاه بأسلوب الاستفهام فقال: (یا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا یَسْمَعُ وَ لا یُبْصِرُ وَ لا یُغْنِی عَنْکَ شَیْئاً) ، (1)فقد رأی أباه یعبد الأصنام التی یعبدها قومه،فأراد أن یثیر التساؤل فی تفکیر أبیه،وذلک بأن یطرح علیه الجانب اللامعقول فی هذه العباده بطریقه بسیطه لا تکلف الإنسان بذل أی جهد من أجل اکتشاف انحرافها عقیدیاً،فحاول أن یهز جمود الموقف عنده،بطریقه الصدمه و الإثاره،من خلال أسلوب الاستفهام.

وبهذا الأسلوب البین یعرف المبلّغ کیفیه الدخول إلی مختلف الأبواب و الأفکار،وکذلک کیفیه الحدیث عنها،وتوجیه الحوار إلیها،وذلک من خلال المفردات التی تثیر الاهتمام البالغ حیث تدعو إلی إثاره کثیر من علامات الاستفهام حول الرکائز التی ترتکز علیها هذه الأمور؛إذ قد لا یکون من الضروری-دائماً-أن نثیر القضایا بشکل مباشر.

۱۲.أسلوب الحسم

الحسم فی اللغه کما عرفه الخلیل:

۱- (۱) .مریم:۴۲.

أن تحسم عرقاً فتكويه لئلّا يسيل دمه،وحسمت الأمر أی،قطعته حتی لم یظفر منه شیء،ومنه سمی السیف حساماً؛لأنه یحسم العدو عما یرید،أی یمنعه. (۱)

أوكما جاء فی معجم مقاییس اللغه:

أنه قطع الشیء عن آخره،فالحسم القطع،ولذلك یقال احسم عنك هذا الأمر أی اقطعه وأكفه نفسك. (۲)

و هو من أسالیب التبلیغ غیر المباشر الذی استخدمه الأنبیاء علیهم السلام من خلال إعلان مواقفهم الواضحه و القاطعه مقابل مواقف الرافضین لدعوتهم،و هذا الأسلوب هو أفضل أسلوب لمواجهه الكفر المتعنّت المتصلّب الذی لا یقبل حواراً بتاتاً،ولا یتحرّك فی موقف فكر،ولا یستجیب لترغیب الله،ولا یخاف من ترهیبه.فمن واجب المبلّغ هنا أن لا یضعف ولا ییأس،ولا یشعر بالإحباط و السقوط،بل یزیده ذلك إصرارا علی العمل،وتصمیماً علی الاستمرار فی خطّ التبلیغ و الدعوه إلی الله تعالی.

فكثیر من الأحیان یكون الموقف بحاجه إلی صدمه إعلانیه قویه،یقف فیها المبلّغ لیعلن موقفه الذاتی فی عملیه الاختیار،لیصدم بذلك تردّد المتردّدین وعناد المعاندین،فیكن هذا الأسلوب أكثر فاعلیه وتأثیره من أسلوب الحوار وغیره من الأسالیب التی یكون فیها ارتباط وأخذ ورد من كلا الطرفین؛لأنه یتمثل فی عرض الفكره،بعیداً عن ردّ الفعل تجاه الآخرین،ممّا یعطی له شیء من القوه،وكثیر من الحریه فی الحدیث عن التفاصیل،فهو أسلوب من أسالیب التأثیر النفسی القوی الذی یوحی لهم أنّه لن یتّخذ غیر هذا الموقف،فلا یفكروا بأن هناك اهتزاز فی قرار الموقف،ممّا یدعوهم إلی إعاده تفكیرهم بما طرحه علیهم من تعالیم الدعوه.

وهناك أمثله كثیره فی القرآن الكریم تبین هذا الأسلوب بوضوح:

ص:۲۳۲

۱- (۱) .كتاب العین:۱۵۳/۳.

۲- (۲) .معجم مقاییس اللغه:۵۷/۲.

منها قوله تعالى: (وَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمّا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمّا تَعْمَلُونَ) . (١)

فقد علّمت[هذه الآيه]النبی صلّی الله علیه و آله طریقه جدیده فی المواجهه،فقالت: (وَ إِنْ كَذَّبُوكَ...) .

إن لإعلان الترفع وعدم الاهتمام هذا،والمقترن بالاعتماد و الإیمان القاطع بالمذهب،أثراً نفسیاً خاصاً،وبالذات علی المنکرین المعاندین،فهو یفهمهم بعدم وجود أی إجبار وإصرار علی قبولهم الدعوه الإسلامیه،بل إنهم بعدم تسلیمهم أمام الحق سیحرمون أنفسهم،ولا یضرون إلّا أنفسهم و قد ورد نظیر هذا التعبیر فی آیات أخری من القرآن،کما نقرأ فی سوره الکافرون: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ) ، (٢)من هذا البیان یتضح أن محتوی مثل هذه الآیات لا ینافی مطلقاً الأمر بالتبلیغ...بل أن هذا نوع من المواجهه المنطقیه عن طریق عدم الاکتراث لهؤلاء الأشخاص المعاندین. (٣)

ومنها قوله تعالی: (قُلْ يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ اصْبِرْ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ) . (۴)

هاتان الآیتان قرار نهائی حاسم،خاطب الله بهما جمیع الناس و الجنّ إلی یوم القیامه أبد الدهر،والمعنی الواضح منهما،قل أیها الرسول للناس قاطبه،من حضر ومن یأتی،قد جاءکم الحق المبین من ربکم،یبین حقیقه هذا الدین،وکمال هذه الشریعه،علی لسان رجل منکم،بلسان عربی مبین،فأمر الله تعالی رسوله محمد صلّی الله علیه و آله أن یخبر الناس أن الذی جاءهم به من عند الله تعالی هو الحق الذی لا شک،ولا شبهه،ولا ریب فیه،والحق هو القرآن و الشرع الذی جاء

١- (١) .یونس:۴١.

٢- (٢) .الکافرون:۶.

٣- (٣) .تفسیر الأمثل:۶/٣۶۴ و٣۶۵.

۴- (۴) .یونس:١٠٨-١٠٩.

به محمـد صلّى الله عليه و آله من عنـد ربه،فمن اهتـدى أى اتبع الحق وأذعن له،وصدق بالقرآن ورسول الله،فإنما يهتدى لنفسـه ويسـعى لها،أى يعـد نفع عمله وثواب اهتـداءه وإتباعه على ذاته،ويجـد خير رشـده فى مصـيره وآخرته؛لأنه يوجب لها رحمه الله ويدفع عذابه.

ومن ضلّ،أى حاد عن طريق الحق،ولم ينظر بعين الحقيقه،وحاد عن منهج الله،وكفر بربّه عز وجلّ،فإنما يضلّ على نفسه أى:يرجع وبال عمله عليه.

ثمّ يؤكد القرآن عنصر الإراده،والاختيار وترك الإجبار فى قوله تعالى لرسوله: (وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) . (۱)

ومنها قوله تعالى: (قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ * وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِینَ) ، (۲)[فيهما]:

نحو رجوع إلى قوله تعـالى: (إِنّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللّهَ مُخْلِصاً لَهُ الـدِّينَ) ، (۳)بداعى أن لا يؤيسـهم من نفسه،فلا يطمعوا فيه أن يترك دعوتهم ويوافقهم على الإشراك بالله. (۴)

فلا بدّ إذاً:أن يرتكز التبليغ و التربيه الإسـلاميه على قاعده الإصـرار والالتزام بالخط المسـتقيم وعدم الانحراف عنه لقاء أى عرض للتنازل من أيه جهه كانت،وعليه ينبغى أن تكون الدعوه الإسـلاميه متحركه فى خطّ الثوابت الاعتقاديه و المصـيريه بكلّ استقامه وثبات.

هكذا يريد الله تعالى للمبلّغ أن ينطلق من قاعده المبدأ الذى لا يحتمل مساومه،أو مجامله،او تنازلاً: (قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدى وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ) ، (۵)فهى حاله من الاقتحام لنفوس المعاندين،وهى الصراحه فى الإعلان عن الحق و الهدى،والإيحاء

۱- (۱) .التفسير الوسيط:۱۰۱۷/۲ و۱۰۱۸.

۲- (۲) .الزمر:۱۱ و۱۲.

۳- (۳) .الزمر:۲.

۴- (۴) .الميزان فى تفسير القرآن:۲۴۷/۱۷.

۵- (۵) .الأنعام:۷۱.

إلی الآخرین بأنّه لا مجال لطریق غیر طریق الله،ولا هدی غیر هدی الله الذی یجب أن یتبع وحده،لیعرفوا أن الموقف حاسم لا مجال فیه للتراجع وللتنازل مهما کلف الأمر: (قُلْ یا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلی مَکانَتِکُمْ إِنِّی عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَکُونُ لَهُ عاقِبَهُ الدّارِ إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الظّالِمُونَ) ، (۱)وقال تعالی: (قُلْ یا أَیُّهَا النّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی شَکٍّ مِنْ دِینِی فَلا أَعْبُدُ الَّذِینَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ وَ لکِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِی یَتَوَفّاکُمْ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ) . (۲)

۱۳.أسلوب الحوار

اشاره

إنّ أسلوب الحوار-الیوم-هو من أهم الأسالیب الموصله إلی نقطه الیقین فیما یسمع أو یقرأ أو کلیهما معاً.

والحوار،کما یعرّفه الراغب هو من:

الحور التردّد إما بالذات و إما بالفکر.وحار الماء فی الغدیر تردد فیه،والقوم فی حوار فی تردد،والمحاوره و الحوار المرداه فی الکلام،ومنه التحاور قال الله تعالی: (وَ اللّهُ یَسْمَعُ تَحاوُرَکُما) (۳). (۴)

و قد بدا أسلوب الحوار بیناً فی المسیره التبلیغیه للأنبیاء علیهم السلام،أما فی القرآن الکریم فأن:

عنصر الحوار واضح العباره بادی القسمات،ووروده شائع مطرّد فی[القرآن الکریم]،ویغلب مجیئه متصدراً بکلمه:(قال)أو مشتقاتها من الجمع أو التثنیه أو التذکیر أو التأنیث،و هذا من شأنه أن یجعل الحوار حاضراً یشد الانتباه ویرهف الحسن ویدعو إلی متابعه الأحداث. (۵)

ص:۲۳۵

۱- (۱) .الأنعام:۱۳۵.

۲- (۲) .یونس:۱۰۴.

۳- (۳) .المجادله:۱

۴- (۴) .مفردات غریب القرآن:۱۳۵.

۵- (۵) .الدعوه إلی الله تعالی:۱۴۸.

شروط الحوار الناجح

و قـد ذكر المفسّـرون شـروطاً وأصولاً وقواعـد لطريقه البحث،وأسـلوب الحوار الناجـح, ومنها ما ذكروه بعد قوله تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللّهُ وَ إِنّا أَوْ إِيّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَـلالٍ مُبِينٍ * قُلْ لا تُسْـئَلُونَ عَمّا أَجْرَمْنا وَ لا نُسْئَلُ عَمّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَتّاحُ الْعَلِيمُ) ، (۱)حيث قالوا:

كثير مـا يلاحظ أفراد وفضـلاء على مستوى من العلم و المعرفه،لا يمكنهم النفوذ إلى أفكار الآخرين،لعـدم اطلاعهم على الفنون الخاصه بالبحث والاسـتدلال،وعـدم رعايتهم للجوانب النفسـيه،على العكس من البعض الآخر الـذين ليسوا على وفره من العلم،إلّا أنهم موفقين من ناحيه جذب القلوب وتسخيرها و النفوذ فى أفكار الآخرين.

والعله الأساسيه فى ذلك هى أن طريقه البحث،وأسلوب التعامل مع الطرف المقابل يجب أن تكون مقرونه بأصول وقواعد تتسق مع الخلق و الروح،فلا تسـتثار الجوانب السلبيه فى الطرف المقابل،كى لا يندفع إلى العناد و الإصرار؛إذ أن مراعاه الجانب النفسى ستؤدى إلى إيقاظ وجدانه وإثاره روح البحث عن الحقيقه وأحيائها فيه.

والمهمّ هنا،أن نعلم أن الإنسان ليس فكراً وعقلاً صـرفاً كى يستسـلم أمام قدره الاسـتدلال،بل علاوه على ذلك فأن مجموعه من العواطف و الأحاسيس التى تشكل جانباً مهماً من روحه مطويه فى وجوده،والتى يجب إشباعها بشكل صحيح ومعقول.

والقرآن الكريم علمنا كيفيه مزج البحوث المنطقيه بالأصول الأخلاقيه فى المحاوره،حتى تنفذ إلى أرواح الآخرين.

شرط التأثير و النفوذ فى روح الطرف المقابل هو إحساس الطرف المقابل بأنّ المتحدّث يتحلّى بالصفات التاليه:

۱.الإيمان بما يقول،وما يقوله صادر من أعماقه.

ص:۲۳۶

۱- (۱) .سبأ:۲۴-۲۶.

۲.هدفه من البحث طلب الحق،وليس التفوق و التعالی.

۳.لا يقتصد تحقير الطرف المقابل،وإعلاء شأن نفسه.

۴.ليس له مصلحه شخصيه فيما يقول،بل إنما يقول نابع من الإخلاص.

۵.يكُنُّ الاحترام للطرف المقابل،لذا فعليه أن يستخدم الأدب و الرقه فی تعبيراته.

۶.لا يريد إثاره العناد لدی الطرف المقابل،ويكتفی بالبحث فی موضوع ما بالمقدار الكافی،دون الإصرار علی إثبات أن الحق إلی جانبه،ليعرض حديثه.

۷.منصف لا يفرط بالإنصاف أبداً،حتی وأن لم يراع الطرف المقابل هذه الأصول.

۸.لا يقصد تحميل الآخرين أفكاره،بل يرغب فی إيجاد الدافع لدی الآخرين حتی يوصلهم إلی الحقيقه بمنتهی الحريه.

الدقه المتناهيه فی هذه الآيات،وأسلوب تعامل الرسول صلّی الله عليه و آله-بأمر الله-مع المخالفين،المقترن بكثير من اللفتات الجميله،تعتبر دليلاً حياً علی ما ذكرناه،فهو أحياناً يصل إلی حد لا يشير بدقه إلی المهتدين أو المضلين فی أحد الفريقين،بل يقول: (وَ إِنّا أَوْ إِيّاكُمْ لَعَلی هُدیً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) ،حتی يثير فی الذهن التساؤل عن علامات الهدی أو الضلال فی أی الفريقين،أو يقول: (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِّ) . (۱)

ومن أروع المحاورات التی يمكن الإشاره إليها،هو ما حاور به شيخ الأنبياء عليهم السلام نوح عليه السلام قومه،حيث استوعبت كلّ مظاهر الأدب و اللطف.و قد تناول العلامه الطباطبائی هذا الموضوع فی وصفه لأخلاق الأنبياء عليهم السلام فقال:رعايتهم الأدب عن ربهم فيما حاورا قومهم،و هذا أيضاً باب واسع و هو ملحق بالأدب فی الثناء علی الله سبحانه،و هو من جهه أخری من أبواب التبليغ العملی الذی لا يقْصُر أو يزِيد أثراً علی التبليغ القولی.

و قد ورد فی القرآن الكريم الكثير،من هذا القبيل ومنه فی محاوره جرت بين نوح وقومه: (قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ * قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللّهُ إِنْ شاءَ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَ لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ

۱- (۱) .تفسير الأمثل:۴۴۶/۱۳ و ۴۴۷.

إِنْ كـانَ اللّهُ يُرِيـدُ أَنْ يُغْـوِيَكَمْ هُـوَ رَبُّكَمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ، (١)ينفى عليه السـلام عن نفسه مـا نسـبوا إليه من إتيان الآيه ليعجزوه به،وينسـبه إلى ربه ويبـالغ فى الأدب بقوله: (إِنْ شاءَ) ثمّ بقوله: (وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) أى:الله،ولـذلك نسـبه إليه تعالى بلفظ (اللّهُ) دون لفظ(ربى)؛لأنّ الله هو الذى ينتهى إليه كل جمال وجلال،ولم يكتفِ بنفى القدره على إتيان الآيه عن نفسه وإثباته حتى ثناه بنفى نفع نصـحه لهم إن لم يرد الله أن ينتفعوا به،فأكمل بذلك نفى القدره عن نفسه وإثباته لربه،وعلل ذلك بقوله: (هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

فهذه محاوره غاصه بالأدب الجميل فى جَنب الله سبحانه حاور بها نوح عليه السلام الطغاه من قومه محاجاً لهم،و هو أوّل نبى من الأنبياء عليهم السلام فتح باب الاحتجاج فى الدعوه إلى التوحيد،وانتهض على الوثنيه على ما يذكره القرآن الشريف.

و هذا أوسع هذه الأبواب مسرحاً لنظر الباحث فى أدب الأنبياء عليهم السلام يعثر على لطائف من سيرتهم المملوءه أدباً وكمالاً،و قد حكا الله تعالى فى كلامه محاورات كثيره عن:هود وصالح وإبراهيم،وموسـى وشعيب،ويوسف وسليمان،وعيسى ومحمد صلّى الله عليـه و آلـه وغيرهـم مـن الأنبيـاء عليهـم السـلام فى حالاـت مختلفـه ك:الشـده و الرخـاء،والحرب و السـلم،والإعلاـن و الإسرار،والتبشير و الإنذار،وغير ذلك. (٢)

ومن أروع المحـاورات المـثيره تلـك الـتى دارت بين أبى الأنبيـاء عليهم السـلام إبراهيم الخليـل وبين أبيه وقـومه،حين اسـتخدم أسلوب المحاوره لإثاره عقولهم وتفكيرهم ليتبينوا عجز الأصـنام و الأوثان وعـدم قـدرتها على إجابه دعوتهم،وعدم قدرتها على النفع و الضـر،لعله يوقظ عقولهم الغافله لعلها ترى الحق فتهتدى إليه وتمضـى فى طريق الرشاد،ثمّ يعقّب على ذلك ببيان صـفات الإله الحق الجـدير بالعبـاده،والتوجه إليه سـبحانه بقضـاء مـا يحتـاجه العباد.وبـذلك يقول الحق،تبارك وتعالى: (وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ * إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ

١- (١) .هود:٣٢-٣٤.

٢- (٢) .سنن النبى:٧٩.

ما تَعْبُدُونَ * قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ * قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ * قالَ أَ فَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاّ رَبَّ الْعالَمِينَ * اَلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَ الَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَ يَسْقِينِ * وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَ الَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ) . (۱)

وكذلك قوله تعالى: (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذِى يُحْيِى وَ يُمِيتُ قالَ أَنَا أُحْيِى وَ أُمِيتُ قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَ اللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ) ، (۲)وبهذا الأسلوب من المحاوره و المُحاجّه يمكن أن تصل فكره النبى أو المبلّغ إلى قلوب أكثر الناس وتؤثّر فيهم.

۱۴.أسلوب الترغيب و الترهيب

اشاره

للأنبياء عليهم السلام طريقتان وأسلوبان فى تربيه وتعليم البشر:

أحدهما:الترهيب و الإنذار و التخويف من عدم تحمل المسؤوليه الملقاه عليهم.

والثانيه:الترغيب و التبشير وبعث الرجاء و الأمل فى نفوسهم،لكى يفتحوا قلوبهم وعقولهم لاستيعاب وفهم الرساله السماويه الإلهيه.

و قد قال الراغب الأصفهانى:

الرغبه و الرغب و الرغبى السعه فى الأداه قال تعالى: (وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً) (۳)فإذا قيل:رغب فيه وإليه يقتضى الحرص عليه.قال تعالى: (إِنّا إِلَى اللّهِ راغِبُونَ) (۴). (۵)

ورغبه:أعطاه ما رغب،قال ساعده بن جويه:

۱- (۱) .الشعراء:۶۹-۸۱.

۲- (۲) .البقره:۲۵۸.

۳- (۳) .الأنبياء:۹۰

۴- (۴) .التوبه:۵۹.

۵- (۵) .مفردات غريب القرآن:۱۹۸.

لقلت لدهری أنه هو غزوتی وإنی و إن رغبتنی غیر فاعل (۱)

أما الترهیب من:رهب،الرهبه و الرهب مخافه مع تحرز واضطراب،قال تعالی: (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَهً) ، (۲)قال تعالی: (رَغَباً وَ رَهَباً) ،وقال تعالی: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ) ، (۳)وقوله تعالی (وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ) ، (۴)أی:حملوهم علی أن یرهبوا (وَ إِیّایَ فَارْهَبُونِ) ، (۵)أی:فخافون. (۶)

وفی الحدیث:

>>لا تجتمع الرغبه و الرهبه فی قلب إلّا وجبت له الجنه». (۷)

ومن هذا المنطلق أکدّ القرآن الکریم علی سببهما وهما التبشیر و الإنذار فی کثیر من الآیات الشریفه،وفی هذا قال تعالی: (کِتابٌ فُصِّلَتْ آیاتُهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ * بَشِیراً وَ نَذِیراً فَأَعْرَضَ أَکْثَرُهُمْ فَهُمْ لا یَسْمَعُونَ) ، (۸)فهذا الکتاب بشیراً للصالحین نذیراً للمجرمین:بشیراً أو نذیراً إلّا أن أکثرهم: (فَأَعْرَضَ أَکْثَرُهُمْ فَهُمْ لا یَسْمَعُونَ) .

فهاتان الصفتان تکشفان عن عمق التأثیر التربوی للقرآن الکریم،عن طریق أسلوب الإنذار،والوعید و التهدید و الترغیب،فآیه تقوم بتشویق الصالحین و المحسنین،بحیث أن النفس الإنسانیه تکاد تطیر وتتماوج فی أشواق الملکوت و الرحمه،وأحیاناً تقوم آیه بالتهدید و الإنذار بشکل تقشعر منه الأبدان لهول الصوره وعنف المشهد.

۱- (۱) .لسان العرب:۴۲۲/۱.

۲- (۲) .الحشر:۱۳.

۳- (۳) .الأنفال:۶۰.

۴- (۴) .الأعراف:۱۱۶.

۵- (۵) .البقره:۴۰.

۶- (۶) .مفردات غریب القرآن:۲۰۴.

۷- (۷) .من لا یحضره الفقیه:۱۳۵/۱.

۸- (۸) .فصلت:۳ و۴.

إنّ هذين الأصلين التربويين:الترغيب و التهديد[هما]متلازمان فى الآيات القرآنيه ومترابطان فى أسلوبه. (۱)

أصلان تربويان

البشاره و الإنذار،أو التشجيع و التهديد،من أهم الأصول اللازمه للتربيه وللحركه الاجتماعيه.

ينبغى أنْ يلقى الفرد تشجيعاً على أعماله الصالحه،وتوبيخاً على أعماله الطالحه،كى يواصل مسيره الأول،ويرتدع عن ارتياد المسير الثانى.

ثمّ يقول:(التشجيع)وحده لا يكفى لدفع الفرد و المجتمع على طريق التكامل؛لأن الإنسان سوف يكون مطمئناً من عدم الخطر فى حاله ارتكاب المعاصى،وهكذا من يعتقد أن التربيه ينبغى أن تقوم على أساس التخويف و التأنيب لا غير.

الفريقان المذكوران خاطئان فى فهم الإنسان؛حيث أن الإنسان يتجاذبه كل من الخوف و الرجاء،حب الذات وكره الفناء،تحصيل المنفعه ودفع الضرر،وهل يمكن لموجود يحمل فى ذاته هذين البعدين أن يربى وفق بعد واحد؟

والتعادل ضرورى وفق هذين الجانبين،فلو تجاوز التشجيع حدّه لأدّى إلى التجرؤ و الغفله،ولو تعدّى التخويف حدّه لبعث على اليأس و القنوط وانطفأ شعله الشوق و التحرك فى النفوس.

ممّا سبق نفهم سبب اقتران البشاره بالإنذار أو البشير،ب-النذير فى القرآن الكريم،فتاره تقدّم كلمه البشير على النذير كالآيه التى نحن بصددها: (مُبَشِّراً وَ نَذِيراً) ،وتاره تقدم كلمه النذير كقوله تعالى: (إِنْ أَنَا إِلاّ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ) ، (۲)وأكثر الآيات القرآنيه فى هذا المورد تتقدم فيه صفه البشير،ولعل ذلك يعود إلى أن رحمه الله من حيث المجموع سابقه على غضبه:يا من سبقت رحمته غضبه. (۳)

ولكن لا ينبغى غض الطرف عن كون الإنذار من أوائل الأوامر الربانيه

۱- (۱) .تفسير الأمثل:۳۴۹/۱۵ و ۳۵۰.

۲- (۲) .الأعراف:۱۸۸.

۳- (۳) .تفسير الأمثل:۳۵۸/۱.

الموجهه إلى الأنبياء عليهم السلام بدليل عباره: (أَنْ أَنْذِرُوا) [في قوله تعالى: (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ أَنَا فَاتَّقُونِ) ؛ (۱)]لأن طبيعه الإنذار أن يعقبه انتباه فنهوض وحركه،صحيح أن الإنسان طالب للمنفعه ودافع للضرر،ولكن التجربه أظهرت أن للترغيب أثر بالغ لمن يتملك أسس وشرائط قبول الهدايه،أما من أعمت بصيرتهم ملهيات الحياه الدنيا فلا ينفع معهم إلّا التهديد و الوعيد). (۲)

و قد أتضح الأسلوبان في دعوه إبراهيم الخليل عليه السلام لأبيه،قال تعالى: (وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا * إِذْ قالَ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَ لا يُبْصِرُ وَ لا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً * يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا * يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا * يا أَبَتِ إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا) . (۳)

وهنا نرى[أنّ]إبراهيم عليه السلام قد استعمل المنهج العاطفي في دعوته لأبيه وأسلوب الموعظه الحسنه في شكلي الترغيب و الترهيب،فالترغيب في قوله: (فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا) ،والترهيب في قوله: (إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا) . (۴)

نعم،هكذا نجد القرآن يربي الأمه،فتاره ينذرهم ويخوفهم كي يفتح قلوبهم لتلقي الإيمان فيقول تعالى: (أَ فَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَهِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللّهِ أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ * اَللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللّهِ ذلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ) . (۵)فيعيشون الخوف من العذاب حين

۱- (۱) .النحل:۲.

۲- (۲) .تفسير الأمثل:۱۳۰/۸.

۳- (۳) .مريم:۴۱-۴۵.

۴- (۴) .تاريخ الدعوه:۴۶.

۵- (۵) .الزمر:۲۲ و۲۳.

يعيشون آيات القرآن التى تتحدث عن عظمه الله،فيستشعرون الرهبه منه فى حاله عصيانه أو التمرد عليه،ويتفاعل هذا الخوف فى الحسّ فيشبه القشعريره التى تُصيب الجلد،فيما توحى به من الحاله النفسيه القَلِقَه أمام تهاويل عذاب الله،ورهبه الوقوف بين يديه،وتتحول المسأله بعد ذلك إلى فكر يتأمّل،وروح تنطلق وتطوف فى رحاب الحق؛لأن الخوف يثير الشعور بالمسؤوليه الذى يخرج الإنسان به عن أجواء اللامبالاه الفكريه،وبذلك يحصل على طمأنينه الفكر،وهدوء الروح الذى جرى التعبير عنه بالصوره الحسيه، (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللّهِ) ، (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَهِ عادٍ وَ ثَمُودَ) . (۱)

وتاره أخرى يبشرهم ويرغبهم ويبعث فى قلوبهم الأمل،فيقول تعالى: (وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللّهِ فَضْلًا كَبِيراً) . (۲)

وهى إشاره إلى أن مسأله تبشير النبى صلّى الله عليه و آله لا يحد الثواب الإلهى بمقدار أعمال المؤمنين الصالحه،بل أن الله سبحانه يفيض عليهم من فضله بحيث تضطرب المعادله بين العمل و الجزاء تماماً كما تشهد بذلك الآيات القرآنيه،فتقول فى موضع: (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها) ، (۳)وتقول فى موضع آخر: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ وَ اللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ) . (۴)

و قد تذهب إلى أبعد من ذلك،فتقول: (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ) ، (۵)وبهذا يفهم فأن أبعاد الفضل الإلهى الكبير أوسع وأسمى ممّا يخطر فى التصور و الأوهام. (۶)

۱- (۱) .فصلت:۱۳.

۲- (۲) .الأحزاب:۴۷.

۳- (۳) .الأنعام:۱۶۰.

۴- (۴) .البقره:۲۶۱.

۵- (۵) .السجده:۱۷.

۶- (۶) .تفسیر الأمثل:۱۳/۳۰۰.

ومنه الترغيب وبعث الأمل فى قلوب العباد الذين أسرفوا على أنفسهم،قال تعالى:

(قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) . (۱)

ويلاحظ أنّ الآيه الكريمه قد فتحت الأبواب أمام المذنبين وأعطتهم الأمل؛لأن الهدف الرئيسى من كل هذه الأمور هو التربيه و الهدايه،وليس الانتقام و العنف،فبلهجه مملوءه باللطف و المحبه يفتح البارى أبواب رحمته أمام الجميع ويصْدِر أوامر العفو عنهم،عندما يقول: (قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا) .

إنّ التدقيق فى عبارات هذه الآيه يبين أنها من أكثر آيات القرآن التى تُعطى الأمل للمذنبين،فشموليتها وسعتها وصلت إلى درجه قال بشأنها،أمير المؤمنين على ابن أبى طالب عليه السلام:>>ما فى القرآن آيه أوسع من (يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا)» والدليل على ذلك واضح من وجوه:

۱.التعبير ب- (يا عِبادِيَ) هى بدايه لطف البارى عز وجلّ.

۲.التعبير ب- (أَسْرَفُوا) بدلاً من(الظلم و الذنب و الجريمه)هو لطف آخر.

۳.التعبير ب- (عَلى أَنْفُسِهِمْ) بين أن ذنوب الإنسان تعود كلّها عليه،و هذا التعبير هو علامه أخرى من علامات محبه الله لعباده،و هو يشبه خطاب الأب الحريص لولده،عندما يقول:لا تظلم نفسك أكثر من هذا!

۴.التعبير ب- (لا تَقْنَطُوا) مع الأخذ بنظر الاعتبار أن(القنوط)،يعنى:اليأس من الخير،فهذا دليل على أن المذنبين يجب أن لا يقنطوا من اللطف الإلهى بتاتاً.

۵.عباره (مِنْ رَحْمَهِ اللّهِ) التى وردت بعد عباره (لا تَقْنَطُوا) تأكيد آخر على هذا الخير و المحبه.

ص:۲۴۴

۱- (۱) .الزمر:۵۳.

۶.عندما نصل إلی عباره (إِنَّ اللّهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ) التی بدأت بتاکید،وکلمه (الذُّنُوبَ) التی جمعت بالألف و اللام تشمل کلّ الذنوب من دون أی استثناء،فان الکلام یصل إلی أوجه عندما تتلاطم أمواج بحر الرحمه الإلهیه.

۷.أن ورود کلمه (جَمِیعاً) کتأکید آخر للتأکید السابق یوصل الإنسان إلی أقصی درجات الأمل.

۸ و ۹.وصف الباری عز وجلّ ب- (الْغَفُورُ الرَّحِیمُ) فی آخر الآیه،وهما وصفان من أوصاف الله الباعثه علی الأمل،فلا یبقی عند الإنسان أدنی شعور بالیأس أو فقدان الأمل.

نعم،لهذا السبب فإنّ الآیه المذکوره أعلاه من أوسع وأشمل آیات القرآن المجید،حیث تُعطی الأمل بغفران کل أنواع الذنوب،ولهذا السبب فأنها تبعث الأمل فی النفوس أکثر من بقیه الآیات القرآنیه،وحقاً فأن الذی لا نهایه لبحر لطفه،وشعاع فیضه غیر محدود،لا یتوقّع منه أقلّ من ذلک. (۱)

۱۵.أسلوب التلقین و التکرار

اشاره

من الأسالیب التبلیغیه و التربویه التی أعتمدها الأنبیاء علیهم السلام هو أسلوب التلقین و التکرار.

والتلقین هو:التفهیم یقال:

لقننی فلان تلقیناً،أی:فهمنی کلاماً ولقنته وتلقنتهُ، (۲)ولقنته تلقیناً فهمته، (۳)وفی حدیث الهجره:<<ویبیت عندها عبد الله بن أبی بکر و هو شاب ثقف لقن»أی فهم حسن التلقن لما یسمعهُ. (۴)

وکذلک علی المبلّغ أن یکرر دعوته ویرکز علیها فی بدایه کلامه ووسطه ونهایته،

ص:۲۴۵

۱- (۱) .تفسیر الأمثل:۱۱۷/۱۵ و۱۱۸.

۲- (۲) .کتاب العین:۱۶۲/۵.

۳- (۳) .معجم مقاییس اللغه:۲۶۰/۵.

۴- (۴) .النهایه فی غریب الحدیث:۲۶۶/۴.

فیقوم بعملیه الإیحاء المستمر وهی العملیه التی یتکرّر بها المعنی نفسه بعبارات مختلفه،وبطریقه فعّاله ومؤثره تجنباً للإملال وقصداً إلی تعمیق التوعیه بالمعنی المقصود منه.

أنواع التلقین

۱.تلقین قولی:و هو تکرار لفظ ما مثل:(لا إله إلّا الله)و(الصلاه)،حیث أوصی بهما کثیراً.

۲.تلقین عملی:(و هو تکرار عمل ما کما نقرأ فی الروایه:«إن لم تکن حلیماً فتحلّم». (۱)وروی عن الإمام الصادق علیه السلام:

>>من کان کفنه فی بیته لم یکتب من الغافلین،وکان مأجوراً کلما نظر إلیه». (۲)

فرؤیه الکفن هی تلقین بأن الموت حقّ.

وروی عن النبی صلّی الله علیه و آله أنه قال:

>>لا تلقنوا[أولادکم]الکذب فتکذبوا؛فإن بنی یعقوب لم یعلموا أن الذئب یأکل الإنسان حتی لقنهم أبوهم». (۳)

إذاً:اللازم هو تلقین وتکرار الحق و الخیر و القضایا الأخلاقیه،والقضایا التی هی مورد الابتلاء والاعتبار فی المجتمع؛لأنه ثله قلیله من الناس من یدرک الحق ویؤمن به من خلال أوّل بیان:(کسحره فرعون)،أما الأغلبیه فتحتاج إلی بیان وتلقین وتکرار بصور متنوعه ومختلفه،کی ینفذ إلی قلوبهم وعقولهم،ولذلک رکز القرآن الکریم علی هذا الأسلوب وعلی سبیل المثال:تکررت قصه النبی موسی[۱۳۶]مرّه وبنی إسرائیل[۳۴]مرّه وأن أکثر من[۹۰۰]آیه تتحدّث عن حیاه موسی وقومه.

ص:۲۴۶

۱- (۱) .نهج البلاغه:کلمه ۲۰۷؛القرآن و التبلیغ:۱۸۴.

۲- (۲) .أصول الکافی:۲۵۶/۳.

۳- (۳) .بحارالأنوار:۲۲۱/۱۲.

وقضیه عدم الغفله عن الله و الحضور بین یدیه-مثلاً-تکرّرت حوالی[۱۰۰]مره وبتعابیر مختلفه نورِد هنا نماذج منها:

قوله تعالی: (وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ) ، (۱)وقوله تعالی: (وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ) ، (۲)وقوله تعالی: (وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ) ، (۳)وقوله تعالی: (إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ) ، (۴)وقوله تعالی: (یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ) ، (۵)وقوله تعالی: (وَ یَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَ ما تُعْلِنُونَ) . (۶)

و قد تکرر قوله تعالی: (فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ) ،۳۱ مره،وقوله تعالی: (فَوَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ) ۱۱ مره،وقوله تعالی: (فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِیعُونِ) ،۷ مرّات،وقوله تعالی: (وَ ما أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّ عَلی رَبِّ الْعالَمِینَ) ،[۵]مرّات،وهکذا تکرار قوله تعالی: (لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ ... وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ...) الآیتان تکرران معنی واحد،وهکذا ولا أنتم عابدون ما أعبد،تکرّرت أیضا لماذا؟

ومن هنا قد ذهب بعضهم إلی:

أن الهدف من التکرار التأکید وبث الیأس فی قلوب المشرکین،وفصل المسیره الإسلامیه بشکل کامل من مسیرتهم،وتثبیت فکره عدم إمکان المهادنه بین التوحید و الشرک. (۷)

فالتلقین و التکرار هذا هو لنفوذ المضمون إلی أعماق الروح....فمن اللازم التکرار فی إبلاغ کلام الله وأوامره علی شکل متواصل إلی عباده،ولهذا کثر المرسلون من قبل الله سبحانه توخیاً لهذا الغرض. (۸)

۱- (۱) .البقره:۷۴.

۲- (۲) .الحدید:۴.

۳- (۳) .المجادله:۱۱.

۴- (۴) .الفجر:۱۴.

۵- (۵) .طه:۱۱۰.

۶- (۶) .التغابن:۴.

۷- (۷) .تفسیر الأمثل:۵۱۰/۲۰.

۸- (۸) .القرآن و التبلیغ:۲۳۲.

قال تعالى: (ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا) . (۱)وقال تعالى: (إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ) . (۲)

هذه أهمّ أساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السلام علماً أن هناك بعض الأساليب الأخرى التى ممكن أن نعتبرها ضمن ما ذكر من أساليب،كأسلوب ذكر العله و السبب و الحكمه،سواء كان ذكر العلل فى التكوين،أو فى التشريع،أو فى الحوادث و الوقائع،وكأسلوب التفصيل بعد الإجمال،غيرهما ممّا يمكن للقارئ أن يتلمسه بين ثنايا ما ذكر.

۱- (۱) .المؤمنون:۴۴.

۲- (۲) .يس:۱۴.

الفصلُ الثالث: يفيه الاستفاده من أساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام فى إعلامنا المعاصر وفيه مباحث

اشاره

ص:۲۴۹

توطئه وتمهید

فی هـذا المسـتوی من البحث،وبعـد أن درسـنا أهم أسالیب التبلیغ عنـد الأنبیاء علیهم السـلام حصـلنا علی فائـده عظیمه،وهی:أننا نسـتطیع أن نحـدد الطریقه و الأسـلوب الذی یمکن بواسـطته تبلیغ المجتمعات المعاصـره،خاصه ونحن علی اطلاع واسع بأسالیب تبلیـغ الأنبیـاء علیهم السـلام فیکـون هـذا الجهـد-إن اسـتطعنا أن ننقله إلی الواقع العملی-قـد وفر لنـا کـثیراً من الجهـد و الزمن و المـال؛لأننـا اسـتطعنا بهـذا العمـل أن نوظّف الطرق و الأسـالیب الـتی أسـتخدمها الأنبیـاء علیهم السـلام لتبلیغ رسـاله السـماء إلی مجتمعاتهم فی تبلیغ مجتمعاتنا المعاصره.

فقـد،قـدم لنا الأنبیاء علیهم السـلام خیر قـدوه وأسوه فی تنفیـذ واسـتخدام هذه الأسالیب والالتزام بها مما یعتبر سـبباً مهما وعاملاً مؤثراً لأتساع الدین وانتشاره،فعلینا أن نقتدی بالأنبیاء علیهم السلام ونکون مصداقاً واضحاً لقوله تعالی: (لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللّهِ أُسْوَهٌ حَسَـنَهٌ) ، (۱)وقوله تعالی: (فَبِهُـداهُمُ اقْتَـدِهْ) ؛ (۲)لأـنّ أعمـال الأنبیاء علیهم السـلام وأحادیثهم وخطبهم وأسالیبهم هی أکبر مصـدر للعلم و الثقـافه،فهی النموذج المثـالی و قـد بلغتنـا-عن طریق القرآن الکریم-فی أرقی وأوثق صوره،فهی أوسع ثروه تحوی المواد المهمّه التی

ص:۲۵۱

۱- (۱) .الأحزاب:۲۱.

۲- (۲) .الأنعام:۹۰.

تُغطى احتياجات العالم الإسلامى،فى جميع المجالات لنشر وتبليغ الدعوه،وشرح تعاليم الدين.

فعلينا الاعتماد على أساليب الأنبياء عليهم السلام فى تبليغنا،وذلك لما يتركه من أثر عميق فى النفوس،حيث لايوجد فى أى وسيله وأسلوب إعلامى آخر.فعندما نُفَهِّم الإسلام لجيلنا الحاضر،فالحاجه ماسه إلى الاقتداء بأساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام وإرشادهم وليس إلى الأسلوب الفلسفى لبرجسون وباسكال،وأفلاطون وديكارت،بل نحن بحاجه إلى إعلام يقوم على أساليب الإعلام التى جاءت فى القرآن الكريم،لخدمه القضايا و المصالح الإسلاميه.

إنّ الإعلام فى الإسلام يحمل أمانه الدعوه إلى الحق وحُسن تبليغه وامتلاك الحجه و التحلى بالحكمه،والأخلاق و الصواب فى العمل،فتبرز أهميته فى المحافظه على حاضر الأمه ومستقبلها،وتحقيق رسالتها الخالده فى الحياه،ورد الغزو الفكرى و الثقافى عنها،ودحض تيارات الهدم و الأفك و العصيان،وحلقات التآمر و البغى،وأساليب الإغواء من التلبيس و التدليس،للنيل من هذه الأمّه وتاريخها وعقيدتها ورموز حضارتها،لتحقيق أغراض ومطامع خسيسه للمبشرين و المستشرقين و الشعوبيه و الغلاه،تعبر عن الحِقد و الجفاء و الغدر،وإخفاء الحق،وعباده النفس،وحب الجاه و الردّه،والتحريف؛إذ أن النفوس الضعيفه من هنا وهناك تنساق لهذه التيارات بلا رويه وتبصُّر،بل فى عمى وإصرار كأنها أدوات صماء جامده.

فكان الإعلام الوسيله المهمه فى تزويد الناس بالأخبار الصادقه،والآراء السديده،والحقائق الواضحه،بشكل فنى جميل فى ضوء الإسلام وآدابه وأخلاقه وعقيدته ومنهجه وفكره،وذلك عن طريق وسائل الإعلام المقروءه أو المسموعه أو المرئيه،و قد أرسى القرآن الكريم معالم الإعلام الصالح فى الدعوه و البيان و البلاغ و الإرشاد،وركز على العقل و الفطره الإنسانيه،واستخدم الأسلوب البيانى و البرهانى و العرفانى،ووثق ذلك بشهاده الواقع وتاريخ الأمم السابقه،ووظف لذلك القصّه و الحوار و المناظره و المناقشه و المثل،ثمّ العواقب التى أفضت إليها المقدمات كشواهد على صدق المعالجه و الدعوه.قال تعالى: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) ، (۱)فجاء الخطاب القرآنى ثمره للإحاطه بحال

۱- (۱) .ص:۶۷ و۶۸.

المخاطب من کل جانب،فاهتم بفن صیاغه الکلمه،وفنّ اختیار الکلمه المناسبه،وفن اختیار الوقت المناسب،وأخذ بمبدأ التدرج فی التربیه وبناء اللبنات الفکریه و التشریعیه،وبذلک خاطب القرآن الإنسان کلّه،بعقله وعواطفه وفطرته ومصلحته ومقاصده وتاریخه ومصیره،بما یوقظ وعیه بشکل عام.

وجاءت السنه النبویه للتأکید علی البیان الإعلامی الشامل للسلوک الأمثل و العباده الخالصه،والمعالجه السدیده للأحداث و الظروف و المواقف الحرجه،والأعم للحق" بصدق کامل وإخلاص تام،فیه العبر و النتائج و العظات،قال تعالی: (قُلْ هذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اللّهِ عَلی بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی) ، (۱)و قد استعمل الرسول جمیع وسائل الإعلام المتاحه له،کالوفود،والخطب،والرسائل،والقصیده الشعریه،والغزوات،والاتصال الشخصی،و هو یخاطب کل فئه بحسب دینها وفکرها ومکانتها فی المجتمع بأسلوب اللین[والحکمه و الموعظه الحسنه و التدرج و التذکیر وباقی الأسالیب،حسب ما تقتضیه الحکمه].ووضوح المقصد،وسلاسه العباره وقوه المنطق وتأثیر المعنی.

فالقول و اللفظ إذاً:هو الوسیله الأصلیه فی الإعلام الإسلامی،فلا بدّ أن یکون القول واضحاً بیناً،مفهوماً واضحاً غایه الوضوح،مع التأکید علی استعمال الألفاظ الشرعیه،وهی محدَّده المعنی واضحه المفهوم،بعیداً عن التکلف و التنطع و الثرثره و التفیهق،ویتصف بروح النصح الشفیق المخلص المتواضع،بقصد التشویق و الحمل علی الطاعه،لا المداهنه و النفاق وإخفاء الحقّ أو تحسین الباطل أو الرضی به،بل یطهرهم من نوازع الجهل و الهوی و النفور و التقلید المذموم،قال تعالی: (وَ ما عَلَی الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِینُ) . (۲)

وأن لا یتجاهل الإعلام قضایا الأمّه المصیریه ورسالتها الخالده،ویرکز علی سفاسف الأمور وتفاهه الماده،بل یتجرد عن الماده التی تفسد الفرد و الأسره و المجتمع،والذوق الجمیل و الفن الرفیع و الخصائص الإنسانیه النبیله،فإن العمل الإعلامی الذی لا تحکمه عقیده واضحه وغایات نبیله وأهداف سامیه،ولا یلتزم

۱- (۱) .یوسف:۱۰۸.

۲- (۲) .النور:۵۴.

بالأصول و الآداب،ولا يحافظ على الثوابت،لن يكتب له النجاح،فهو يتحول إلى معاول للهدم بدلاً من أن يكون أدوات للبناء،ومن ثمّ لن تفلح الأمه أبداً. (۱)

وفی هذا قال رسول الله صلّی الله علیه و آله:

>>نظر الله أمرءاً سمع منّا شيئاً فبلغه كما سمع،فرب مبلِّغ أوعى من سامع». (۲)

وقال أيضاً صلّی الله علیه و آله:>>خيار أمتي من دعا إلى الله تعالى،وحبب عباده إليه». (۳)

ومجمل القول:إنّه يمكن أن نستفيد من أساليب التبليغ المتوفّر عند الأنبياء عليهم السلام وأن نُطبقهما على إعلامنا المعاصر.

ص:۲۵۴

۱- (۱) .د.صباح عبد الوهاب, أخلاقيه الإعلام الإسلامی:۲۷.

۲- (۲) .سنن الترمذی:۱۴۲/۴.

۳- (۳) .الجامع الصغير:۶۱۵/۱.

المبحث الأول:مفهوم الإعلام

قال الراغب:

أعلمه وعلمته فی الأصل واحد إلّا أن الإعلام اختص بما کان بإخبار سریع،والتعلیم اختصّ بما یکون بتکریر وتکثیر حتی یحصل منه أثر فی نفس المتعلّم. (۱)

والفرق بین الإعلام و الإخبار،کما قال الشیخ الطبرسی:الفرق بینهما أن الإعلام قد یکون بخلق العلم الضروری فی القلب،کما خلق الله سبحانه من کمال العقل و العلم بالمشاهدات،و قد یکون بنص الأدلّه علی الشیء.

والإخبار:هو إظهار الخبر،علم به أو لم یعلم،ولا یکون مخبراً بما یحدثه من العلم فی القلب کما یکون معلماً بذلک. (۲)

والإعلام الإسلامی:هو عملیه الاتصال التی تمثل جمیع أنشطه الإعلام فی المجتمع الإسلامی،وتؤدی جمیع وظائفه المثلی:الإخباریه و الإرشادیه...،علی المستوی الوطنی و العالمی...،علی أن تلتزم بالإسلام فی کلّ أهدافها ووسائلها،وفیما یصدر عنها من رسائل ومواد إعلامیه.

فالإعلام الإسلامی:هو أسلوب الحدیث لتبلیغ رساله الإسلام،ویدخل فی

۱- (۱) .مفردات غریب القرآن:۳۴۳.

۲- (۲) .الفروق اللغویه:۵۹.

مضمونه البشاره و النذاره،والأمر بالمعروف و النهی عن المنکر فالتبشیر إعلام بالخیر،والإنذار إعلام بالخطر.

وبعباره أخری:أن الإعلام الإسلامی بیان الحق وتزیینه للناس بکل الطرق و الأسالیب و الوسائل العلمیه المشروعه،والإعلام الإسلامی قبل کلّ شیء أداه الدعوه لبلوغ هدفها،فهو إعلام ذو مبادئ أخلاقیه مستمده من دین الإسلام،و هو إعلام واضح صریح عفیف الأسلوب،نظیف الوسیله،شریف القصد عنوانه الصدق وغایته الحق.

ص:۲۵۶

المبحث الثانی:إحیاء الإعلام

إذا کان الإعلام فی عصرنا الحاضر،یعدّ من أقوی محاور الصراع بین المجتمعات الإسلامیه،فأن ذلک نتیجه لما له من تأثیر بالغ فی الغزو الفکری،وتَورید المعتقدات سواء کانت سیاسیه أم دینیه أم اجتماعیه،وصار لذلک علماً له قواعده الراسخه،واتجاهاته الواضحه،ووسائله المتعدده.

ومن هنا تظهر أهمیه الإعلام وتتضح مکانته فی حیاه الناس،لا سیما فی ظاهره الاتصال بین الفرد و الشعوب،وهی ظاهره قدیمه،قال تعالی: (یا أَیُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی وَ جَعَلْناکُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاکُمْ) ، (۱)وأعتبر الإعلام فی عصرنا هذا لتغییر الشعوب وصبغتها بالصبغه التی ترید حتّی أطلق علیه عصر الإعلام؛لا لأنّ الإعلام ظاهره جدیده فی تاریخ البشریه،لا بل لأنّ التکتیک الحدیث فی الإعلام المعاصر قد بلغ غایات بعیده جداً فی سعه الأفق وعمق الأثر وقوّه التوجیه.

وکلّما کان السلاح الإعلامی أکثر تأثیراً وفاعلیه کانت المسؤولیه المترتبه علی حمله أخطر وأشد،ولأهمیته ومکانته جُعل من أهم وظائف الأنبیاء علیهم السلام.ونحن الیوم

۱- (۱) .الحجرات:۱۳.

مسئوولون عن إحياء أساليبه التى استخدمها الأنبياء عليهم السلام فى حياتهم الإعلاميه و التبليغيه،فينبغى توجيه الإعلام فى الدول الإسلاميه نحو الأصاله و الذاتيه النابعه من قيم الإسلام ومبادئه،وتنقيه الإعلام إلى جانب التعليم من المؤثرات الغربيه العلمانيه الإلحاديه.

حيث إن الإعلام الناجح يعدّ شاهداً على العصر الذى يعيش فيه،و هو مرآه تعكس ما يدور فى مجتمع من المجتمعات بما ينقله من وسائل واقعيه وأخرى خياليه تقدم للجماهير فلسفه الحياه وأنماطها بما تزخر به من قيم ومبادئ ومعايير واتجاهات.

فعلى المسلمين،وبالذات العلماء و المبلغين و الدعاه أن يدركوا أهميه الجانب الإعلامى،وأن يتداركوا أحوالهم؛لأن عالميه الرساله تقتضى عالميه الخطاب،وعالميه الخطاب لا تبلغ مرادها المطلوب:ما لم تكن عندنا القدره على فهم العالم بعقائده وثقافاته وتاريخه،ومشكلاته وتطلعاته....ومعرفه الأساليب و الوسائل الإعلاميه الحديثه واستخدامها إلى خدمه قضايا أمتنا،ونشر عقيدتنا وفكرنا فنحولها إلى الوجهه الصحيحه لتخدم الأهداف النبيله.

وأساس كلّ هذا،الفهم و التعرّف على أسس ومنطلقات وقواعد الإعلام فى الإسلام،وتبيين أهميته وأهدافه...و هذا ما سنسلط عليه الضوء....فأن الحاجه ماسه وملحه إلى إعلام يقوم على أساليب الإعلام التى جاءت فى القرآن الكريم وسيره الأنبياء عليهم السلام و الحاجه متزايده إلى استنبات وإحياء الطاقات المبدعه و المو هوبه فى عالمنا،فإن إعلامنا الإسلامى بحاجه إلى إحياء لا إلى إنشاء،فيمكننا إحياءه وإنعاشه فى كلّ مجالات الحياه،ويمكن أن يتدّخل فى كل قضيه من القضايا بالدور الملائم و المناسب،ومن المجالات التى يمكن أن يتدخل ويحيا بها الإعلام:

١.إحياءه فى المجالات العقائديه:وذلک بإبلاغها للناس صافيه نقيه،وترسيخها فى نفوس المدعوين،ورد الشبهات التى تثار من قبل المناوئين لصد الآخرين عن الوصول إليها،والاعتقاد بها.

۲.إحیاءه فی المجالات الثقافیه:وذلک من أجل تعمیم الوعی و الفهم،والمجالات التعلیمیه للتفقه و المعرفه،والمجالات التربویه من أجل إیجاد الفرد الصالح السوی.

۳.إحیاءه فی المجالات الاجتماعیه:الرامیه إلی تماسک المجتمع وترابطه،وترسیخ معانی الأخوّه و المحبه و الإیثار فیه،وغرس روح التعاون علی البر و التقوی فیما بینه،وتبدأ أهدافه الإصلاحیه بالفرد،ثمّ الأسره،ثمّ المجتمع،ثمّ الحکم فی آن واحد.

۴.إحیاءه فی المجالات الاقتصادیه:الرامیه إلی تحسین أوضاع الأمه فی الکسب و الإنفاق وترشیدها فی الأخذ و العطاء،والحمایه من الغشّ والاحتکار،والتحذیر من النهب والاستغلال،والمحاربه للربا وأکل الحرام،وعرض أفضل الطرق وأیسرها للتجاره وإداره الأموال دون أن توجد فی الأمه ضیقاً وعنتاً،أو تسبب للدوله أزمه وخنقّاً.

۵.إحیاءه فی المجالات السیاسیه:للتوجیه و الإرشاد،والنصح و المشوره،والتسدید و الإصلاح،وتوثیق العلاقات وتنسیقها بین الحاکم و الأمه علی أساس من العدل و الطاعه والالتزام،والرعایه لمصالح الأمّه،والمحافظه علی أمنها وحریتها،هذا فی الداخل،وتنظیم العلاقات الدولیه وتنظیم مسارها سلماً وحرباً،وصداقهً ومعاهدهً و....

۶.إحیاءه فی المجالات العسکریه الجهادیه:للتوعیه والاستنفار ورفع الروح المعنویه فی صفوف المجاهدین،وللحرب النفسیه فی الأعداء المحاربین،ثمّ لکشف المخططات وفضح المؤامرات،وللإسهام فی التعبئه العامه و الإعداد الشامل من الناحیه الفکریه و المعنویه و الروح القتالیه...

۷.إحیاءه فی المجالات الترفیهیه:للتسلیه و الترویح،ولتجدید النشاط وأداء الواجبات و القیام بالمسؤولیات،کما أنها أیضاً للتدریب علی معانی القوه ووسائل الجهاد فی سبیل الله،و هذه من ممیزات وخصائص اللهو و الترفیه الإسلامی؛لأنه لهو یریح القلب ویدخل السرور و المرح علی النفس،وفی نفس الوقت یتعلم منه الجد و النشاط فی العبادات،ولذلک کان الترفیه فی الإعلام الإسلامی منضبطاً بکونه لا

يتنافى مع الآداب وحسن الأخلاق،ولا يتحول إلى عاده فى كل صباح ومساء،ولكن كما فى الحديث الشريف:<<ساعه وساعه» ، (۱)روى عن أمير المؤمنين عليه السلام:<<أنّ القلوب تملّ كما تملّ الأبدان،فابتغوا لها طرائف الحكمه»، (۲)وعنه أيضاً عليه السلام:<<روحوا القلوب،فأنها إذا أكرهت عميت». (۳)

هذه جمله من المجالات التى يمكن أن يحيى فيها الإعلام الإسلامى ويحقق غاياته النهائيه فى نشر وتعميم الخير و الإيمان فى شتى بقاع الأرض للدنيا و الآخره.

إذاً:فشروط وأساليب التبليغ و الإعلام الصحيح موجوده فى تراثنا،لا كما يتصوّر البعض بأن هذه الشروط و الأساليب و الفنون فى الإعلام و التربيه هى من المبتكرات الحديثه التى ابتكرها الغرب وأخذناها منهم،بل هو موجوده فى تراثنا وكتبنا وسيره أنبيائنا عليهم السلام،وتدخل فى جميع المجالات وتنظم جميع شؤون الحياه،لكنّها تحتاج إلى إحياء وإنعاش ولذا لا بدّ أن يبذل جهد كبير فى سبيل إحياء كل ما أُميت أو يسعَى لأماتته ممّا جاء فى تراثنا،فإذا أحيى وأصِّل وبُين المنهج و الأسلوب و الفنّ الصحيح فى التبليغ و الإعلام،وأُثبتت قواعده واتضحت أمِنّا عليه من التحريف و التأويل البعيد الشاذ،وأمِنّا عليه من أن تتلاعب به الأهواء وشهوات الافتتان أو شهوات الاغتراب،وبهذا يكون كل شيء واضح بيناً محصناً تجاه كلّ دخيل وغريب،سائغاً للعاملين.

۱- (۱) .المعجم الكبير:۱۱/۴.

۲- (۲) .نهج البلاغه:۲۰/۴.انساب الأشراف:۱۳۵.

۳- (۳) .المهذب البارع:۱۷۳/۳.

المبحث الثالث:قواعد الاستفاده من أساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام

ما يزال الاهتمام بتأصيل قواعد الإعلام وأصوله وممارساته من وجهه النظر الإسلاميه محدوداً متناثراً،والمطلوب:أن يتصاعد الاهتمام العلمی بالإعلام الإسلامی تأصیلًا لقواعده وحثّاً علی الالتزام بضوابطه.فیجب علینا اتخاذ الطریق الصحیح،وذلک عبر التوصل إلی منهج علمی وقواعد صحیحه وواضحه یتم علی أساسها التخطیط لإعلامنا الإسلامی....

والحقیقه أنّ الحاجه إلی مثل هذا المنهج و هذه القواعد أضحت الیوم أکثر أهمیه و الحاحاً من أی وقت مضی،ومن هنا فنحن الیوم بأمس الحاجه إلی الاستفاده من القرآن الکریم و الأنبیاء علیهم السلام ومنهجهم فی العملیه التبلیغیه الإعلامیه التغییریه الإصلاحیه،من أجل تغییر وإصلاح أحوال المسلمین وسوقهم باتجاه الإسلام و الخیر،وتعمیق الجذور و العلاقات و النظم الإسلامیه فی المجتمع الإسلامی،وإشاعه النور و الهدی فیه بدلاً من الظلام و الضلال.

ولا شکّ أننا یمکننا أن نستفید من أسالیب تبلیغ الأنبیاء علیهم السلام فی تبلیغنا وإعلامنا المعاصر،وذلک لیس بالشی الغریب بعد أن کانت هناک کثیر من الروابط و المشترکات بین مجتمعاتنا المعاصره وبین تلک المجتمعات الغابره،فأن الإله واحد،والدین واحد-و هو الإسلام-والأنبیاء علیهم السلام یعیشون-أیضا-وحده الأهداف و الغایات و الوسائل و الأسالیب....والإنسان هو الإنسان فی کل زمان فی نوازعه ومیوله....فی مشاعره وأحاسیسه،فلن

يختلف الخطّ العام للأسلوب الحكيم الذى ينفذ إلى تلك المشاعر و الأحاسيس،ويطمأن من تلكم النزعات و الميول،بل تختلف كيفياته وأشكاله ووسائله تبعاً للتطور الفكرى و العقلى والاجتماعى و الثقافى،حسب التطور الزمنى.

ويمكن أن نعرض هنا بعض القواعد المهمّه التى توضح كيفيه الاستفاده من أساليب الأنبياء عليهم السلام فى إعلامنا وتبليغنا المعاصر وهى كالآتى:

القاعده الأولى:المعرفه التامه بأساليب الأنبياء عليهم السلام التى اعتمدوها فى مسيراتهم التبليغيه،وبيانها وتوضيحها وبلورتها بصوره مرتبه وجليه ومنظمه وشامله ومستوعبه لكل أسلوب من الأساليب،و قد تعرضنا لها فى بحوث سابقه.

القاعده الثانيه:المعرفه التامه بكيفيه استخدام الأنبياء عليهم السلام لكل أسلوب من الأساليب وبشرائطه الزمانيه و المكانيه،والإحاطه الشامله بكل الشرائط و الظروف الأخرى التى ينبغى أن تتوفّر حين استخدام أى أسلوب ما.

فمثلاً:نكون على علم بأن الأنبياء عليهم السلام فى أى ظرف وبأى شرائط استخدموا أسلوب اللين؟وبأيها استخدموا أسلوب الموعظه أو التذكير؟وهكذا،ينبغى معرفه خصوصيات وظروف استخدام كلّ أسلوب من الأساليب.

القاعده الثالثه:وهى عباره عن المعرفه التامه و الإدراك الواسع و الكبير-من المبلّغ أو الإعلامى-للعصر الذى يعيش فيه،وفهم معانيه،وتفسيراته،وورداته،وأن ينجح فى ذلك ويتواءم معها،فإذا انحسرنا داخل قشورنا،واستغرقنا فى الانزواء و العالم يسير سابل الزمام،فلا يكون لنا أى دور فى هذه الحياه وحُسِبنَا فى عداد الموتى.

إذاً:فلا بدّ من الإحاطه بالعصر وبمستوى المخاطب الاجتماعى،وبناءه الثقافى،فمبلغينا و المنشغلين بالإعلام فى عصرنا الحاضر بحاجه ماسه إلى متابعه ما وصل إليه العصر من علوم وفنون وتطوّر،وبخلافه يضَلُّ تبليغهم وإعلامهم تبليغاً واعلاماً خاصاً لا

يشمل،ولا يسع الناس عامه؛إذ لا يمكن من يجهل ثقافه عصره ومدى فهمه وأسلوب خطابه أن يفهم إنسان عصره شيئاً.

القاعده الرابعه:المحاوله و السعى و التأكيد على الربط و المقارنه بين كلّ ظرف وشرط زمانى أو مكانى أو أى شرط آخر نعيشه فى حياتنا المعاصره بشبيهه ومثيله فى زمان الأنبياء عليهم السلام ومعرفه ودراسه الطريقه و الأسلوب الذى استخدمه الأنبياء عليهم السلام فى معالجه تلك الظواهر و الحالات الاجتماعيه وغيرها فى تلك المرحله وفى زمانهم, وتطبيق تلك الحاله المشخصه وطريقه وأسلوب معالجتها على الواقع المعاش فى هذا العصر،فأن الأيام و الأحداث تتكرّر عل مرّ العصور،والتاريخ يعيد نفسه؛لأنّ حركه التاريخ محكومه بسنن تاريخيه ثابته جعلها الله تعالى مسيطره عل حركه الإنسان وحاكمه عليها،وعلى طور خطّ حركه البشريه لهذه الحالات وأستهدف معالجتها وتغييرها وإصلاحها.

القاعده الخامسه:توعيه وتعريف الناس بمدرسه الأنبياء عليهم السلام ومناهجهم وأساليبهم،والتركيز على إيقاظ ضمائر المخاطبين وفطرتهم،ثمّ العمل بما ينبغى وما من شأنه أن يدفعهم نحو التفكير و التأمل.

فينبغى أن تكون أول رساله تنقل إلى الجماهير،هى أنّ منهج التكامل الإنسانى هو المنهج الذى بعثه الله تعالى مع الأنبياء عليهم السلام،و هو لا يقتصر على المصالح المعنويه و الأخرويه،بل يضمن أيضاً مصالحه الماديه و الدنيويه،وفى حاله تحقق المجتمع الإنسانى الذى كان ينشده الأنبياء عليهم السلام،يعيش المرء أطيب حياه فى الدنيا و الآخره.

القاعده السادسه:السعى الحثيث،وبذل الجهد الكبير،والإصرار على تطبيق،واستخدام،وتجسيد شروط وأساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام فى التبليغ و الإعلام،وتهيئه الأجواء الملائمه لتحقيق أركانه-التبليغ-الأخلاقيه و العلميه و العمليه،فى هذه المهمه العظيمه-مهمّه الأنبياء عليهم السلام و التى يسميها القرآن الكريم(تبليغ رسالات الله)فعلى المبلّغ أن يتعمّد ويصر على امتثال واعتماد أساليب الأنبياء عليهم السلام فى تبليغه،وعرض

ص:٢٦٣

بحوثه وموضوعاته التبليغيه و الإعلاميه،ويسلسلها حسب أهميتها،وعليه أن يعلم ماذا يجب عليه أن يطرحه،وبأى أسلوب يبينه للناس،ومن أين يبتدئ بالكلام،وما هى الجهه التى يسوق فيها مسار البحث.

القاعده السابعه:تشخيص أسس الواقع المنحرف وطرح البدائل الصالحه،وأهم نقطه يجب التأكيد عليها هى ما أكدّ عليها جميع الأنبياء عليهم السلام،وتصدرت دعواتهم وتبليغهم،ألا وهى:التوحيد وعباده الله،حيث يعجز النبى أو المبلّغ عن الوصول إلى أى هدف من أهدافه أو أى غايه من غاياته بسواها،فالتوحيد هو الأصل و الأساس و الجذر الأول الذى ينبغى علاجه فإذا عولج أصبح النهج السليم لعلاج جميع الأعراض و الظواهر التى لا تعدو كونها نتائج له،و هذه هى من أهم القواعد و الخصائص فى الحركات الرساليه.

قال تعالى حكايه عن نبيه نوح عليه السلام: (قالَ يا قَوْمِ إِنِّی لَکُمْ نَذِیرٌ مُبِینٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِیعُونِ) ، (1)فبعد أن شخص المرض والانحراف و هو الشرك أعطى البدائل و الدواء و هو عباده الله و التقوى و الطاعه،ونستطيع القول:أن عباده الله بديل للأصول المنحرفه،والتقوى بديل للفروع الخاطئه،والطاعه للقياده الرساليه من أجل إصلاح الممارسات اليوميه السلبيه.وبهذا يعرف الناس بعد هدم واقعهم أنهم يسيرون إلى الأمام،حيث أن البدائل المطروحه هى كفوءه وواضحه وكافيه لاستبدالها بواقعهم.

وعليه فما نشهده اليوم من البحوث النفسيه المتعدّده و الدراسات الكثيره حول وسائل وأساليب التأثير على الآخرين،يعتبر شيئاً تافهاً فى مقابل عظمه المنهج القرآنى،خصوصاً وأن البحوث هذه عادةً ما تتعامل مع ظواهر الإنسان وتستهدف الكسب السريع العاجل ولو من خلال التمويه و الخداع،ولكن البرنامج القرآنى يخوض فى أعماق النفس البشريه،ويؤسس قواعد تأثيره على مضمون الإيمان و التقوى.

ص:۲۶۴

۱- (۱) .نوح:۲ و۳.

إذاً:فالجدير بنا اليوم أن نلتزم ببرنامج ديننا،ونعمد إلى نشر رسالتنا فی عالم متلهف إلی قیم السماء.

ولاـ بدّ لنا هنا من ذکر بعض النماذج التطبیقیه لبعض أسالیب الأنبیاء علیهم السلام فی عصرنا الحاضر لنستخلص منها النتیجه النهائیه و الحاسمه،التی تطبع أسالیبنا بالطابع القرآنی النبوی الواقعی:

۱.أسلوب الحکمه:فلاـ بدّ لنا من اعتماد الحکمه فی تبلیغنا وإعلامنا الحاضر،وأن نفهمها الفهم الصحیح،ونضع الأـمور فی مواضعها،فالحکمه قد تقتضی اللین تاره کما فی دعوه موسی علیه السلام لفرعون،قال تعالی: (اذْهَبا إِلی فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغی * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَیِّناً) ، (۱)و قد تقتضی الشدّه تارهً أخری،کما فی قوله تعالی حکایه عن موسی علیه السلام أیضاً: (وَ إِنِّی لَأَظُنُّکَ یا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً) ، (۲)وکذلک بالنسبه لنبینا صلّی الله علیه و آله،فتاره یقول لقریش:<<الیوم یوم المرحمه،الیوم أعز الله فیه قریشاً». (۳)

وتاره یواجه مشرکی قریش بما یکرهون حین أشتدّ شرّهم،وأخذوا یثیرون الفتن و الشبهات،فقال صلّی الله علیه و آله لأبی خلف[حین استفهم بصوره إنکار،عن إمکان إحیاء العظام وهی رمیم]:

«یحیی الله هذا, ثمّ یمیتک, ثمّ یبعثک فی الآخره ویدخلک النار». (۴)

و إذا أردنا أن نمثل لاتخاذ أسلوب الحکمه وتطبیقها فی عصرنا الحاضر فمن مصادیق الحکمه أن نجمع بین البرامج الجذابه و البرامج التی قد یحصل للإنسان منها الملل و الضجر،کالجمع بین الأحکام و الکمبیوتر،والقرآن و الخیاطه مثلاً،أو قبل بثّ برنامج سینمائی ممتع أو مسرحیه،یستغل المبلّغ الفرصه المناسبه ویبین رسالته وهدفه

۱- (۱) .طه:۴۳ و۴۴.

۲- (۲) .الإسراء:۱۰۲.

۳- (۳) .السیره الحلبیه:۲۲/۳.

۴- (۴) .تفسیر مقاتل بن سلیمان:۲۳۰/۳.

من خلال(۱۰-۱۵)دقیقه،فیمکننا طرح ما یجری من الخلافات فی ساحتنا الإسلامیه،کما فی الخلافات بین السنه و الشیعه.

فقد لا یکون من الحکمه أنّ نبادر إلی طرح قضایا الاختلاف و النزاع بینهما فی بدایه اللقاء و الحوار،سواء ما یتعلق منهما بتفاصیل العقیده أو بموضوع الخلافه أو بمفردات الشریعه،بل علینا أن نعمل علی طرح موارد الوفاق،أو ما تقتضیه الحکمه؛لأننا إذا اتبعنا الأسلوب الأول،فأننا نوحی إلی الطرف الآخر بأن الموقف هو موقف صراع یبحث فیه کل طرف عن أدواته التی یحارب بها الطرف الآخر،أو عن الکلمات و المواقف التی یحاول أن یسجل من خلالها نقطه علی حساب الفریق الثانی،فتکون الروح التی تحکم الساحه هی روح المعرکه الحاده.

أما إذا اتبعنا الأسلوب الآخر بأن آثرنا القضایا المتعلقه بأسس العقیده و الشریعه،وأکدنا علیها فی استعراض شامل یستوعب أکثر هذه الجوانب،فأننا سوف نعیش الجو الروحی الإسلامی الواقعی،والأجواء الحمیمّه التی تثیر المشاعر الإنسانیه بالعاطفه....ممّا یحقق للموقف مزیداً من المرونه و الشعور بالمسؤولیه،فیساعد علی الوصول إلی القناعه الموحده أو المتقاربه؛لأنّ هذا الأسلوب یجعل القضیه سائره فی الاتجاه الفکری الذی یلاحق أدوات الفکر وروحیاته وأسالیبه،ولا یجعلها سائره فی الاتجاه الانفعالی الذی یعتمد علی عناصر الإثاره فی المشاعر و الأفکار و الکلمات....وبذلک نبتعد عن أجواء التعصب الذی یتجمد فیه الإنسان أمام قناعاته الخاصّه،ولا یتحرّک خطوه واحده إلی الأمام فی مجال التبلیغ و الإعلام،ومجالات اللقاء مع الآخرین،فیبقی متقوقع علی مواقعه الفکریه و العملیه،بروح متزمته حاقده.

إذاً:فیمکننا من خلال اعتمادنا أسلوب الحکمه أن نصل إلی نتائج کبیره،وتحصیل قناعات نهائیه تضمن لنا النجاح فی وظیفتنا التبلیغیه.

۲.الحوار و المناقشه:إنّ الحوار و النقاش و التفاهم هو سبیل وسیط للوصول إلی نقطه الیقین فیما یسمع أو یقرأ أو کلیهما معاً.

إنّ الإعلام اليوم يمر بمرحله جديده فى عناوينها،وتفصيل مضامينها،وعروض موادها المرئيه و المسموعه و المقروءه،وهى مرحله تدعو المشاهد إجباراً أن يكون طرفاً متحاوراً معها،ولو من خلال حوار الذات الإنسانيه مع الأحداث التى تحتاج إلى امتلاك ملكه البصيره قبل البصر.

ومن هنا يمكننا أن نوظّف الحوار فى إعلامنا المعاصر،ونوصل من خلاله رسالتنا إلى كل العالم،على شرط أن يكون مقدموا البرامج الحواريه،ما كان منها سياسى أو ثقافى أو اجتماعى على خلفيات ثقافيه وإلمام كامل ببرنامجهم الحوارى،لا أن يتحول الحوار إلى سؤال وجواب،وبذلك يفقد البرنامج صفه الحوار الحرّ المفتوح،الذى يشبع رغبه المشاهد،من خلال إشباع الموضوع المطروح للحوار و المناقشه.

۳.الحسم:نحن اليوم بحاجه إلى تطبيق أسلوب الحسم،والتأكيد على عقيدتنا وثوابتنا فى مواقع خاصّه،وخصوصاً حينما نسمع بعض الكلمات و الأفكار التى تثار أمام عامّه الناس من خلال ما يطرحه الكفر والانحراف من مبادئ،كالشيوعيه،والاشتراكيه،والديمقراطيه،وغيرها من المبادئ الفلسفيه،والاقتصاديه،والسياسيه،فيحاولون الإيحاء للمسلمين البسطاء بالتقاء الإسلام بها وانتماءه إليها فى مفاهيمه وتشريعاته من أجل أن يضلّلوهم ويسدّوا عليهم طريق الاعتراض و المناقشه،أو يحرّضوهم-بصوره غير مباشره-على تغيير مضمون دينهم وإسلامهم بما يتناسب مع هذه المبادئ.

من بعض مظاهر ذلك،أنّ بعض المبلّغين أو الإعلاميين قال:إنّ الإسلام ديمقراطى،حين قال قائل الكفر:أنّه استبدادى.

وقال:إنّ الإسلام لا يهاجم أحداً ولا يفتح بلداً،حين قال قائل الكفر:أنّه انتشر بالسيف،وقال:إنّ التعدّد رخصه لا تباح إلّا لضروره،حين قال قائل الكفر:إنّه ظَلَم المرأه.

وقال الزائغ:إنّ اليهود و النصارى مؤمنون ولهم فى الجنه نصيب،حين قال الزنديق:إنّ الإسلام يلغى الآخر ولا يعترف به.

ص:۲۶۷

إذاً فنحن بحاجه إلى تطبيق أسلوب الحسم و الإصرار على عقيدتنا ومبادئنا فی كثير من الحالات،فنقف بوضوح ودون مداهنه ونقول كما فی قوله تعالی: (قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ * لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ) . (۱)

۴.المقارنه:يمكننا استعمال أسلوب المقارنه حالياً حينما نقارن بين الشعوب الكافره و الشعوب المؤمنه وحالاتها وأخلاقها وانسجامها،وأن نقارن مثلاً بين الشعوب التی تسعی للحرب و القتال،وبين الشعوب الآمنه و التی تطلب السلام،وهكذا يمكننا أن نوصل كثير ممّا عندنا وممّا نحمله من رسائل بهذه الطريقه و هذا الأسلوب،و هو أسلوب المقارنه.

۵.بيان المشتركات:فيمكننا دعوه المشركين أو أهل الكتاب إلی ما نحن متفقون عليه قال تعالی: (قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلی كَلِمَهٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ...) ، (۲)فنركّز على المشتركات بيننا ومن أهمّها عباده الله،فالمولی سبحانه وتعالی لا يرضی عمّن يتعامل بسوء مع من يذكره،ولا ممّن يقطع الصله ممّن ارتبطوا به،ولو بكلمه التوحيد وحدها.

وفی الحقيقه إنّ مدی ارتباط المبلّغ بالله سبحانه يتبين ممّا يمدّه من عری العلاقه مع كلّ من له ارتباط بالله،فمقياس علاقتنا مع مخاطبينا هو نسبه علاقتهم بالله سبحانه،والمبلّغون و الإعلاميون و المرشدون ينبغی أن يراعوا هذا الأمر أكثر من غيرهم،فيدعون الناس لا إلی مشربهم الخاصّ بل إلی الله إذا كان المدعو كتابی أو إلی الإسلام-إذا كان المدعوين من مذاهب مختلفه-ولعل انبساط هذا الشعور،وتأكيد و الإصرار على هذا الأسلوب هو أهمّ عامل فی دفع الجماعات و المشارب المختلفه إلی الاتحاد وجعلهم كالجسد الواحد.

۶.التدرّج:فبإمكاننا اليوم اعتماد أسلوب التدرّج فی فرض قانون أو أمر معين،أو

۱- (۱) .الكافرون:۱ و۲.

۲- (۲) .آل عمران:۶۴.

علاج ومنع أمر مستشری فی المجتمع کمنع التدخین أو غیره من الأمور التی تصعب معالجتها ومنعها مباشره،فعلینا الاستفاده من أسالیب الأنبیاء علیهم السلام فی کیفیه معالجه أمثالها فی عصورهم،کمعالجه الإسلام لشرب الخمر وانتشار الربا باعتماد أسلوب التدرج فی ذلک.

هذه نماذج ممّا یمکننا استفادته من أسالیب الأنبیاء علیهم السلام فی تبلیغنا وإعلامنا المعاصر،علماً أن بإمکاننا الاستفاده من جمیع الأسالیب الأخری،کالتذکیر،والتمثیل و التشبیه،والاحتجاج،والجدل،والاستفهام،والترغیب و الترهیب،والتذکیر،والتلقین،وتطبیق کل أسالیب الأنبیاء علیهم السلام.

ص:۲۶۹

المبحث الرابع:إصلاح المؤسّسات الإعلاميه

إنّ ميدان الإصلاح و التغيير الواقعی يتمّ عبر الإسهام الإيجابی فی إصلاح أوضاع المؤسسات الإعلاميه القائمه فی العالم الإسلامی،بأن يبدأ الإصلاح الواقعی من محاوله إيجاد قنوات التواصل و التعاون بين المهتمّين بشؤون التبليغ و الإعلام و الإرشاد الإسلامی.

قد مضی زمان كان التبليغ و الإعلام فيه قائم علی جهود فرديه،واجتهادات شخصيه،أثمرت خيراً أحياناً،وخلّفت شرور فی أحيان أخری،أمّا فی زماننا هذا فلابدّ أن يتوفّر التخطيط للتبليغ و الإعلام علی هيئات ورجال،وبحوث ودراسات؛حتی ندرك من سبقنا ونصلح ما أفسد غيرنا،أما التخبّط والارتجال و الفوضی،فلا تصلح لزمان قد صارت فيه لغه الأرقام و الإحصائيات هی المعوّل عليها فی كلّ شیء،فالإعلام اليوم يعدّ علماً له قواعده وأصوله،والممارسه العمليه لم تُعدّ كافيه للتقدّم فی المسيره الإعلاميه من صحافه مكتوبه ومرئيه ومسموعه،وسينما وإعلان ودعايه...إنّ معظم دول العالم قد أنشأت معاهداً ومراكزاً جامعيه للتخصّص فی دراسه علوم الإعلام وفنونه.

و إذا قرأنا فی تاريخ الإعلام وتطوّر وسائله وأساليبه سنفهم لم وصف هذا العصر بعصر المعلومات و المعلوماتيه،ويمكننا القول أنّ الأقوياء هم الذين يمتلكون الإعلام،ويسيطرون علی قنوات الاتصال التی ينتقل الإعلام من خلالها إلی الجماهير الواسعه فتتأثر به ويؤثر بها.

ص:٢٧١

و قد أدرك أعداؤنا من اليهود الصهاينه،وقوى الاستكبار و الضلال،قوّه وتأثير سلاح الإعلام على الرأى العام و الدعايه السياسيه،ممّا دفع بالمنظمّات الصهيونيه إلى امتلاك أهمّ وأكبر المؤسسات الإعلاميه فى العالم،لتحقيق استراتيجيها فى العالم،وتشويه صوره المسلمين أمام الرأى العام العالمى،فحصرت ملكيه هذه الوسائل،سواء فى داخل إسرائيل أو خارجها بمؤسّسات وتنظيمات تلتزم تنفيذ سياستها على تحقيق مآربها،ولكسب المزيد من الرأى العام العالمى لتأييد إسرائيل من جهه،وتشويه صوره المسلمين من جهه أخرى.

وهكذا الأمريكيون و الغرب بصوره عامّه،فقد سخّروا مؤسّساتهم ووسائلهم الإعلاميه المتعدده،وأساليبهم الإخباريه المختلفه لخدمه أهدافهم،وتعزيز سيطرتهم،وفرض نفوذهم وسلطتهم على شعوبنا الإسلاميه،الغنيه بالثروات و الخيرات،وكسب الرأى العام لذلك من خلال التضليل الإعلامى،فاتّخذ الأمريكيون-مثلاً-محطّات بعينها،وضيفتها تبرّر حروبها على العالم بسلاسه المنطق،وتنوّع الأساليب،خاصه وأنّها تقدّم تحت شعارات جذّابه مثل الديمقراطيه،وإحلال السلام،وتمكين الإنسان من نيل حقوقه التى افترستها الأنظمه الشموليه القمعيه،هكذا يسعون ويعملون لتضليل الناس،ومن هنا تعظم مسؤوليتنا فى تحمل مهام المواجهه التبليغيه و الإعلاميه،ونشر ما نحمله من رساله إلى العالم،ولا نبخس المصلحين الغيارى جهودهم فى المحافظه على سمّو وارتقاء أمّتهم وحفظ مستقبلها من الضياع،ولكن نجدها بدايات متواضعه،واجتهادات بسيطه لا تمكنهم من الاضطلاع بمهامّ تبليغيه إعلاميه أكثر تأثيراً،وأوسع انتشاراً،وعليه فلابد من التوجه إلى الجهد الجماعى،والعمل المؤسّساتى الذى يعد اليوم ركناً بالغ الأهميه فى أكثر مرافق الحياه العامه،فمن الصعب العثور على جهود فرديه ناجحه ومثمره ومؤثّره إلّا فى حالات قليله ونادره،فالعلوم لم تعد بذلك الحجم الذى يمكن لفرد واحد استيعابها وحل معضلاتها،والحياه السياسيه والاجتماعيه بلغت من التعقيد و التداخل حدّاً،يجعل الفرد نقطه أمام بحر عظيم من الأحداث و الوقائع المتلاحقه و المتلاطمه.

ويقوم هذا الجهد الجماعى على مبدأ الاستشاره،وعلى مبدأ تبادل الأفكار و الآراء،وقلع

جذور الاحتكار والاستبداد العلميين و العمليين،و هو ما من شأنه عاده ترشيد الأفكار وتحسين الأداء وديمومه التكَيف و التفاعل،وتجويد الإنتاج ورفع مستوى الوعى العام و العقل الجمعى.

ويؤيد هذا ويشهد له كثير من النصوص القرآنيه و الروائيه،وكذلك الوقائع التاريخيه،سيما ما جرى فى التجربه النبويه الرائده فى المدينه المنوره.

وعليه فحينئذٍ يمكننا أن نوجّه خطاب موحد نخاطب به الغرب و الشرق ونوضح فيه عظمه الإسلام وسماحته،ونطرحه بأقوى ما يمكن عن طريق المحاضرات،والندوات،واللقاءات،والمنشورات و الدعايات،فى الصحف و الكراسات،والإذاعات،وعلى شبكه الإنترنت و الفضائيات لما تتمتع به من سعه فى الانتشار و التأثير خاصه لدى الجماهير فى المجتمعات الناميه،وتسخير الجهود من مال ورجال،وخبرات ووقت،وقبل ذلك التخطيط المناسب لتنفيذ ذلك فى كل أنحاء العالم،وعلى كافّه المستويات.

ولابدّ من أن نشير هنا إلى ضروره بقاء المؤسّسات و القائمين عليها على الأهداف و الغايات الإسلاميه الحقّه،وأن لا تتحوّل إلى دكاكين،وأن لا يكون المال غايه بعد أن كان وسيله؛كما نشاهده فى كثير من المؤسّسات الدينيه التى انطلق أصحابها من موقع الفكره الرساليه فى البدايه،حتى إذا اندمجوا فيها وعاشوا فى الأجواء الماديه التى تفرضها العلاقات والالتزامات،تحولوا إلى أشخاص جامدين لا يملكون أيه حيويه،روحيه فى هذا المجال،بل ربّما تبدأ العقليه الفرديه الضيقه فى التحكم بطبيعه المؤسّسات وخطواتها العمليه،فتتحول إلى شىء يخص الشخص أو الجهه،فيما يفرضه المزاج أو تدعو إليه المصلحه الخاصه،و قد يحدث فى هذا الجو أن يبدأ الصراع بين مؤسّسه وأخرى من خلال تعارض المصالح الفرديه للقائمين عليها،أو لتصادم الخطوط التى يسير عليها هذا أو ذاك،وبذلك تصبح المؤسّسات الدينيه خطراً على العمل الدينى بما تثيره من أجواء الحقد و البغضاء و التنافس الفردى على الأطماع والامتيازات،وبما تتحرك فيه من أساليب وشعارات تستخدم القيم الدينيه للمحافظه على أطماع الدنيا وشهواتها،وربما كان السرّ فى ذلك هو الابتعاد عن الله و الأنبياء عليهم السلام والاستغراق فى ظلمات الذات.

الخاتمه

اشاره

وأظنّ أن هـذه المحاوله قـد اسـتطاعت أن ترسم وتبين-إلى حـد ما-أساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السـلام،كما ربما تكون قد نجحت فى أن تلقى بعض الضوء على بعض النماذج التطبيقيه لهذه الأساليب التبليغيه.

وهكـذا اسـتطعنا أن نتعرف على ما ينبغى أن يتحلّى به المبلّغ, وعلى الشـرائط اللازمه للتبليغ الناجح؛وتعرّفنا على أنّ الأسـلوب هو جزء من العمل و هو خاضع للحكم الشـرعى،ومن هنا فنحن المسـلمين،لا نسـتطيع أن نسـير مع سياسه اللّف و الدوران التى يتبعها الكـثيرون،أو الأـكثريه مـن مبلّغى المبـادئ الكـافره الضـالّه؛لأنهـا لاـ تنسـجم مـع رسـاله السـماء،ومبـادئ الإسـلام ونظـافه وسـائله،وأهـدافه،وأسـاليبه،و إنّمـا هى الصـراحه فى الفكره،والصـدق فى القـول و العمـل،والإخلاـص لله...والاسـتقامه فى الطريق...طريق السـير و العمل فى سبيل الله...الذى حدّده الله فى كتابه...وجسده الأنبياء عليهم السـلام فى مسيراتهم،فلا لبس عليه ولا غموض ولا التواء ولا انحراف.

نتائج البحث

يمكننا تحديد ما توصلنا إليه فى هذا الكتاب ضمن نقاط:

ص:۲۷۵

۱.توصلنا إلى أنّ عرض ونشر الصوره الإسلاميه و الرساله الإلهيه واجب العلماء و المفكرين و المبلّغين و الإعلاميين المسلمين،و أنّ التبليغ الإسلامی يقوم على أساس من القرآن الكريم و الأخلاق و الشروط الصحيحه،وأساليب الأنبياء عليهم السلام التی تشكّل محوراً مشتركاً لكلّ المبلّغين و الإعلاميين الساعين نحو قيام معرفه وثقافه سليمه.

۲.التأكيد على العناصر الثقافيه الغنيه للحضاره الإسلاميه القرآنيه،وتقويه عناصر الهويه الواحده للأمه الإسلاميه،والسعی لوحدتها،وتقويه قدره الجيل الشابّ المتطلّع إلى التعرّف إلى هويته المستقلّه.

۳.تعرّفنا على الصوره المغرضه و المشوّهه التظليليه المعروضه عن الإسلام و المنهج الإلهی،واستبدلناها بالصوره الواقعيه و الإنسانيه للتعليمات الإلهيه،التی تتطلّب التعاون بين وكالات الأنباء،ووسائل التبليغ و الإعلام المسموعه و المرئيه و المقروءه و العمل الجادّ لإيجاد شبكات إسلاميه مستقلّه لتحقيق هذا الغرض.

۴.العمل على الاستفاده الصحيحه و الأخلاقيه من تقنيه المعلومات والاتصالات الحديثه،والتخطيط للاستفاده منها فی مجال التربيه و التعليم العام و الجامعی للأقطار الإسلاميه،وتوفير الأرضيه الصالحه للاستفاده العلميه و الإعلاميه السليمه من الإنترنت.

۵.يستطيع الكتّاب و المحقّقون،والفنّانون و الشعراء،أن يساهموا فی رفع مستوى الوعی و المعرفه لدى جيل الشباب المسلم عبر عرض النماذج الإسلاميه الدينيه الثقافيه الرائعه،وإنتاج الآثار الغنيه بشتّى أنواعها،وينبغی أن يزامن تطور التخطيط التأكيد على الأصاله.

۶.أنّ من واجب العلماء و المفكرين و المبلّغين و الإعلاميين المسلمين اليوم بذل أقصى الجهود للتوعيه بالتحدّيات الفكريه فی العالم من قبيل:العولمه،والتخلف الاقتصادی،والعلمانيه،وحقوق الإنسان و الموقف من الإرهاب،والسياده الشعبيه فی أطار القيم الدينيه،والتعريف بأساليب العمل و التبليغ الإسلامی تجاهها،و إن اتساع التعاون الفكری وإقامه المؤتمرات،والاجتماعات الدوليه يمكنها تسريع وتعميق الحركه التبليغيه للفكر

الإسلامی،وترک الأثر الکبیر فی التفهّم الأوسع لرساله الإسلام العالمیه.

۷.إن الحوار بین الثقافات و التواصل الفکری بین الأدیان،والتقریب بین المذاهب الإسلامیه یعدّ تحرکاً واعداً یسهم فی تحقیق العالمیه الدینیه الإنسانیه)ویفضح التحرّک المتمحور حول ادعاء صراع الحضارات،وإحیاء الحروب باسم الدین و النزاعات الطائفیه فیرفع الستار،ویضع النقاط علی الحروف.

هذا مجمل ما توصلنا إلیه،ولا أحسب أنّه کل شیء فی سبیل التغییر الواقعی العملی،فإن القضیه أخطر من أن تعالج من الجانب النظری و الفکری فحسب...وإنما هی فی حاجه إلی المعالجه العملیه الواعیه الدائبه التی تعیش الحذر و الحکمه و الترقّب بکل جوانبها ووسائلها وأسالیبها...فهی دائماً تلاحق خطی العاملین وتراقبها،فتحسّ بالعثرات،وتدرک الأخطاء التی تقع والانحرافات التی تحدث،لتنبّه وتشیر وتوجه،فتقی العثره،وتصلح الأخطاء،وتصحح الانحراف.

وما أقترحه وأودّ أن نتوصّل إلیه،هو دراسه موسّعه لحیاه المبلّغین بعد نبینا صلّی الله علیه و آله أعلام الهدی وأهل بیته علیهم السلام فإنّهم عاشوا مختلف الظروف وفی مختلف الأزمنه و الأمکنه،فیمکن للباحث أن یجد فی حیاتهم العملیه و العلمیه التبلیغیه مختلف الأسالیب المهمّه،التی استخدموها فی مختلف الظروف و الشرائط،فحیاتهم علیهم السلام غنیه فی کلّ ما نحتاجه وفیها کلّ معالم الخیر و الصلاح.

وفی النهایه لابد للعاملین فی سبیل الله،إزاء هذه المجالات التی تحدّدها طبیعه الزمان و المکان و الأشخاص و الظروف و الشرائط من ملاحظه ما تقتضیه الحکمه فی کلّ مجال...ومراقبه الله فی کلّ أسلوب یتّبعونه،وکلّ حرکه یتحرکونها؛فإنّه لا یمکن بأی حال من الأحوال أن یکون الأسلوب العملی للإسلام منحرفاً عن مبادئ الإسلام التی تفرض نظافه الوسیله إلی جانب نظافه الغایه،وإلّا فإنّ الله لا یمکن أن یطاع من حیث یعصی.

قال تعالى: (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ) ، (۱)وقال تعالى: (قُلْ هذِهِ سَبِیلِی أَدْعُوا إِلَی اللّهِ عَلی بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی) ، (۲)وقال تعالى: (فَلِذلِکَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ کَما أُمِرْتَ) ، (۳)وقال عز وجلّ: (وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَی اللّهِ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ قالَ إِنَّنِی مِنَ الْمُسْلِمِینَ) . (۴)

وبعد،فهذه أساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السلام مستلهمه من القرآن الكريم،وتلك هى الشروط و الظروف التى ينبغى أن تتوفّر فى سبيل نجاح التبليغ....

و قد حاولنا-جهد الإمكان-إيضاح الفكره وجلائها،فإنّ قُدّر لنا النجاح فيما حاولناه،فهو غايه ما نتمناه وإلّا فحسبنا من عملنا هذا أن ينال رضا الله تعالى،وأن يرسم بعض الخطوط ويشقّ الدرب للآخرين...والله من وراء القصد،و هو حسبنا ونعم الوكيل،وله الحمد أوّلاً وآخراً إنّه ولى التوفيق.

۱- (۱) .النحل:۱۲۵.

۲- (۲) .یوسف:۱۰۸.

۳- (۳) .الشورى:۱۵.

۴- (۴) .فصلت:۳۳.

فهرس المصادر

القرآن الكريم.

۱.أجوبه مسائل جار الله،شرف الدّين،السيد عبد الحسين،مطبعه العرفان،صيدا،الطبعه الثّانيه, ۱۳۷۳ه.

۲.أخلاقيه الإعلام الإسلامی, عبد الوهاب،د.صباح،دار الإيمان, دمشق, ۱۴۲۱ه.

۳.إرشاد الأذهان فی تفسير القرآن،السبزواری،محمد بن حبيب الله،دار التعارف للمطبوعات،بيروت،الطبعه الأولی, ۱۴۱۹ه.

۴.أعلام الدّين فی صفات المؤمنين،الديلمی،الحسن بن أبی الحسن،تحقيق ونشر:مؤسسه آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث،قم،۱۴۱۴ه.

۵.أعيان الشيعه, الأمين،السيد محسن،تحقيق وتخريج:حسن الأمين،دار التعارف للمطبوعات،بيروت،الطبعه الأولی.

۶.آلاء الرحمن فی تفسير القرآن،البلاغی،محمد جواد،مكتبه الوجدانی،قم،الطبعه الثّانيه.

۷.الاحتجاج, الطبرسی, احمد بن علی, تحقيق:محمد باقر الخرسان, دار النعمان للطباعه و النشر, النجف الاشرف, ۱۳۸۶ه, ۱۹۶۶م.

۸.الاختصاص،المفيد،محمد بن محمد بن النعمان،مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرسين فی الحوزه العلميه،قم،الطبعه السادسه, ۱۴۱۸ه.

ص:۲۷۹

٩.الأسلوب،الشائب،أحمد،دراسه بلاغيه تحليليه لأصول الأساليب الأدبيه دار الفكر للطباعه و النشر و التوزيع, بيروت, ١۴٢٢ه.

١٠.الأصفى فى تفسير القران, الفيض الكاشانى, محمد محسن, تحقيق:محمد حسين درايتى, محمد رضا نعمتى, مكتب الإعلام الإسلامى, مركز النشر, قم, ١۴١٨ه.

١١.الأغانى, الأصفهانى،على بن الحسين أبى الفرج, تحقيق:لجنه من الأدباء بإشراف عبد الستار احمد الفراج, دار الثقافه, بيروت, ١۴١٠ه/١٩٩٠م.

١٢.الاقتصاد الهادى إلى طريق الرشاد،الطوسى،محمد بن الحسن،تحقيق:حسن سعيد, مكتب جامع جهلستون،١۴٠٠ه.

١٣.الأمالى،الصدوق،محمد بن على بن الحسين بن بابويه،تحقيق:قسم الدراسات الإسلاميه،مؤسسه البعثه،قم،مركز الطباعه و النشر فى مؤسسه البعثه،الطبعه الأولى, ١۴١٧ه.

١۴.الأمالى،المرتضى،على ابن الطاهر،تحقيق:السيد محمد بدر الدّين النعمانى الحلبى،منشورات مكتبه آيه الله العظمى المرعشى النجفى،الطبعه الأولى, ١٣٢۵ه.

١۵.الأمثل فى تفسير كتاب الله المُنزل،مكارم الشيرازى،ناصر،مدرسه الإمام على بن أبى طالب،الطبعه الأولى, ١۴٢١ه.

١۶.الأنبياء عليهم السلام حياتهم-قصصهم،الحسنى العاملى،عبد الصاحب،مؤسسه الاعلمى للمطبوعات،بيروت،لبنان،الطبعه الثّانيه, ١۴٢٣ه/٢٠٠٢م.

١٧.البرهان فى علوم القرآن،الزركشى،بدر الدّين محمد بن عبد الله،تحقيق:ابو الفضل إبراهيم, دار إحياء الكتب العربيه،الطبعه الأولى, ١٣٧۶ه/١٩۵٧م.

١٨.البيان وفن الخطابه،فلسفى،محمد تقى،مؤسسه البعثه للطباعه و النشر و التوزيع،بيروت،الطبعه الأولى, ١۴١٢ه/١٩٩٢م.

١٩.التبيان فى تفسير القرآن،الطوسى،محمد بن الحسن،تحقيق:احمد حبيب قيصر العاملى, مكتبه الإعلام الإسلامى،دار إحياء التراث العربى،الطبعه الأولى,١۴٠٩ه.

٢٠.التفسير الصافى, الفيض الكاشانى, محسن, مكتبه الصدر, طهران, ١۴١۶ه.

٢١.التفسير الكبير،الرازى،فخر الدّين محمد بن عمر بن الحسين, دار الكتب العلميه،بيروت،الطبعه الثّانيه, ١۴٢۵ه/٢٠٠۴م.

٢٢.التفسير الوسيط،الزحيلى،وهبه بن مصطفى،دار الفكر،دمشق،الطبعه الأولى, ١۴٢٢ه.

۲۳.الجامع الصغیر, السیوطی, جلال الدین عبد الرحمان, دار الفکر للطباعه و النشر،بیروت, الطبعه الأولی, ۱۴۰۱ه/۱۹۸۱م.

۲۴.الجدید فی تفسیر القرآن, السبزواری،محمد بن حبیب الله،دار التعارف للمطبوعات،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۰۶ه.

۲۵.الحدائق الناظره, البحرانی, یوسف, مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرسین, قم, ۱۳۶۳ه.

۲۶.الخصال،الصدوق،محمد بن علی بن الحسین بن بابویه،تحقیق:علی أکبر الغفاری،منشورات جماعه المدرسین فی الحوزه العلمیه،قم،۱۴۰۳ه.

۲۷.الدر المنثور،السیوطی،جلال الدّین عبد الرحمان،دار المعرفه للطباعه و النشر،بیروت.

۲۸.الدّعوه إلی الله تعالی،آل نواب،د.عبد الرب،دار القلم،دمشق،الدار الشامیه،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۱۰ه.

۲۹.الدّعوه و الدعاه بین الواقع و الهدف،الصباغ،د.بسام, دار الإیمان،دمشق،الطبعه الأولی, ۱۴۲۰ ه/۲۰۰۰م.

۳۰.الرواشح السماویه،الاسترآبادی،محمد باقر،تحقیق:غلام حسین قیصیره ها،نعمه الله الجلیلی،دار الحدیث للطباعه و النشر،قم،الطبعه الأولی, ۱۴۲۲ه.

۳۱.السیره الحلبیه, الحلبی, علی ابن إبراهیم, دار المعرفه, بیروت, ۱۴۰۰ه.

۳۲.السیره النبویه،ابن کثیر،أبی الفداء إسماعیل،تحقیق:مصطفی عبد الواحد،دار المعرفه،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۳۹۶ه/۱۹۷۱م.

۳۳.الصحاح،الجوهری،إسماعیل بن حماد،تحقیق:احمد عبد الغفور عطار, دار العلم للملایین،بیروت،الطبعه الرّابعه, ۱۴۰۷ه/۱۹۸۷م.

۳۴.العقیده الإسلامیه علی ضوء مدرسه أهل البیت،السبحانی،جعفر،تحقیق و ترجمه:جعفر الهادی, مؤسسه الإمام الصادق علیه السلام،الطبعه الأولی, ۱۴۱۹ه/۱۹۹۸م.

۳۵.الغدیر،الامینی،عبد الحسین،دار الکتاب العربی،بیروت،الطبعه الرّابعه, ۱۳۹۸ه/۱۹۷۷م.

۳۶.الفایق فی غریب الحدیث،الزمخشری،جار الله, دار الکتب العلمیه،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۱۷ه/۱۹۹۶م.

۳۷.الفرقان فی تفسیر القرآن،الصادقی الطهرانی،محمد،انتشارات الثقافه الإسلامیه،الطبعه الثّانیه, ۱۳۶۵ه.ش.

۳۸.الفروق اللغویه،العسکری،أبو الهلال،تحقیق ونشر:مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرسین, قم،الطبعه الأولی, ۱۴۱۲ه.

۳۹.القادیانیه،الظاهر العاملی،سلیمان،الغدیر للدراسات و النشر،بیروت،الطبعه الأولی,۱۴۲۰ه/۱۹۹۹م.

۴۰.القاموس الفقهی،أبو حبیب،د.سعدی،دار الفکر،دمشق،الطبعه الثّانیه, ۱۴۰۸ه/۱۹۸۸م.

۴۱.القاموس المحیط, الفیروز آبادی،نصر الهورینی،دار عالم الکتاب, الریاض, الطبعه الأولی, ۱۴۱۷ه.

۴۲.القرآن و التبلیغ،قراءتی،محسن،مؤسسه النشر الإسلامی،قم،الطبعه الثّانیه, ۱۴۱۷ه.

۴۳.القصص القرآنی فی منطوقه ومفهومه،الخطیب،عبد الکریم،دار المعرفه, بیروت, الطبعه الأولی, ۱۳۹۵ه.

۴۴.الکافی،الکلینی،محمد بن یعقوب،تحقیق:علی اکبر غفاری،دار الکتب الإسلامیه،آخوندی،الطبعه الثّانیه, ۱۳۸۹ه.

۴۵.الکامل فی التاریخ, ابن الأثیر, عز الدین علی بن أبی الکرم, دار صادر للطباعه و النشر, بیروت, ۱۳۸۶ه/۱۹۶۶م.

۴۶.الکشاف عن حقائق التنزیل وعیون الأقاویل،الزمخشری،جار الله،شرکه مکتبه ومطبعه مصطفی البابی الحلبی وأولاده،مصر،الطبعه الأخیره, ۱۳۸۵ه/۱۹۶۶م.

۴۷.المزار،ابن المشهدی،محمد،تحقیق:جواد القیومی الأصفهانی, نشر القیومی, قم،الطبعه الأولی,۱۴۱۹ه.

۴۸.المستفاد من قصص القرآن،زیدان،د.عبد الکریم،مؤسسه الرساله،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۱۸ه/۱۹۹۷م.

۴۹.المعجم الکبیر،الطبرانی،سلیمان بن أحمد،تحقیق:حمدی عبد المجید السلفی،دار إحیاء التراث العربی،الطبعه الثّانیه،۱۴۰۴ه.

۵۰.المعجم الوسیط،أنیس،د.إبراهیم،دار الفکر،۱۴۱۰ه.

۵۱.المعجم فی فقه لغه القرآن،الخراسانی،محمد واعظ زاده،مؤسسه الطّبع و النشر التابعه للآستانه الرضویه المقدّسه،الطبعه الأولی, ۱۴۱۹ه.[تم إعداد المعجم فی قسم القرآن فی مجمع البحوث الإسلامیه،بإشراف الخراسانی].

ص:۲۸۲

۵۲.المقنعه, المفید, محمد بن محمد بن النعمان, تحقیق ونشر:مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجامعه المدرسین, قم, الطبعه الثانیه, ۱۴۱۰ه.

۵۳.الملحمه الحسینیه،المطهری،مرتضی،المركز العالمی للدراسات الإسلامیه،قم, الطبعه الثّالثه, ۱۴۱۳ه/۱۹۹۲م.

۵۴.المهذب البارع, الحلی, جمال الدین احمد ابن محمد, تحقیق:مجتبی العراقی, مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجامعه المدرسین, قم, ۱۴۰۷ه.

۵۵.المیزان فی تفسیر القرآن،الطباطبائی،محمد حسین, مؤسسه الاعلمی للمطبوعات،بیروت،الطبعه الأولی المحققه, ۱۴۱۷ه/۱۹۹۷م.

۵۶.النکت الاعتقادیه،المفید،محمد بن محمد بن النعمان،تحقیق:رضا المختاری, دار المفید للطباعه و النشر و التوزیع،بیروت،الطبعه الثّانیه, ۱۴۱۴ه/۱۹۹۳م.

۵۷.النهایه فی غریب الحدیث،ابن الأثیر،المبارک بن محمد،تحقیق:طاهر احمد الزاوی, محمود محمد, مؤسسه اسماعیلیان للطباعه و النشر و التوزیع،قم،الطبعه الرّابعه, ۱۳۶۴ه.

۵۸.انساب الإشراف, البلاذری, احمد ابن یحیی, تحقیق:محمد باقر المحمودی, مؤسسه الاعلمی للمطبوعات, بیروت, الطبعه الأولی, ۱۳۹۴ه/۱۹۷۴م.

۵۹.إیمان أبی طالب وسیرته،الامینی،عبد الحسین،دار الفکر للطباعه و النشر و التوزیع, ۱۴۰۳ه/۱۹۸۳م.

۶۰.بحار الأنوار،المجلسی،محمد باقر،مؤسسه الوفاء،بیروت،الطبعه الثّانیه المصحّحه, ۱۴۰۳ه.

۶۱.تاج العروس،الزبیدی،محب الدّین،تحقیق:علی شیری،دار الفکر للطباعه و النشر و التوزیع،بیروت،۱۴۱۴ه/۱۹۹۴م.

۶۲.تاریخ الإسلام،الذهبی،محمد بن أحمد بن عثمان،تحقیق:د.عمر عبد السلام تدمری،دار الکتاب العربی،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۰۷ه.۱۹۸۷م.

۶۳.تاریخ الدّعوه،الجویشی،د.محمد إبراهیم،دار العلم وللثقافه, القاهره،الطبعه الأولی, ۱۴۲۰ه/۱۹۹۹م.

۶۴.تاریخ الطبری،الطبری،محمد بن جریر،تحقیق:نخبه من العلماء،مؤسسه الاعلمی للمطبوعات،بیروت،لبنان،الطبعه الرّابعه, ۱۴۰۳ه/۱۹۸۳م.

۶۵.تاریخ مدینه دمشق, ابن عساکر, علی ابن الحسن, تحقیق:علی شیری, دار الفکر للطباعه و النشر و التوزیع, بیروت, ۱۴۱۵ه.

۶۶.تحف العقول،الحرانی،الحسین بن علی بن الحسین،تحقیق:علی اکبر الغفاری،مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرسین،قم،الطبعه الثّانیه, ۱۴۰۴ه.

۶۷.تخریج الأحادیث و الآثار،الزیعلی،عثمان ابن علی،تحقیق:عبد الله بن عبد الرحمن السعد, دار ابن خزیمه،الطبعه الأولی, ۱۴۱۴ه.

۶۸.تصحیح اعتقادات الإمامیه،المفید،محمد بن محمد بن النعمان،تحقیق:حسین درکاهی, دار المفید للطباعه و النشر و التوزیع،بیروت،الطبعه الثّانیه, ۱۴۱۴ه/۱۹۹۳م.

۶۹.تفسیر البحر المحیط،أبی حیان الأندلسی،محمد بن یوسف،تحقیق:عادل احمد عبد الموجود, علی محمد معوض, دار الکتب العلمیه،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۲۲ه/۲۰۰۱م.

۷۰.تفسیر السلمی،السلمی،یوسف ابن یحیی, تحقیق:سید عمران،دار الکتب العلمیه،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۲۱ه/۲۰۰۱م.

۷۱.تفسیر القاسمی المسمّی محاسن التأویل, القاسمی, محمد جمال الدین, تصحیح وتخریج وتعلیق محمد فؤاد عبد الباقی, دار إحیاء التراث العربی, القاهره,۱۳۷۶ه/۱۹۵۷م.

۷۲.تفسیر القران الحکیم الشهیر بتفسیر المنار, محمد رشید رضا, مطبعه المنار, القاهره, ۱۳۴۶ه/۱۳۵۳ش.

۷۳.تفسیر القرآن الکریم،الخمینی،مصطفی،تحقیق ونشر:مؤسسه تنظیم ونشر آثار الإمام الخمینی،الطبعه الأولی, ۱۴۱۸ه.

۷۴.تفسیر المنیر،الزحیلی،وهبه بن مصطفی،دار الفکر المعاصر،الطبعه الأولی, ۱۴۱۸ه.

۷۵.تفسیر جوامع الجامع،الطبرسی،الفضل ابن الحسن،تحقیق ونشر:مؤسسه النشر الاسلامی لجماعه المدرسین،قم،الطبعه الأولی, ۱۴۱۸ه.

۷۶.تفسیر علیّ ابن إبراهیم القمی،القمی،علی ابن إبراهیم،تحقیق:طیب الموسوی الجزائری, دار الکتاب،قم،الطبعه الرّابعه, ۱۳۶۷ه.ش.

۷۷.تفسیر مجمع البیان, الطبرسی،الفضل بن الحسن،تحقیق:لجنه من العلماء, دار المعرفه،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۰۶ ه.

۷۸.تفسیر مقاتل بن سلیمان،ابن سلیمان،مقاتل،تحقیق:احمد فرید, دار إحیاء التراث،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۲۳ه.

۷۹.تفسیر ملا صدرا،صدر المتألهین, محمد بن إبراهیم،بیدار،قم،الطبعه الثّانیه, ۱۳۶۶ه.ش.

۸۰.تفسیر نور الثقلین،الحویزی،عبد علی بن جمعه،تحقیق:هاشم الرسولی المحلاتی, مؤسسه اسماعیلیان،قم،الطبعه الرّابعه, ۱۴۱۵ه.

۸۱.تقریب القرآن إلی الأذهان،الشیرازی،محمد،دار العلوم للطباعه و النشر،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۲۴ ه.

۸۲.تهذیب الأحکام،الطوسی،محمد بن الحسن،تحقیق:حسن الخرسان،محمد الآخوندی،دار الکتب الإسلامیه،الطبعه الرّابعه, ۱۳۶۵ ه ش.

۸۳.تهذیب اللغه, الأزهری،محمد بن احمد, تحقیق عبد السلام هارون, دار إحیاء التراث العربی, بیروت, الطبعه الأولی, ۱۴۲۱ه/۲۰۰۲م.

۸۴.جامع البیان،الطبری،محمد بن جریر،تحقیق:صدقی جمیل العطار, دار الفکر للطباعه و النشر و التوزیع،بیروت،۱۴۱۵ه/۱۹۹۵م.

۸۵.جامع السعادات،النراقی،محمد مهدی،تعلیق و تصحیح السید محمد کلانتر،جامعه النجف الدینیه،الطبعه الثّالثه, ۱۳۸۳ه/۱۹۶۳م.

۸۶.جواهر الکلام،الجواهری،محمد حسن،دار الکتب الإسلامیه،الطبعه الثّانیه, ۱۳۶۵ه ش.

۸۷.خصائص القرآن،الرومی،د.فهد،الطبعه الرابعه, ۱۴۰۹ه.

۸۸.دعوه النبیّ للأعراب الموضوع الوسیله الاسلوب, الحارثی،حمود بن جابر،دار المسلم, الطبعه الأولی, ۱۴۱۹ه/۱۹۹۸م.

۸۹.روائع البیان فی تفسیر آیات الأحکام, الصابونی،محمد علی،عالم الکتب, بیروت, الطبعه الثانیه, ۱۴۰۶ه.

۹۰.زاد المسیر،ابن الجوزی،جمال الدّین،تحقیق:محمد عبد الرحمن عبد الله, دار الفکر للطباعه و النشر و التوزیع،الطبعه الأولی, ۱۴۰۷ه/۱۹۸۷م.

۹۱.زبده التفاسیر،الکاشانی،ملا فتح الله،مؤسسه المعارف الإسلامیه،الطبعه الأولی, ۱۴۲۳ه.

۹۲.سبل الهدی و الرشاد،الصالحی الشامی،محمد بن یوسف،تحقیق:عادل احمد عبد الموجود-علی محمد معوض, دار الکتب العلمیه،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۱۴ه/۱۹۹۳م.

۹۳.سنن الترمذی, الترمذی, محمد ابن عیسی, تحقیق:عبد الوهاب عبد اللطیف, دار الفکر للطباعه و النشر و التوزیع, بیروت, الطبعه الثانیه, ۱۴۰۳ه, ۱۹۸۳م.

۹۴.سنن النبی صلّی الله علیه و آله،الطباطبائی،محمد حسین،تحقیق:محمد هادی الفقهی, مؤسسه النشر الإسلامی،قم،۱۴۱۹ه.

٩٥.سیره ابن هشام, المطلبی،محمد بن إسحاق بن یسار،تحقیق:محمد محیی الدّین عبد الحمید،مکتبه محمد علی صبیح وأولاده، ١٣٨٣ه.

٩٦.شرح أصول الکافی،المازندرانی،مولی محمد صالح،تحقیق:المیرزا أبو الحسن الشعرانی،دار إحیاء التراث العربی للطباعه و النشر و التوزیع،بیروت،الطبعه الأولی, ١٤٢١ه/٢٠٠٠م.

٩٧.شرح الرضی علی الکافیه, الاسترآبادی،رضی الدّین،تحقیق:یوسف حسن،مؤسسه الصادق،طهران،الطبعه الجدیده المصحّحه, ١٣٩٥ه, ١٩٧٥م.

٩٨.شرح نهج البلاغه،المعتزلی،ابن أبی الحدید،تحقیق:محمد أبو الفضل إبراهیم،دار إحیاء الکتب العربیه،الطبعه الأولی, ١٣٧٨ه.

٩٩.صحیح البخاری, البخاری, محمد بن إسماعیل, دار الفکر للطباعه و النشر و التوزیع, ١٤٠١ه/١٩٨١م.

١٠٠.صحیح مسلم, النیسابوری, مسلم ابن الحجاج, دار الفکر, بیروت.

١٠١.عدّه الداعی ونجاح الساعی،الحلی،أحمد بن فهد،تحقیق:احمد الموحدی القمی،مکتبه الوجدانی،قم.

١٠٢.علل الشرائع،الصدوق،محمد بن علی بن الحسین بن بابویه،تحقیق:محمد صادق بحر العلوم, منشورات المکتبه الحیدریه،النجف الاشرف،١٣٨٥ه/١٩٦١م.

١٠٣.عمده القارئ, العینی, بدر الدین ابن محمود, دار إحیاء التراث العربی, بیروت,

١٠٤.عیون الحکم و المواعظ،اللیثی،علی بن محمد،تحقیق:حسین الحسینی البیرجندی،دار الحدیث،الطبعه الأولی.

١٠٥.غرر الحکم ودرر الکلم, الآمدی التمیمی, عبد الواحد, تصحیح وإشراف حسین الاعلمی, مؤسسه الاعلمی للمطبوعات,بیروت,الطبعه الأولی, ١٤٠٧ه/١٩٨٧م.

١٠٦.غرر الفوائد المجموعه،القرشی،یحیی بن علی،تحقیق:محمد خرشافی،دار الکتب العلمیه،بیروت،الطبعه الأولی, ١٤١٧ه/١٩٩٦م.

١٠٧.فتح القدیر،الشوکانی،محمد بن علی بن محمد،عالم الکتب،الطبعه الاولی, ١٣٤٧ه.

١٠٨.فی ظلال القران, سید قطب, دار احیاء التراث العربی, بیروت, ١٣٨٦ه/١٩٦٧م.

١٠٩.قصص الأنبیاء علیهم السلام،ابن کثیر, أبی الفداء إسماعیل, تحقیق:مصطفی عبد الواحد, دارالکتب الحدیثه, مصر, الطبعه الأولی, ١٣٨٨ه/١٩٦٨م.

۱۱۰.کتاب العین،الفراهیدی،الخلیل بن أحمد،تحقیق:د.مهدی المخزومی, د.إبراهیم السامرائی, مؤسسه دار الهجره،الطبعه الثّانیه, ۱۴۰۹ه.

۱۱۱.کشف الغطاء،کاشف الغطاء،جعفر،تحقیق:مکتب الإعلام الإسلامی, خراسان, دفتر التبلیغات الإسلامی،الطبعه الأولی, ۱۴۲۲ه.

۱۱۲.کنز الدقائق وبحر الغرائب،القمی المشهدی،محمد بن محمد رضا،مؤسسه الطّبع و النشر،وزراه الإرشاد،طهران،الطبعه الأولی, ۱۳۶۶ه.ش.

۱۱۳.کنز العمال،المتقی الهندی،علاء الدّین،تحقیق:بکری حیانی صفوه السقا،مؤسسه الرساله،بیروت،لبنان،۱۴۰۹ه/۱۹۸۹م.

۱۱۴.لسان العرب،ابن منظور،جمال الدّین محمد،أدب الحوزه،قم،۱۴۰۵ه.

۱۱۵.مجمع البحرین،الطریحی،فخر الدّین،تحقیق:أحمد الحسینی،مکتبه نشر الثقافه الإسلامیه،الطبعه الثّانیه, ۱۴۰۸ه.

۱۱۶.مسار الشیعه،المفید،محمد بن محمد بن النعمان،تحقیق:الشیخ مهدی نجف،دار المفید،بیروت،الطبعه الثّانیه, ۱۴۱۴ه/۱۹۹۳م.

۱۱۷.مصباح الشریعه،الإمام الصادق علیه السلام،جعفر بن محمد،مؤسسه الاعلمی للمطبوعات،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۰۰ه/۱۹۸۰م.

۱۱۸.معانی الأخبار،الصدوق،محمد بن علی بن الحسین بن بابویه،تحقیق:علی اکبر الغفاری،مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرسین،قم،۱۳۷۹ه.

۱۱۹.معانی القرآن،النحاس،أبی جعفر،تحقیق:محمد علی الصابونی, جامعه أم القری،المملکه العربیه السعودیه،الطبعه الأولی, ۱۴۰۹ه.

۱۲۰.معجم مقاییس اللغه،ابو الحسین زکریا،أحمد بن فارس،تحقیق:عبد السلام محمد هارون،مکتبه الإعلام الإسلامی،۱۴۰۴ه.

۱۲۱.معدن الجواهر،أبو الفتح الکراجکی،محمد بن علی،تحقیق:احمد الحسینی،مهر استوار،قم،الطبعه الثّانیه, ۱۳۹۴ه.

۱۲۲.مفاتیح الجنان،القمی،عباس،مؤسسه الاعلمی للمطبوعات،بیروت،الطبعه الأولی, ۱۴۲۳ه/۲۰۰۳م.

۱۲۳.مفردات غریب القرآن،الراغب الأصفهانی،الحسین بن محمد،دفتر نشر الکتاب،الطبعه الثّانیه, ۱۴۰۴ه.

۱۲۴.مکاتب الرسول صلّی الله علیه و آله،الأحمدی المیانجی،علی،دار الحدیث،الطبعه الأولی, ۱۹۹۸م.

۱۲۵.مکارم الأخلاق،الطبرسی،رضی الدّین الحسن ابن الفضل،منشورات الشریف الرضی،الطبعه السادسه, ۱۳۹۲ه/۱۹۷۲م.

۱۲۶.من لا یحضره الفقیه،الصدوق،محمد بن علی بن الحسین بن بابویه،تحقیق:علی أکبر غفاری،جامعه المدرسین،قم،الطبعه الثّانیه, ۱۴۰۴ه.

۱۲۷.مناهج الدّعوه وأسالیبها, جریشه،د.علی،دار الفکر للطباعه و النشر و التوزیع, بیروت, ۱۴۲۰ه.

۱۲۸.مواهب الرحمان فی تفسیر القرآن،السبزواری،عبد الأعلی،الآداب،النجف الاشرف،۱۴۰۴ه.

۱۲۹.میزان الحکمه،الریشهری،محمد،تحقیق:دار الحدیث،دار الحدیث،الطبعه الأولی, ۱۴۱۶ه.

۱۳۰.ناسخ التواریخ،سبهر, محمد تقی, المکتبه الإسلامیه, إیران, الطبعه الثانیه, ۱۳۶۳ش.

۱۳۱.نهج البلاغه،أمیر المؤمنین علیه السلام،علی بن أبی طالب،تحقیق:محمد عبده، دار المعرفه،بیروت.

۱۳۲.نهج السعاده،المحمودی،محمد باقر،مؤسسه الاعلمی للمطبوعات،بیروت, ۱۳۳۷-۱۳۷۷.

۱۳۳.وسائل الشیعه،الحر العاملی،محمد بن الحسن،تحقیق ونشر:مؤسسه آل البیت علیهم السلام لأحیاء التراث،قم،الطبعه الثّانیه, ۱۴۱۴ه.

ص:

ص:

ص:

ص:

ص:

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم
هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ۹

المقدمة:
تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.
وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام
تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة
تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات
توسیع عام لفکرة المطالعة
تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:
مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة
العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزی
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزی ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵
هاتف المكتب فی طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.